# المحتوى

## كلمة

٢ .. دوّامةُ الـ لكن.. والأفكارِ التي تَبحثُ عن رجال - جورج مغامس

## مَداراتُ الجامعة

٤ الرئيس مفتتحاً العام الدراسيّ
٦ التخريج الـ ١٨ : وقائع وكلمات
١٩ بيان لرؤساء الجامعات الكاثوليكيّة
٢٠ في استذكار كمال يوسف الحاج: كلمات
٢٤ الثلاثيّ طنب والحلم المستعاد
٢٥ ١٥ عاماً على تأسيس جوقة الجامعة
٢٧ من حصاد العمل الرعويّ الجامعيّ

لا أحدَ أُعطي له اليقينُ أنّه امتلكَ أو يَستطيعُ أن يَمتلكَ الحقيقةَ، أيّةَ حقيقة، وهي موضعُ تباينٍ أو تنازعٍ بينه وبين الآخَرِ، أيِّ آخَر.

الحقيقة!

عليَّ أن أَبحثَ عنها مع الآخَرِ، المختلفِ والمخالف: في ما يَعتقدُ ويَرى ويريدُ، ويخافُ منه أو عليه، ويرغبُ فيه أو يَهجِسُ به...

أمّا أن أَبحثَ عنها، من ضمنيّةِ أو عَلنيّةِ الانتصارِ على الآخَر، فإنْ هو إلاّ شأنٌ آخَرُ، وجهُه الأَبلقُ تعظيمُ الذّات!

التّحرير

كانون الأوّل ٢٠٠٨ | عدد ٤٤

ndu spirit

NDU Spirit دوريّة حول
علامات الحياة في عالم
جامعة سيّدة اللويزة

هاتف/فاكس: ٢١٤٢٠٥ (٠٩)
بريد الكترونيّ: nduspirit@ndu.edu.lb
موقع الكترونيّ:
www.ndu.edu.lb/newsandevents/nduspirit

رئيس التّحرير
جـورج مغـامس
التّحرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر
تَتَبُّع أَنشطة
غادة معوّض
تنضيد بالعربيّة
ليديا زغيب
تصـويـر
عبدو بجّاني
تصميم وإخراج
تكنوپوب
طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

## وجـوه

٣١ في تطويب لويس وزيلي مرتان:
- الأب فادي بو شبل
- Pierre et Safa Bachir
٣٦ رشيد متّى ومُسَلَّمة إقليدوس الخامسة

## ملفّات

٣٩ بناء الدولة في لبنان - سلسلة ندوات (٣ من ١٠)

## مقالات

٦١ ما الّذي يجري في الأسواق الماليّة؟ - د. لويس حبيقه
٦٣ العلاقات اللبنانيّة-السوريّة - د. عقل كيروز
٦٦ ماذا سيجلب أوباما للبنان والشرق الأوسط
- د. نعيم سالم
٦٩ من عنترة العبسيّ إلى باراك أوباما
- شربل ح. شربل
٧١ الشباب اللبنانيّ بين سؤال المستقبل وخطأ الاستقالة من الثورة - د. جورج كلاّس
٧٣ تنمية المواطنيّة في المدارس والجامعات
- عبدو القاعي
٧٧ بيروت القديمة: خاناتها وقيساريّتها ومسارحها
- جان صدقه
٧٩ الصين: من القوّة الاقتصاديّة إلى القوّة الرياضيّة
- د. لويس حبيقه
٨١ ثقافة اللغة اللاتينيّة - أنطوان صفير

## مراجعات

٨٣ نعيمة بين الحضارة والإنسان
- د. منصور عيد
٨٥ قصائد من عصور الحبّ لجميل الدويهي - د. عصام الحوراني
٨٧ خربة مسعود لمنصور عيد
- د. عصام الحوراني
٧٨ خليل لجورج مغامس
- د. جميل الدويهي

## شِعريّات

٩٠ الشّاعر - د. ديزيري سقّال

## من منشوراتنا

٩١

جورج مغامس

# دوّامةُ الـ لكن.. والأفكارِ التي تَبحثُ عن رجال

أجملُ ما في الحياة الحياةُ نفسُها، وهي الأغلى؛ وإنْ تكنْ قصّةَ موتٍ تَرويها الدّقائق!
بل إنّ الموتَ هو ما يحفّزُ على الانتصار للحياةِ، شكلاً ومضموناً، عيشًا وسَلوكًا.

فقيمةُ الحياةِ وقيمُها إذًا، هي من أنّ الموتَ حقّ، أكفانُه من قُمُطِها!

❖❖❖

.. أمّا الأوطانُ، أفيسري عليها ما يَسري على بنيها؟
قد يكون..
لولا أثرٌ وإرثٌ وتراث.. وروحٌ تجيشُ بها أرضٌ وفضاء.

فهي من جيل بعد جيل، وإلى جيلٍ بعد جيل.. آزالاً وآبادًا؛ ولم تكن، ولن تكونَ إقطاعًا لإقطاعيٍّ قديمٍ أو حديثٍ مهما عَتا وتجبّرَ!

❖❖❖

وهنا، في لبنان، عن أيّةِ حياةٍ نَبحث، ومن أجل أيِّ وطن نعمل؟
أعن حياةٍ حرَّةٍ كريمة، ولوطنٍ سيّدٍ مستقلّ؟!
كلُّنا يقولُ بذلك.
ولكنّ «لَكنّه» فيروسٌ كامن؛ فإذا تحوّلَ وانتشر غزا ودمّر!

إذًا، الاشكاليّةُ، وهي من شُيوعِ مَقيت، في هذه الـ «لكن». فهي حَمّالةُ احتمالات. وبعضُ الاحتمالاتِ تحاملاتٌ: تَكَلُّفَ مَشقّةٍ وعياء، أو تَكليفَ جَوْرٍ وسواه ممّا لا يُطاق.

وثَمّةَ تاليًا وتوازيًا، إشكاليّةٌ شقيقةٌ: سَداها ولُحمتُها أفكارٌ أخَوَتْ ورجالٌ أقْوَتْ، أو على قولِ قائلٍ مؤوِّلٍ: أفكارٌ تَبحثُ عن رجال.

هاتان الاشكاليّتان القُطبان، حيثيّةً وهدفيّةً، تولّدان حالةً كَهرومغناطيسيّةً، تُعيقُ، إنْ لم تعطّل، نموَّ الحيويّاتِ في دولةِ الوطن.

❖❖❖

الـ «لكن» معترضةٌ، معارضةٌ، ضاربةٌ للأعراض؛ وأطاريحُها مَلءُ الأسماعِ والأبصار، حتّى لَكأنّها هي الأصلُ ومَا عداها هو الفصلُ، وهي القضاءُ والقدر!

فإنّك، وما أن تَمنحَ طَرْفَ عقلِك أو قلبك لأحدِهم، وتَنفرجَ منك الأساريرُ بوارقَ أملٍ ورجاء، حتّى يفاجئك بـ«لكنّه» كصاعقةٍ تُصلي نارًا ودمارًا، فيَغرفُ ويُغدِقُ؛ ويالَلصّفاتِ والحالات!

أنا أوافقُكَ الرّأيَ، ولكنْ...
أنا من المؤمنين بكذا، ولكنْ...
أنا أرحّبُ بَكيت، ولكن...
أنا متعاونٌ إلى أقصى الحدود، ولكن...

المدرسةُ الفاجرةُ هذه، مدرسةُ الـ لكن، مدرسةٌ ضدَّ الحياة، لأنّها ضدُّ المحبّة.. ضدُّ السّلام.
هذا الاستدراكُ الشّرطيُّ، كم هو خبيث!

فإلى متى تبقى المصالحُ، المصالحُ النَّخراءُ والنَّكراء، العربةَ أمام أحصنةِ المصالحات؟ أم لعلَّ حدودَ المصالحات، هي حدودُ المصالح؟!

إنّ قولَ الحقِّ كلَّه، كمثلِ أخذِه، مرٌّ.. مرٌّ حقًّا!!
وإنّا في مرارةِ السّكوتِ والحرمان...

# .. لئلاّ تكون الكتلةُ الحائرةُ كتلةً جائرة

## بالثّقافة تَقوى المناعة!!

وفي السّياقِ المطّرد- ولا ريبَ أنّ اللبيبَ يَفهمُ قولَ قائل: أنا لا أَلسعُ مرّةً واحدةً كأفعى، بل عشرَ مرّاتٍ كدبّور-.. أَفما هكذا يفعلُ الواحدُ بالآخر، وجميعُهم بدولةِ الوطن؟!
أَفما الموتُ هو خاتمةُ المطاف؟!

إنّ الآخرَ والدّولةَ ليسا الحصاةَ التي لِتَسنُدَ كرسيَّهم، بل ليس بالادّعاءِ والإلغاء يُبَرَّرُ انوجادُهم.

أمّا نحن شهداءَ آلامِ مجتمعاتِنا، وإذ نَشهدُ أَنّهم اغتصَبوا حتّى عرشَ الله ليملكوا الملكوتَين، فكم يُعوزُنا أن نظلَّ نردّدُ ليلاً نهارا، سرًّا جَهارا: إذَا كان صحيحًا أَنّ الانسانَ لا يستطيعُ أن يعيشَ من غيرِ سجودٍ لمعبود، فللحيِّ الباقي لا للميتِ الفاني!

فَلنرعو إذًا. وَلْيكنْ لنا الموقفُ الذي يوقِفُ كلَّ مُطيحٍ بحدِّنا عند حدِّه.

فالكتلةُ الحائرةُ هي كتلةٌ جائرة، ما لم تكنْ حاسمةً في فصلِها بين القمحِ والزّؤان.

إنْ نحن إلاّ كالقدّيسين، فريقَ صيانةٍ للوطن، كما هم فريقُ صيانةٍ للخليقة!

إنّنا المخيَّرون.
ومَن يُخيَّرُ لا يُحيَّر، بل يُحرَّرُ من كلِّ إلزامٍ لتُتاحَ له فرصةُ الالتزام!!
فهل نختارُ ونلتزمُ.. بحرّيّة؟!

❖❖❖

فما بالُنا بَعدُ، موازاةً، نُؤخَذُ بكلِّ خَنىً وخَواءٍ وإقواءٍ في أفكارٍ ورجال؟! ثمّ أهي الأفكارُ هو ما يَنقصُنا، أَم همُ الرّجالُ؟

إنّهم الرّجالُ الرّجال.. في كلِّ حال.
وَلَكم ثَمّةَ، عندنا، من أفكارٍ تَبحثُ عن رجال!

فالأفكارُ، مهما حَسُنتْ أو عَظُمتْ أوكَثُرتْ، تحتاجُ إلى نيّاتٍ وإراداتٍ ومسؤوليّات. وهذه أشبهُ بالوزناتِ، نتاجرُ بها فتتضاعفُ، أو نَدفِنُها فتَبلى ترابًا في التّراب.

بولسُ الرّسولُ يقول: الخيرُ الذي أريدُه إيّاه لا أَفعل، والشّرُّ الذي لا أريدُه إيّاه أَفعل.
فالمسألةُ إذًا مسألةُ أفعالٍ، أي مسألةُ التزامٍ بما نريدُ أو لا نريد. وبالالتزامِ هذا، وعليه، تقومُ المسؤوليّةُ وتُقَوَّم.
أَفَما نعلمُ أَنّ البذارَ الصّالح يحتاجُ إلى أرضٍ صالحة؟!

الرّجالُ هم هذه الأرض. وما دام عندنا من هذا البذارِ وَفرةٌ وَفيرة، فَلْتَصْلُح الأرضُ.. فَلْيَصْلُح الرّجال.. وَلْتكنْ أرضُنا أرضَ بَشر!

الأفكارُ الصّالحةُ إصلاحٌ بالقوّة؛ فإذا انوجدَ لها الرّجالُ الصّالحون يجسّدونها، تحقّقَ الاصلاحُ بالفعل.

❖❖❖

حقًّا، إنّ من كبائرنا أَنّنا في دوّامةِ الـ لكن.. وتلك الأفكارِ التي تَبحثُ عن رجال!

وحقًّا حقًّا أَنْ بالثّقافة تَقوى المناعة!!

وهل يكونُ ما يجبُ ويَحِقُّ ويليقُ أن يكون، ولا يكونُ إيمانٌ ورجاءً، ولا تكونُ أمانةٌ ومحبّة؟!

# الأب موسى في افتتاح العام الدراسيّ:
# نحن في طموح نحو الأفضل،
# وأدعو إلى المصالحات داخل الجامعة...

ظهر الأربعاء، ٢٠٠٨/١٠/٨، افتُتح العام الجامعيّ ٢٠٠٨- ٢٠٠٩، بقدّاس، ضمّ أهلَ الجامعة، وترأّسه رئيسُها الأب وليد موسى، يعاونه لفيفٌ من الكهنة العاملين فيها.

وفي المناسبة، كان للأب موسى كلمةٌ من شقّين: في الأوّل طموحٌ نحو الأفضل مستوياتٍ تعليميّةً وبحثيّةً ووطنيّة؛ وفي الثاني دعوةٌ إلى المصالحة مع الذات ومع الآخر وإلى الحوار فيما بين الطلاّب.

| قال **الأب وليد موسى**: من الصُدف الحلوة أن نلتقي اليوم ٨ ت١ ٢٠٠٨، لنتذكّر معًا ٨ ت١ ١٩٩٨. وهو اليوم الذي افتتحنا فيه المباني الجديدة للجامعة، بحضور فخامة الرئيس المغفور له الياس الهراوي وغبطة البطريرك نصرالله صفير، أمدّ الله بعمره.

١٠ سنوات تمرّ، وهذا المبنى ينمو ويكبر وتتضاعف فيه أعداد الطلاّب والأساتذة والموظّفين. أين نحن اليوم؟ نحن لا نزال في طموح نحو الأفضل. لا نرضى أن نقول: جامعتنا حلوة، الطلاّب يتكاثرون، المستوى يتقدّم، التجهيزات مرضية، الاحتفالات متعدّدة... لا، هذا لا يكفي. نحن نطمح نحو الأفضل. ونختصر هذا الأفضل بثلاثة:

- مستوى تعليميّ جيّد، يضعنا بين أرقى الجامعات العالميّة، ويخرّج طلاّبنا بكفاءة تمكّنهم من المهامّ الوظيفيّة اللائقة.
- مستوى بحثيّ جيّد، يجعل جامعتنا مركزًا للدراسات والحوارات المختلفة، ويهيّىء طلاّبنا لمواجهة المستقبل بعدّة ثقافيّة كافية.

▼ جوقة العمل الرعويّ

▼ الآباء المحتفلون: طوني قسطنطين، أكرم خوري، فادي بو شبل، روجيه شكري

- مستوى وطنيّ سليم، بحيث نساهم، معكم، أساتذةً وموظّفين وطلاّبًا، في بناء الدولة السيّدة الحرّة.

منذ عشر سنوات، في مثل هذا اليوم، جمعنا بين البطريرك صفير والرئيس الهراوي، في هذه الجامعة، عن إيمان بضرورة الجمع بين الدين والدنيا، بين الروح والعقل، بين السياسة والأخلاق.

كم نحن اليوم، بحاجة إلى مثل هذا الجمع: يحكون عن مصالحات بين أهل السياسة. نحن، في هذه الجامعة، نرحّب بكلّ مصالحة. وقد استقبلنا في السنة الماضية إحدى هذه المصالحات. وأنا أدعوكم إلى هذه المصالحة داخل الجامعة... تقولون: لا خلافات، أجيب:

- المصالحة الأولى بيننا وبين أنفسنا. نحن بحاجة إلى هذه الشفافية، فلا نقول شيئًا ونفعل أشياء أخرى.

- المصالحة الثانية بعضنا مع بعض: ليس الرهبان غرباء عنّا، ولا الأساتذة والموظّفون أجراء في جامعتنا، وليس الطلاّب سلعًا تُباع وتُشرى: لنتعاون بعضنا مع بعض، بروح المحبّة والتفاهم والتعاون، ولن يكون أحد خاسرًا. إسمحوا لي أن أكون صريحًا: نحن بحاجة إلى صراحة؛ أفتح لكم قلبي وباب مكتبي، ولا بأس إن كانت بعض الآراء تخالف رأيي، فأنا مستعدّ لكلّ حوار.

- المصالحة الثالثة المطلوبة هي تحت عنوان الحوار: ولاسيّما الحوار بين الطلاّب، بعضهم مع بعض. أنا أعلم أنّ الأحزاب والتيّارات السياسية موجودة في الجامعة، وهي على خلاف في الرؤى والتوجّهات. ولكن هذا مطلوب ومرغوب، في الجامعات، لأنّ التباينات السياسيّة تكوّن الثقافة والفكر والعقائد. المطلوب أن يكون هذا التنوّع حضاريًّا، وأن يكون الحوار طريقنا الوحيد إلى الإقناع والمنطق والتفاهم. بقدر ما نريد طلاّبنا مسلّحين بالمعرفة والعلم، بقدر ما نرفض خضوعهم للانفعالات والشعارات والغرائز. وبناءً على ذلك، تُبنى الديمقراطيّة الطلاّبيّة في هذه الجامعة.

إنطلاقًا من هذه المصالحات، أدعو أن تكون هذه السنة سنة سلام ومحبّة ومصالحة، وسنة حوار، نبني خلالها، الجامعة التي نحلم بها، والوطن الذي نحبّ.

▼ جانب من المشاركين في القدّاس

# ٩١٠ طلاّب في التّخريج الـ ١٨

**| الأباتي أبو عبدو: ها هم يا ربُّ ينطلقون.. فكنْ معهم.**

**| الأب موسى: كانت سنةً صعبة.. واستطعنا أن ننتصرَ على التحدّيات ونتابعَ مسيرتَنا الأكاديميّة.. ولن نستريح.**

**| ماجدة الرومي: أنتم عكّازٌ للبنان الذي سلّمناكم إيّاه على عكّاز.. وأنتم أهلٌ للوزنات.**

**| أمّا الاحتفالُ فأوّلُه صلاةٌ رفعها الأباتي سمعان أبو عبدو، الرئيس العامّ للرهبانيّة المارونيّة المريميّة، عن الطلاّب ومن أجلهم:**

٩١٠ طلاّب: ٧٥٠ من حرم زوق مصبح- كسروان، و١٠٠ من حرم دير القمر الشّوف، و٦٠ من حرم برسا- الكورة.. أشرقت وجوهُهم قبالةَ الشّمسِ الغاربة، وتَرسّلت أفئدتُهم في آفاقها وعلى أجنحتها طموحاتٌ وأحلامٌ وفرحُ أمّهاتٍ واعتزازُ آباءٍ.. ووطنٌ منذورٌ للشّهادةِ والقيامةِ أبدًا.

هؤلاء الخرّيجون، وهم الدّفعة ١٨، من كبد جامعة سيّدة اللويزة، توّجوا نهارَ يوم الجمعة الواقع فيه ١١ تمّوز ٢٠٠٨، فصار يُؤرَّخُ بهم.. ويَزهو على الأيّام.

وإنّها الأيّام.. بعضُها من بِيض صَنائعهم...

«هذا هو ابْني الحبيبُ الّذي عنهُ رَضيْتُ فلَهُ اِسْمَعوا» (متّى ٥/١٧).

هُناكَ على جَبَلِ طابورَ تجلَّيْتَ، وهُنا اليومَ على جَبَلِ اللويزَة تَجَلٍّ آخَرُ.

هُناكَ على جَبَلِ طابورَ تجلَّيْتَ على مَرْأىً مِنَ الرُّسُل، فأشعَّ وَجْهُكَ كالشَّمْسِ وتلألأتْ ثيابُكَ كالنّور (متى ١/١٧).

قَبْلَ آلامِكَ ومَوتِكَ يا ربُّ تجلَّيْتَ لِرُسُلِكَ وكتبْتَ بتجلّيكَ مقدِّمةَ القيامةِ.

بَدَّدْتَ من قلوبِ التلاميذِ الحَيْرَةَ والتردُّدَ أمامَ الحقيقةِ التي سَعَيْتَ إلى أنْ تزرَعَها في نفوسِهم، وهي أنَّ طريقَ الألَمِ والموتِ تؤدّي إلى المجدِ.

اليومَ، أنتَ تَتَجَلّى يا ربُّ هُنا في قلوبِ أبنائِنا المُتَخَرِّجينَ، وهذا فَيْضٌ من نِعَمِكَ عَلَيْنا وحُبِّكَ لَنا.

أبْناؤنا وبناتُنا يتخرَّجون وهم بأبْهى حِلَلِهم، والقلوبُ ملأى بفَرَحِ النجاحِ والانتصار، تمامًا كما كانتْ قلوبُ رُسُلِكَ عِنْدَ تجلّيكَ على جَبَلِ طابور.

فالمجدُ لَكَ يا ربُّ، يا مَنْ تَتَجَلّى اليومَ في قلوبِ المتخرِّجين جمالاً، وفي قلوبِ أهاليهم فَرحًا، وفي قلوبِ أساتِذَتِهم عطاءً...

إنَّكَ تتجلّى حُبًّا يُعطي حَياتَهم مَعْنىً، وكلماتٍ تروي حكايةَ حُبِّكَ لهم وللناسِ أجمَعين...

اليومَ، نسألُكَ مِنْ على هذهِ التلّةِ المريميَّةِ، أنْ

تَطْبَعَ تجلِّيَهُم بتجَلّيكَ الطيِّبِ المهيبِ، ونسألُكَ أَنْ تَجْعَلَ في قلوبهم توقًا إلى رؤيةِ وجهكَ الذي مِنْهُ يَشعُّ النّورُ.

ها هُم يا ربُّ، ينطلِقونَ مُناقدينَ بِفِعْلِ الروحِ القدسِ الذي يُنيرُ دربَهُم وَيَمْتَدُّ أمامَهم منارَةً تُضيء حَياتَهُم، وتكشِفُ لهم إرادتَكَ، فكُنْ معهم، أَيْنَما حَلّوا وارْتَحَلوا. كُن المعنى الأكيدَ لحياتِهم. ساعِدهم ليتعرَّفوا إليكَ أكثر، فأنْتَ وَحْدَكَ تملأُ فراغَ قلوبهم، ووحدَكَ تُشَكِّلُ المعنى الجَوْهَريَّ لحياتِهم. لا يَغْرُبَنَّ وَجْهُكَ المتلألِئُ عن صعوباتِهم وآلامِهم، ولا يَجِفَّنَّ نَبْعُ حُبِّكَ الذي منه يرتوون.

أَسْمِعْهُمْ صوتَكَ الحقيقيَّ الآتيَ من السَّماءِ لا مِنْ أَهْلِ الأرض، صوتَكَ الآتيَ من الأعالي لا مِنَ الحَضيضِ حيْثُ الأصواتُ الهدّامَةُ المُخادِعَةُ؛ فصوتُكَ صَوْتُ حَقٍّ وحياةٍ، صوتُ محبَّةٍ يولِّدُ فيهم الإيمانَ والفرح والصَّفاء.

أَسْمِعْهُم صَوْتَكَ المميَّزَ الذي لا يُشْبِهُ أبدًا تلكَ الأصواتَ الشاذَّةَ المتناقِضَةَ التي تضجُّ في آذانِنا صُبْحًا ومساءً...

أَسْمِعْهُم صوتَكَ الآتي من السَّماءِ، ذلكَ الصَّوْتَ الذي سَمِعَهُ تلاميذُكَ يقولُ: «هذا هو ابني الحبيبُ الذي عنهُ رضيتُ، فلهُ اسْمَعوا». آمين.

**ثمّ، وعلى بساطٍ من الشّعر، تقدّمَ الأستاذ سهيل مطر، المدير العامّ للعلاقات العامّة، نحو التّرحيب والحميم الحالم:**

حانَ الوَداعُ؟ كفى، لا تبدأوا العتبا
فلا وَداعَ لمن يستوطنُ الهدبا
في العينِ، في القلبِ أنتم، في ملاعبنا
وفي الصّفوفِ، سَلوا الأقلامَ والكتبا
سَلوا الأزاهيرَ عن عطرٍ يضجُّ هوىً
العطرُ أنتمَ، فلا تستوضحوا السّببا
آباؤكم، ها هُمُ، والأمّهاتُ هنا
والأغنياتُ تنيرُ ليلَكم طربا
عذراءُ لبنان، أنتم بعضُ فرحتِها
يا مريمُ البكرُ، كوني الدّربَ والعصبا

⁂

يا أصدقائي، أعذروني، بُحّتي فرحٌ
ووقفةُ العزِّ زادتني صبًا بصبا
أحببتُ فيكم بطولاتِ الألى رحلوا
أحببتُ فيكم جنونَ الحلمِ والشّغبا
يا أصدقائي، لهذي الأرضِ نرصدُكم
الأرضُ أنتم، فتبقى... لا لمن هَربا

⁂

هم هَجّروا، قَتلوا، واليأسُ لغتُهم
لا تسمعوا كِذبَهم، بل مزّقوا الحجبا
وإن طغى زمنٌ أو مَسّكم وجعٌ،
كونوا كرامًا، وكونوا النّبلَ والأدبا
جوازُ أسفاركم، مهما غلا ثمنًا
لَن يبلغَ الأرزَ، لا مجدًا، ولا خشبا

⁂

بصوتِ أهـلـيـكـم، بـالـحـبِّ يـجـمـعُـنـا
بـحـقّ مـن بـذلَ الأغـلـى، ومـن صُـلـبـا
لا تـتـركـوا أرضَـكـم، كـونـوا لـهـا رسـلاً
هـذي رسـالـةُ مـن ضَـحّـى ومـن وَهـبـا.

⁂

أيّها الأصدقاء
عند استعراض موكب الخرّيجين، وهم يدخلون بين الصّفوف، وقف الأهل وقفة اعتزاز وحبّ: عيونهم تبحث عن عيون أولادهم، أبٌ يرفع رأسه مزهوًّا، أمٌّ تكاد دموعها تسابق ابتسامتها، أختٌ تصفّق، والكلُّ في فرح.

ردًّا على هؤلاء الأهل الطّيّبين، أدعوكم، أيّها الخرّيجون والخرّيجات، إلى وقفة شكر، وإلى التّصفيق تقديرًا لهؤلاء الأهل الأحبّاء.

أيّها الأصدقاء
تسعماية صبيّة وشابّ يتخرّجون اليوم من هذه الجامعة: ستّون آتون من برسا – الشمال، مكلّلين بغار الزّيتون والأرز والليمون؛ وماية وافدون من الشوف، يحملون مجد دير القمر وشمخة أرز الباروك ووطنيّة فخر الدّين؛ وسبعماية وخمسون من هذا المركز، في زوق مصبح، يحملون اليوم تراث اللويزة العريق، وجماليّة مغارة جعيتا، جارتِنا العزيزة، يتقدّمون على إيقاعات مسبحة يعقوب الكبّوشي، في دير يسوع الملك.

هُمُ اليوم، التسعماية، في عيدٍ، مباركٌ لهم، ونحن معهم نعيّد لصبيّة بلغت اليوم الحادية والعشرين، سنَّ النّضج والحريّة والسّيادة على الذّات. الصبيّة التي ولدت سنة ١٩٨٧، اسمها: جامعة سيّدة اللويزة، ولها نقول: مبروك. وسنّ النّضج يفرض تحدّياتٍ وواجبات، ونحن لها.

كلمة أخيرة أوجّهها إليكم، بكلّ محبّة:

جميلة هي ذكرياتكم في هذه الجامعة، ولكنّ الأجمل هو الحلم؛ تعالوا نحلم ونغنّي:
عمبحلمك يا حلم يا لبنان
أنت الهدايا بالعلب،
والكاس شي إنّو انسكب،
والكان، بالبال، بعد ما كان،
يا لبنان...
عاش لبنان.

**وأثار رئيس الجامعة الأب وليد موسى في كلمته ما حاولت الجامعة أن تعمل عليه، ضمن مداخل خمسة جوابًا على أسئلة خمسة؛ قال:**

أيّها الأصدقاء
أيّها الخرّيجون والخرّيجات
الحمد لله... كانت سنة صعبة، ولكن، بالإرادة والايمان والتعاون، تجاوزنا كلّ العوائق والأشواك، وتابعنا الدراسة، هنا وفي فرعي الجامعة: في الشمال، وفي الشوف. بهذا التوجّه كنّا، ومعالي الوزير الدكتور خالد قبّاني، في خندق واحد: لا تثنينا المشاكل عن العمل والمثابرة. تحيّة لكم، يا معالي الوزير، على الجهود التي بذلتم، في وزارة التّربية والتّعليم العالي، وثقوا أنّ الرجل الكبير، أخلاقًا ووطنيّة وعلمًا، يبقى كبيرًا في أيّ موقع كان. لقد عمِلنا بعناد، وتمكنّا من الوصول إلى الهدف: نهاية سنة جامعيّة حافلة بالإنجازات والنّشاطات والنجاحات، يتوّجها هذا الاحتفال الغنيّ بالفرح، والذي تضاف إليه بهجة حضوركم مع خطيبة هذا الاحتفال، السيّدة ماجدة الرومي.

أجل، كانت سنة صعبة، وأكاد أقول إنّني، ومنذ تولّي مهامّ رئاسة هذه الجامعة، لثلاث سنوات خلت، والأوضاع اللبنانيّة القاسية تنعكس على حياتنا الجامعيّة، وبصورة خاصّة، على هؤلاء الطلاّب الذين يتخرّجون اليوم، إلاّ أننا، وبشفاعة مريم، وبرعاية أمّنا الرهبانيّة المارونيّة المريميّة الممثّلة بقدس الأب العام سمعان أبو عبده والمدبّرين الأفاضل، وبالتعاون مع مجلس الأمناء، وبعزيمة وإرادة الجسمين التعليميّ والاداريّ في الجامعة، استطعنا أن ننتصر على كلّ التحدّيات وأن نتابع مسيرتنا الأكاديميّة. وإذا كانت الأزمة الاقتصاديّة والمعيشيّة الظالمة تشدّ الخناق على الأهلين، كما على الأساتذة والموظّفين، فإنّنا، أيضًا، سنتجاوز هذه المشكلة، بروح التعاون والتآزر والشفافية.

أنتم، أيّها الأحبّاء المتخرّجون، كان حلمكم منذ دخولكم الجامعة، الوصول إلى هذه اللحظة: تسلّم الشهادة والانطلاق في حياة العمل والمجتمع.

أمّا نحن، المسؤولين في هذه الجامعة، الأساتذة والموظّفين، فقد حاولنا، خلال السنة المنصرمة، أن نعمل ضمن مداخل خمسة، جوابًا على خمسة أسئلة:

**السؤال الأوّل:** كيف تكون الجامعة جامعة؟

نحن فخورون أنّ هذه الجامعة هي مرآة للبنان، في تنوّعه وتعدّده: كلّ لبنان هنا، من كلّ الأديان والطوائف والمذاهب، من كلّ المناطق، من كلّ الفئات والأحزاب، من الشباب والصبايا، من المحجّبات إلى السافرات، من المحتاجين إلى المكتفين، من لبنانيين وعرب وأجانب، من خرّيجي المدارس الفرنكفونيّة إلى خرّيجي المدارس ذات المنهجيّة الأميركيّة أو الإنكليزيّة... كلّهم جمعتهم هذه الجامعة. وكم نحن سعداء بلقاء هذا الموزاييك الوطنيّ، الذي إن أحسنّا التعامل معه، كانت لنا الصورة التي نفرح بها، لما تمثّل من غنى وحضارة وجمال.

إنطلاقًا من هذا الواقع الكريم، أحيّي الطلاّب والمسؤولين عنهم لما أظهروه من انضباط وانفتاح ومحبّة بعضهم لبعض. الجامعة جمعتكم، أيّها الطلاّب، فلا تدعوا غير الجامعة يفرّق بينكم.

**السؤال الثاني:** كيف تكون الجامعة مركزًا حضاريًّا، لا مقلع شهادات؟

بصراحة أقول لكم، أيّها الأحبّاء: علّمناكم القليل، ولكنّنا علّمناكم أن تتعلّموا؛ هذا هو مفهوم العلم الحديث. كثرة المعلومات لا تولّد كفاءة أو جدارة. الرؤوس المنتفخة بالمعلومات ليست أفضل من أيّ جهاز كمبيوتر صغير أو هاتف نقّال ملوّن. لقد سعينا، ببرامجنا المتنوّعة والمتغيّرة بصورة دائمة، وبالتجهيزات الجديدة والمفيدة، ومن خلال أساتذة مشكورين، أن نؤمّن لكم وسائل التعلّم والبحث عن المعرفة. وإذ تتخرّجون اليوم، فإنّما لتتابعوا مسيرة البحث والتحليل والثقافة، التي لا تنتهي بشهور أو سنوات. الشهادة التي تتسلّمون اليوم، هي جواز مرور، أمّا الشهادات الكبرى فستمنحكم إيّاها جامعة العمل والحياة والمجتمع، وأنتم لها مؤهّلون.

**السؤال الثالث:** كيف تكون الجامعة مؤسّسة من أجل الحوار، وليست مركزًا لإلغاء الآخر أو أسره في أطرٍ وقوالب معيّنة؟

جميعكم، أيّها الطلاّب، وصلتم إلى هذه الجامعة بهويّة معيّنة، وبأفكار مختلفة، وبانتماءات متناقضة أحيانًا. وفي وقت كان لبنان فيه، يرزح تحت أجواء العنف والموت، ويسيطر عليه دخان الاتهامات ولغة التخوين، كنا نحن وأنتم، نحوّل الجامعة إلى مركز للحوار: محاضرات، مؤتمرات، ندوات، حلقات دراسيّة، مناقشة كتب وأفلام، بجوٍّ من الاحترام والمحبّة. نعم، أتعبناكم بكثرة النشاطات، ولكنّنا مؤمنون أنّها أساسيّة لبناء ثقافة شاملة. نحن لا نريدكم نسخة بعضكم عن بعض. نحن نحترم التنوّع الذي يميّزكم، من دون أن يلغي شخصيّتكم المستقلّة. ومن يشاهد الأنصاب والتماثيل التي رفعناها على مدخل

الجامعة، يعرف أنّنا، ونحن رهبان ونعتزّ، وضعنا نصبًا لدرزيّ قرب مسلم قرب مسيحيّ، ونظرنا إلى هؤلاء، وهم رجال فكر ووطنيّة، نظرة افتخار وتقدير، وما ميّزنا؛ وَلْيكبرْ طلاّبُنا على أنّ لبنان هو هؤلاء، وليس مقاطعة لفلان أو وقفًا لهذا الزعيم، أو سوقًا للبيع والشراء. لبنان مساحة حضارة، ودورُنا أن نقود طلاّبنا نحو هذه المنارة الحضاريّة.

**السؤال الرابع**: كيف تكون الجامعة، في عصر التكنولوجيا والعولمة، طريقًا إلى الله، لا طريقًا إلى اغتيال الروح؟

نعم، أيّها الأصدقاء، نحن مؤمنون. ونحن نستلهم الروح الكاثوليكيّة التي تدين بها رهبانيّتنا المارونيّة المريميّة. ونحن أكثر من ذلك: نحيا في منطقة هي ينبوع أديان سماويّة كريمة. لهذا، عملنا على أن تكون مناهجنا جامعةً بين التكنولوجيا الحديثة وبين العلوم الانسانيّة وثقافة الروح؛ نحن ندرّس جميع الأديان، نركّز على كرامة الانسان، نتصدّى لكلّ المفاسد التي تقودنا إليها حالات الكفر واليأس والضياع التي تنشرها بعض الوسائل الإعلاميّة وتشجّعها بعض الهرطقات والصرعات الحديثة. إيماننا بالانسان كبير، إنطلاقًا من قول السيّد المسيح: ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟ حذار من الوقوع فريسة حضارة الاستهلاك. نحن وإياكم أيّها الأهل، نعمل ونتعاون على تأمين المناعة الأخلاقيّة الصلبة التي نسلّح بها أولادنا وطلاّبنا في مواجهة الإغراءات المهينة التي يتعرّضون لها. إنطلاقًا من هذه النظرة، كانت توجّهاتنا تميل إلى تشجيع جميع اللقاءات الروحيّة والفنيّة، ولاسيّما الموسيقيّة منها، وكانت اهتماماتنا تتركّز على العمل الرعويّ الجامعيّ الذي نسعى أن يكون قاعدة لحياة جامعيّة كريمة وراقية.

**السؤال الخامس**: كيف نجعل من طريق الجامعة الغنيّة زهرًا وعطرًا وثمرًا وشجرًا، مدخلاً إلى مؤسّسة، جمالها الداخليّ أعمق وأرقى من جمالها الخارجيّ؟

كلّكم تقولون لنا، أيّها الأصدقاء: كم هي جميلة جامعتكم، مدخلاً وأبنيةً وملاعب وتجهيزات.

أجيب: هذا هو المناخ الذي نربّي فيه طلاّبنا، هنا، وفي فرعي الشمال والشوف، حيث الأبنية والتجهيزات تتميّز بالجمال والحداثة، إلاّ أنّ الأهمّ هو ما نعمل عليه من الناحية الأكاديميّة: أدعوكم، بمحبّة وتواضع، إلى زيارة المكتبة المليئة بآلاف الكتب، ومركز الكومبيوتر المستحدث بكلّ تفاصيله، ومركز اللغات الغنيّ بوسائله المبتكرة، والستوديو الذي يضارع أفضل استوديوهات الإذاعة والتلفزيون، وقاعات المحاضرات والامتحانات، والملاعب الكبرى، والمطابخ الحديثة، ومشاغل الهندسة ومختبرات العلوم، ومراكز الفنون: موسيقى وسيراميك وأزياء ورسم ومسرح وسينما... واختصر لأقول: لن نستريح... سنبقى نعمل، بكلّ تواضع وجديّة، حتى نصل بجامعتنا، من حيث مضمونها الأكاديميّ، إلى المستوى العالميّ المرموق. هذا هو شغلنا الدائم، أنا وإخوتي الرهبان؛ وهؤلاء الأساتذة الأفاضل شهود على هذه التوجّهات الجامعيّة.

أيّها الأصدقاء
مرّة جديدة، الحمد لله! اليوم، نحن أكثر ثقة بالمستقبل. إيماننا كبير بأنّ رئيسنا الجديد، فخامة العماد ميشال سليمان، رجل الوطنيّة والشجاعة والأخلاق، سيقود مسيرة لبنان نحو الخير والسلام والوفاق الوطنيّ، بالتعاون مع الحكومة الجديدة التي نأمل لرئيسها وأعضائها، مع تأليفها، النجاح والتقدّم.

كما أنّني أهنّىء الأهل والطلاّب والأساتذة والموظّفين، مؤكّدًا لهم المحبّة والتقدير، سائلاً الله، بصلوات مريم، شفيعة هذه الجامعة، أن يمنحنا العزم، لنواصل جهادنا من أجل الانسان ومجد لبنان.

عاشت جامعة سيّدة اللويزة. عاش لبنان.

وختامًا، وقبل تسليم الشّهادات ورفع القبّعات، شخصت العقولُ والقلوب إلى كلمة خطيبة حفل التخرّج هذا، أميرةِ الغناءِ النقيّ العُلويّ، **السيّدة ماجدة الرّومي**؛ قالت:

سلامٌ من طهارةِ ثوبِ مَنْ نخشعُ في حِضْنِها بسلام،
سلامٌ على جامعةِ سيِّدةِ اللويزة الموقَّرة،
رئيسًا وإدارةً، أساتذةً وطلاّبًا وضيوفًا كرامًا.
وبعدُ،
أقبّعاتٌ تزيِّنُ بفرحِها الفضاءَ والمساءَ ما نرى،
أم آمالٌ لبنانيةٌ كبيرة تردُمُ المَسافةَ بينَ الأرضِ والسَّماء،
صلواتٍ يستجيبُها اللهُ،
وهوَ، سبحانَه وَتعالى، مرّةً بعدُ وإلى الأبد،
مُصْغٍ، غفورٌ، يرأفُ بغَدِ لبنانَ وبشعبِه...
والآتي، أَجْمَلُ أَجمل.
قُبَّعاتٌ، كمثلِ رفوفِ الطيورِ، من أعلى قِمَمِنا تأتي،
لتلوِّنَ هذه العَشِيَّةَ المباركة بالعقولِ المُنيرة،
والقلوبِ الشُّجاعة المُحِبَّة،
يقبضُ مُعْتَمِروها على التَّغييرِ بيدٍ،
ويُطوِّعونَ المستحيلَ باليدِ الأُخرى.
هذا ما أراهُ يعصِفُ ببالِ كلٍّ منكم،
أيُّها الواقفونَ هنا على عَتَبَةِ الغد،
الآتونَ من أوكارِ النُّسور، من لبنان،
من نشيدِ أناشيدِ عَظَمَتِهِ وجَمالِه وخيرِه.
بالٌ يُحسَبُ لهُ ألفُ ألفُ حساب، مهما صَعُبَ الصَّعب.
كيف لا، وأنتم لنا رجاءٌ وأمل،
أنتمُ الوعدُ الدائمُ بسيادةٍ وخلاص،
وأنتمُ أنتم عكّازٌ للبنانَ الذي سلّمناكم إيَّاه على عكّاز،
يستجيرُ بكمْ أَنِ ارْحَموني:
لقد فَكَّكوا أوصالي، وأحْصَوا عظامي عظْمةً عظْمة.
أَلا ارْحَموني، وَهَبُوا لي أن أستريحَ بكمْ وفيكم،
في نبضِ قلوبِكُم،
في مِنْعَةِ سواعِدِكم،
في بياضِ أيديكُم،
في الْتِماعِ أَعيُنِكُم،
وأُعِدُكُمْ بأَنَّني لن أبكيَ بعدُ، كَمَنْ لا رجاءَ لهم.
هو لبنانُ... مُشْتاقٌ إليكمْ لبنان
شوقَ الجسدِ إلى الروح،
شوقَ الوترِ إلى الصَّوت،
شوقَ الفِكرِ إلى الوَرَقَةِ والقَلَم،
شوقَ العِلْمِ إلى الإبداع،
شوقَ السِّجْنِ إلى الْحُرِّيَّة،
شوقَ الكِتابِ إلى أناملَ جديدةٍ، إلى صفحةٍ جديدة،
شوقَ الغَدِ إلى الأَجْمَلِ الأبْهَى.
آخ، كَمْ أَطْلَلْنا كتابةَ صَفَحاتِنا بأَحْرُفٍ من ظُلُمات،
أما آنَ، إذًا، لآخِرِ صفحَةٍ أن تُطوى بحروفٍ من نور؟
بَلى...
وَيْحَنا، كِدْنا نَفْقُدُ على دروبِ الحربِ الطَّويلة، كلَّ وزناتِ لبنان،
فآن لنا أن نستريحَ لأنَّنا نُسْلِمُ إليكمُ الأمانةَ،
لأنَّكُمْ أهلٌ للوزنات، صدِّقوني.
لبنانُ مِنّا بَراءٌ، ومن زمنِنا الرَّديء،
سَيَطْوينا كما طوى الأسوأَ من عُمْرِه الْمَغْطوطِ بالخطر،
وسيَمْضي نَحْوَكُم،
رافِلاً بأمجادِه،
مُكَلِّلاً هامتَه بروحِ قدِّيسيهِ والأبرارِ من أبنائِه،
ومَن استُشْهِدوا من أجلِهِ،
ومَنْ شَهِدوا له بالحقّ.
صدِّقوني...
وجوهُكُمُ الفتيَّةُ النَّديَّةُ، العامرةُ فَرَحًا ونجاحًا،
تكفيني لأطمئِنَّ وأجزمَ أنّ لبنانَ الآتي بخير.
وأيُّ لبنان؟
لبنانُ، حُلْمُنا، لبنانُ الشَّعبُ، لا الأشخاصُ مهما عَظُمَ شأنُهُم ومكانتُهُم،
لبنانُ ميزانُ العدالةِ،
لبنانُ فضاءُ الْحُرِّيَّةِ،
لبنانُ الرِّيادةُ في محيطِه والعالَمِ الأوسَع:
ثقافةً وإنسانًا، قداسةً وقيمًا، غنًى وتنوّعًا.
لبنانُ اللهُ، لا الطوائفُ والمذاهب،
لبنانُ الشِّعرُ، المسرحُ، الأغنيةُ، المنحوتةُ، اللَّوحةُ، الرَّقصةُ،
لبنانُ الكَلِمَةُ.. هكذا كان في البَدْءِ،

وهكذا سيكونُ!
لبنانُ الإبداعُ المنبثقُ من
كاتدرائيَّاتِ الصُّخورِ العاليات،
حيثُ الأرزُ،
حيثُ أرزُ الرَّبّ.
ولكنْ... أرزُ الرَّبِّ للرَّبّ، أنسينا؟
وسَنُحاسَبُ على ما لَيسَ لنا، وقد
عامَلْناهُ كأنَّهُ لنا.
ربّما فاتَنا أنّه أكثر، أنَّهُ للأجيالِ
المقبلةِ،
وكلُّ أرزةٍ منه شاهدةٌ على مجدٍ،
وعلى خيرِ الأجيال التي مرَّتْ
وتعاقَبَتْ، وعلى شَرِّها أيضًا.
ونحنُ، أجل نحنُ، سنُحاسَبُ، بشدَّةٍ
وقسوةٍ، على أفعالٍ اقتَرَفْناها،
فعساكُمْ مِنها تَتَعَلَّمونَ تعتبرون.
أيُّها الرَّافعونَ قبَّعاتِكُم وأحلامَكُمَ
إلى أعلى سماء،
ها قد حانَ موعدُ الحَصادِ والقِطاف،

فأتوا لِبلادِكُم أن تُزْهِروا على شَجرِها براعمَ،
وتَنْعَقِدوا ثِمارًا،
وفي حقولِها سنابلَ،
وفي كرومِها عناقيدَ خير،
فتَتَّقطروا نبيذًا يُعَتَّقُ لأعراسِها،
وفي حدائِقِها وجنائِنها المعلَّقة على القَلبِ
والوِجدان، وروداً تَضْفُرُ أكاليلَ أمجادِها،
وإلاَّ لا تَعْتَبوا عليها إذا ما تولاَّها الغريبُ،
وأَعْمَلَ فيها وبِنا وبِكُمْ قهرًا وتنكيلاً.
صدِّقوني:
أنْتُمْ مِلْحُ هذهِ الأرض،
فَإذا فَسُدَ الْمِلْحُ، فَبِمَ يُمَلَّح؟.
ما كانتْ قِمَّةٌ إلا لِكُلِّ نَفْسٍ أَبِيَّةٍ شُجاعة،
وإذا كان أفلاطون وَجَدَ أنّ اثنين يَبْلُغانِ القممَ:
النسورُ والزواحف،
فَلْيَكُنْ من قِمَّةِ فَرَحِكُم إلى قِمَّةِ الأرض التي
إليها تنتمون، أنَّ لبنانَ لا يستحِقُّهُ إلاّ واحدٌ منَ
اثنين: إمَّا نَسْرٌ، وإمَّا نَسْرٌ.
هذا هو التَّحَدّي.
وعليهِ، لا لبنانَ من دونِكُم.
هذهِ هي الأمانةُ بينَ أيديكُمْ، والرِّهانُ عليكُم،

أنتم أبناءَ هذهِ الجبالِ الشَّامِخَة، والسُّهولِ
الخصبة،
أنتُمُ الوعدُ بخلاصِنا،
جِسرُ العبورِ إلى زَمانِنا الأجمل.
أنتمْ حُرَّاسُ هذا الهيكلِ المقدَّس،
ولا أظُنُّكُمْ تَقْبَلونَ أن يُنتَهَكَ الهيكَلُ وأنتُمْ
حُرَّاسُه.
فَأَنْ تَذودوا عنه، تذودوا عن الرَّبِّ،
ومَنْ تَجْبُنْ نَفْسُهُ، يَدِنْ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ،
وما أَنْتُمْ إلاَّ الحرّاسُ الأَصيلون.
أيُّها الذَّاهبون إلى الغَدِ، بفَرَح،
أودِعُكُمْ ذَخيرةً من مُعَلِّمٍ، لَه على لبنانَ، وعلى
هذهِ الجامعة، الكثيرُ الكثيرُ، عَنَيْتُ كبيرَنا
الأستاذ سعيد عقل،
وصيّةً هي، بَجمالِ ما كتبَ، وبنُبْلِ ما كتب:
يَشاءُونَني غَيْرَ نَضْرِ الْخيالْ،
كَما اللاَّ، وَلا عَبْقَريَّ الْغَدِ،
أَبَيْتُ، أَنا قُبْلَةُ الْمَوْعِدِ،
سَكَنْتُ بلادِيَ صُنْعَ الْمُحالْ،
سَأَسْكُنُهَا بَعْدُ، صُنْعَ يَدي.
فأينَ، أيُّها الأَحِبَّةُ، تودُّونَ أن تَسْكُنوا وتُسْكِنونا؟
والسَّلام.

أمّا طليعة الدّورة الآنسة **إمّا شافو**، **Emma Shaffo**، من كليّة العلوم الانسانيّة، فقالت:

"Getting an education is like digging a well with a needle." What is meant by this saying is that learning is a life long pursuit. Even Michelangelo at an advanced age said "I am still learning." Does learning only imply education? An innocent child can hold wisdom greater than any philosopher or thinker because he is truthful to himself and to the world. There are two types of knowledge: knowing what you know and knowing where to look to learn. In that way, one learns for the sake of learning.

Fellow graduates, we have followed a long path that has already made us learn much. The path we will be taking

tonight is yet a new step. It offers us 2 choices: to continue into the future or ponder upon the past. Needless to say, it is this choice that shall forever define us. Is there a right choice? For me, the key to going forward with no regrets is loving what one does. Love according to Erich Fromm is art since it involves a lot of hard work and effort. If that is the case, then most of our efforts are divinized by love. Not only am I then referring to the object of love, but I am also referring to the state in which a person is placed. In that state, time loses its limitations, hard work becomes genuine and fatigue turns to energy. What keeps scientists researching is their love of Truth. What keeps psychologists questioning is their love for understanding humanity and the hidden side of the human mind. Let us not however be deceived. As essential and beautiful as it is to believe in the grace of love, other factors are of equal importance.

It is often said that people cannot love others until they have loved themselves. I would also say that a person cannot believe in a dream until he has believed in himself. Belief here is not the equivalent of confidence or arrogance. It is instead faith, strength and perseverance. Knowing oneself means understanding one's strengths and weaknesses and knowing what one can achieve. Believe in yourself with all your might because you can realize your dreams. Faith empowers you and allows you to make complete use of your capabilities. Try to avoid thinking that you cannot and believe that you will. You will certainly succeed.

The last factor that I believe to be of utmost importance is perseverance. When we fail, we must try again. Schiller once said that the hardest steel gets the hardest fire. With strength comes endurance and perseverance.

Regardless of how we define success, the blend of our beliefs, love and hard work will help us ensure our success.

Many believe that a person is not an island. People do not live isolated from the world, they thus develop and mature with the support and help of many. In our case, NDU, an institution constituted of the cream of the cream, endowed us with the privileged of their wisdom. And in turn, we, the class of 2008 were privileged to have been the students of such great minds. I offer all my gratitude to NDU, to my Faculty of Humanities and to my family and friends to whom I say I stand here before you as a token of my appreciation for all your contributions. Because of you, I stand proud to say that I am a psychology student from NDU. Dr. Joseph Yacoub, your guidance has been my light to which I owe my deepest gratitude. Mr. Abou Jaoude, the person who always encouraged and believed in me, I tell you, "Thank you, you have been a mentor and a friend." To all the professors, who also include my father, your experience and wisdom have been the benchmark for our future. My dearest family and loved ones, your care and support are the best a person can have; thank you, and I hope you are proud of me. Fellow graduates I also thank you because together we have created a community full of promises and hope. I thank NDU for all what it has offered me and to all the opportunities that still await me.

It has been an honor for me to stand before you, and from a heart full of ambition and zeal, I bid you au revoir by sharing with you a small piece of the psychology I have learnt. I beseech you to live your hopes and dreams for your aspirations and beliefs reveal what you truly stand for.

God bless NDU. God bless you all, and thank you.

... وهذا ثبتٌ بأسماء الخرّيجين:

## FACULTY OF BUSINESS ADMINISTRATION & ECONOMICS

### ▼ MASTER OF BUSINESS ADMINISTRATION

### ▼ FINANCE

**Summer 2007**

RONY BECHARA AL-ACHKAR
ZAHER IMAD GHOUSSAINI
JOSEPH ELIAS MOUSSA
SAMER SEMAAN SFEIR

**Academic Year 2007-2008**

IBRAHIM JEAN ABOU HAIDAR
RITA ELIAS CHLALA AOUAD
ZEINA JOSEPH ATALLAH
LARA GEORGE BERBARI
CHADI MEKHAEL BOU SAADA
GHASSAN NABIL CHAKER
GHADA TAWK HAJ
ELIE GEORGES HAYDAMOUS
JACQUES CHARBEL SAYED KARAM
DALIA RAJI KHNEISSER
JOHNNY MICHEL MATAR
RACHA ELIAS NAOUM
RUBA YOUSSEF NASRALLAH
MARIANNA KHALIL ONEISSI
NIZAR SAMIR ZEID

### ▼ HUMAN RESOURCES MANAGEMENT

**Summer 2007**

NINA GEORGES HELOU

**Academic Year 2007-2008**

CLEMENCE ANTOINE KMEID
CHRISTELLE BECHARA SAMAHA

### ▼ MANAGEMENT AND STRATEGY

**Summer 2007**

ELIANE BOUSTANY TANASSI

**Academic Year 2007-2008**

IMAD MIKHAEL AKL
WALID MAROUN EL CHBEIR
ALAIN RAYMOND FARAH
FARES GEORGES FRAIFER

### ▼ MARKETING

**Academic Year 2007-2008**

RANA NAZIH NAKHLE

### ▼ ECONOMICS

**Academic Year 2007-2008**

KRYSTLE GEORGES MOARKECH

### ▼ PROJECT & OPERATIONS MANAGEMENT

**Academic Year 2007-2008**

NADINE KHALIL ABOU RJEILY
KAMAL GHANEM FAYAD
ANTOINE PIERRE SALHA

### ▼ MBA-MASTER OF SCIENCE IN INTERNATIONAL BUSINESS

**Summer 2007**

MILAD BECHARA ROUHANA

**Academic Year 2007-2008**

KRYSTEL ISMAT ABI NASR
FADY ROBERT BEJJANI
WADIH KOZHAYA BOU KHALIL
ROY CHAFIK BOU KHEIR
JAD HANNA EL HAJJ
RONALD HABIB FARAH
SAAD ELIAS GHANEM
CYNTHIA NABIL KARAM
ANTOINE ELIAS KATTAN
RAMZY RAMEZ SALLOUM

### ▼ BACHELOR OF BUSINESS ADMINISTRATION

**Summer 2007**

* STEPHAN LOUIS ABBOUD
ZIAD BOUTROS ABI RAAD
ROBEN JOSEPH ABOU RJEILY
NADINE NABIL AJRAM
MAHER SAMI AL HALABI
MOHAMAD BILAL HISHAM AL MALEH
GEORGE EMILE AMINE
MAZEN CHARBEL BADAOUI
IBRAHIM ADEL DAGHER
CYNTHIA MANSOUR EL BAYEH
ABDO ELIAS EL-HAJJ
ELIAS JOSEPH EL-KHOURY
RAMI SAMIR FREM
KATE ROBERT HADDAD
ADHAM FADI HALABI
PATRICIA GEORGES HANNA
WEDAD YOUSSEF HLEIHEL
NIDAL SLEIMAN IBRAHIM
JAD RAYMOND KAZAN
RAWAD ISSAM KHADDAJ
MARTINE GEORGE MAJDALANI
JULIEN JOSEPH MASRI
MIKHAEL KABALAN MIKHAEL
AMIN ANTOINE NASR
REINA TALAL NASSAR
JEAN-PIERRE BOUTROS RAHI
LILI GEORGES SADDI
RALPH PETER SALIBA
ELIE GEORGES SAYEGH
EDY BECHARA TANIOS
RABIH GHASSAN WEHBE

**Academic Year 2007-2008**

ZIAD ABDALLAH ABDEL NOUR
ELIE NABIL ABI HABIB
IMAD FOUAD ABI RIZK
ANTOINE YOUSSEF ABOU DIWAN
WAEL GHASSAN ABOU FARAJ

## FACULTY OF ARCHITECTURE, ART AND DESIGN

### ▼ MASTER OF ARTS

**Summer 2007**

### ▼ DESIGN

ANDRE TOUFIC BECHARA
CHRISTINE PIERRE NOUFAILY

### MASTER OF ARCH IN LANDSCAPE URBANISM

**Summer 2007**

DINA OMAR FAROUK EL-NASHAR

**Academic Year 2007-2008**

MICHELE ABDO EL HAJJE

### BACHELOR OF ARCHITECTURE

**Summer 2007**

ZAHI ISMAT KAWASS

**Academic Year 2007-2008**

* ABDO ELIAS AL BAROUKY
ROLAND RAYMOND DARROUS
CHANTAL FARID EL JURDI
JOUDY HABIB FEGHALI
RACHELLE ELIAS HADDAD
IMAD ABDO KFOURY

### ▼ BACHELOR OF ARTS

### ▼ GRAPHIC DESIGN

**Summer 2007**

GEORGES MIKHAEL ABDEL NOUR
WAEL HALIM ABOU AYYASH
MONA FADY ABOU JAOUDE
CHARBEL RIZKALLAH EID
ELIE MAROUN ESTEPHAN
MONAH HIKMAT HANI
MARWAN FRANCIS KHALIFE
* MUSTAPHA ISSAM SABRA
RABIH CAMILLE ZOGHEIB

**Academic Year 2007-2008**

* FATEN JAMIL ABDEL AHAD
EDDY GEORGE ABI ABDALLAH
* JANE YOUSSEF ABI ANTOUN
MAROUN HABIB ABOU NADER
HICHAM JOSEPH AOUN
****KHAJAG MEGUERDITCH APELIAN
* JOELLE YORGO BOGI
ROULA SAMI CHAHINE
* CHRISTEL ANTOINE CHAR
LILIANE NABIL CHLALI
SAMAR ANTOINE DIK
MANDY SAMI EL-ATRACHE
VIOLETTE MIKAEL FRANGIEH
JENNIFER RENE ISHAC MOUAWAD
RUDY AVEDIS KALOUSTIAN
LAURE GEORGE KHABBAZ
* FIRAS KARIM KOUKACHE
ROLLY GEORGE MANSOUR
MANAL NASER MOHTAR
RIBAL GEORGE NASR
YOUSSEF CHAFIC NASR
DIALA MANSOUR SAAD
LINA SAMIR SEBAALY
LAYAL AYOUB YAZBECK

### ▼ INTERIOR DESIGN

**Summer 2007**

TED NABIL DACCACHE

**Academic Year 2007-2008**

PETER NEEMTALAH ABOU HAIDAR

### ▼ MUSIC-MUSICOLOGY

**Academic Year 2007-2008**

****AHMED ZUHDI KARKANAWI

### ▼ MUSIC-MUSIMEDIALOGY

**Academic Year 2007-2008**

LEA GEORGE MENESSA

* Distinction ** High Distinction *** Highest Distinction**** Highest Rank in the Faculty for Academic Excellence ♦ General Khalil Kanaan Award

MAYA PIERRE ABOU JAMOUS
* ANTHONY JOSEPH ABOU KHATER
SALIM NAWAF ABOU ORM
ROY PIERRE ABOU ZEID
** RAWAD ARIG ABU KHUZAM
HABIB DAVID ACAR
NAYLA NAJI AKRA
ELIE MAROUN AL BOUSTANY
LILIAN KHALED AL GHADBAN
LARA SHAWKI AL HASSANIEH
ALISSAR AWAD AL NASRALLAH
CARLA JOSEPH AL-AZZI
IMAD BAHIJ AL-FATAYRI
DANY SAAD ALAM
* CHRISTEL MAROUN ANDRAOS
JOHNNY CHARLES ASHKAR
** JOSIANE GEORGES ASSAAD
JESSICA MAROUN ASSAF
**** JOSEPH MANSOUR ATALLAH
GEORGES ELIAS AYOUB
PHILIP PIERRE AYOUB
REINE IBRAHIM AYOUB
HANI BASSEM AZAR
TOUFIC RAFIC AZAR
JULIEN PIERRE BADER
* RASHA ZOUHEIR BARAKAT
HISHAM NADIM BASSILA
MOHAMAD YOUSUF BAWADI
* TAGHRID KAMAL BEAYNI
** VALERIE LOUTFALLAH BERBERI
BASSEM NABIH BOU ALI
* STEPHANIE JOSEPH BOU EID
KHALIL BRAHIM BOU FERRAA
DALIA LOUIS BOU MITRI
FOUAD ASSAAD BOUERY
JOY ROGER BOULOS
JAD SOLEIMAN BOUMOGHLBAIH
CHADI SAID BOUSTANI
MARIUS RAYMOND BOUTROS
* GHADA HANNOUN CHAHINE
LAMICE SAMI CHAMANDI
CARINE YOUSSEF CHEMALY
RALPH HANIBAAL CHOUEIRI
RONALD NOUHAD DAGHER
STEPHANIE RICHARD DAGHER
RITA NABIL DAHDAH
SAMER MICHEAL DAIBES
BACHIR ELIE DAOU
** RANA ANTOINE DIAB
NATALIE RICHARD EL ASMAR
GHANDY NAIM EL HAJJ
CAROLE GERGES EL KHOURY
* GEORGES EMILE EL KHOURY
GUITTA FOUAD EL KHOURY
MIREILLE IBRAHIM EL KHOURY
SERGE ANTOINE EL KHOURY DAOU
* NADINE YOUSSEF EL KHOURY SADER
SEMAAN YOUSSEF EL MURR
* MOUNJID SAMIH EL-AYOUBI
CARELLE FOUAD EL-KHAZEN
ABIR RAYMOND EL-KHOURY
** MYRIAM SALIM EL-MURR
FADY TANOS ESTEPHAN
GEORGE ROBERT FARRA
RIHAB JIHAD FAYAD
THERESE WAJIH FAYAD
STEPHANIE FOUAD FAYCAL
PAUL ANTOINE FENIANOS
JOELLE MIKAEL FRANGIEH
TONY TANNOUS FRANGIEH
ROLAND TONI GABRIEL
** ANTONY SELIM GEAGEA
ELIE ANTOINE GERGES
NORA NASSIM GHOSSAINI
CHRISTIAN JOSEPH HADDAD
JIMMY MOUNIR HADDAD
RAMY FOUAD HADDAD
DANI FARID HAGE
GHADY NAIM HAJJ
MARC ELIAS HAJJ
NAZIH JAWAD HAMADEH
WAEL NABIL HAMADEH
GEORGE HANNA HANNA
RITA GEORGES HARAGE
LAYAL PIERRE HARFOUCHE
ANTOINE HABIB HAWA
* ALINE FARES HEDARY
JOSEE JOSEPH HELOU EL
DAISY MIKHAEL HITTI
PAULINE JAWDAT IBRAHIM
YOUSSEF HAFEZ IBRAHIM
* ELSIE TANNOUS ISKANDAR
** HAYTHAM SANA JABER
ANIS TOUFIC JAHSHAN
FADI RAGHEB JAMAL
GEORGE ADIB JARROUGE
RALPH GEORGE KALDAWY
IHAB ADIB KASSAMANI
ANTOINE NICOLAS KHAIRALLAH
* RALPH RIZK KHALED EL REHBAN
* JOELLE KHALIL KHALIL
RICHARD KAYSSAR KHALIL
ANTOINE GERGES KHAWLY-EL
JOYCE ABDALLAH KHOURY
MAROUN JOSEPH KORKOMAZ
RONY-NEHME YOUSSEF LAHOUD
HECTOR GEORGES MAARAWI
* JAD ZARADACHT MADINA
ELIE DARWICHE MASSOUD
BERNARD HABIB MATTAR
NICOLAS HABIB MEDAWAR
MEGHRI ARDAVAZT MELKISSETIAN
** SANDY BELLE HANNA MIKAEL
MOUSSA
MIKHAEL SETRAK MISSIRIAN
VIVIANE FOUAD MNAYERJI
OLGA HABIB MOUAWAD
NATHALIA LEILA MILED MOUSSA
WISSAM SAMI MOUSSA
* MIRA BASSAM MURR (EL)
JOANNA ABDO NACOUZY
CYNTHIA CHARBEL NAIM
FADY NABIL NAKHLE
KATY EMILE NASR
** NICOLAS ANTOINE NASR
WALID KAMAL NASSAR
ZIAD BAHIJ NASSAR
DIANA ATEF NEAIMEH
** NADA SAMIR NOHRA
NAYLA CHARBEL NOURA
SANDRA USSEF OSTA
*** MARIO ANTOINE RACHED
JOHN RONALD RAHI
JAMAL ASSAAD RASHEED
RANA ANTOINE RICHMANY
CHRISTEL EZZAT RIZK
DANIEL MTANIOS RIZK
LOUIS MONAH SAAB
** ELIE KHEIR SAAD BISHARA
ANTOINE ISKANDAR SAADE
SAMI ADLI SAADEH
ROY YOUSSEF SABBAGH
ROLAND DESIRE HABIB SACCAL
RASHA SAID SAFA
MAROUN JAMAL SAGHBINI
SERGE HAGOP SAHAKIAN
* CHARBEL GEORGES SALAMEH
MIRNA FARES SALAMEH
WISSAM NABIL SALHAB
MICHELE ANTOINE SALIBY
SANDY ELIE SAWMA AWAD
JAD WALID SERHAN
CHRISTELLE ANTOINE SFEIR
SALIM IZZAT SHAMS
JEANETTE BOUTROS SLEIMAN
ROY JEAN TARABAY
KARIM FOUAD TAYOUN
NANCY NADIM TURC
** ELIE ANTOINE TURKY
DIMA RAJAA WALIE ADDINE
NATHALIE CLAUDE WEHBE
CHARBEL BECHARA YOUSSEF
PAUL PIERRE GEORGES YOUSSEF
HALA GEORGES YOUSSEF EL HELOU
CARLOS CHAWKI ZALAKET
*** LARA FARES ZANKOUL
MARWAN BOULOS ZGHEIB
** PATRIA CHARBEL ZGHEIB
CYNTHIA MIKAEL ZOUEIN

### ▼ BACHELOR OF HOTEL MANAGEMENT & TOURISM

**Summer 2007**

NADIM FARES ABOU RIZK
RICHARD RACHAD AYOUB
** CEDRIC VICTOR CHOUKEIR
KAMAL GIRGI DOUMET
RALPH ANTOINE SREIH

**Academic Year 2007-2008**

ANTOINE ABBOUD ABI RAMIA
ELIE FOUAD ABOU DIWAN
** GHINA EHSSAN ABOU CHAHLA
JOHNNY JOSEPH ABOU MILA HAYEK
MANUELLA BENITO ANGELINI
MARCELINO ELIA AOUAD
JOELLE ELIAS ASBO
JOELLA CARLOS AZAR
LAYAL ELIAS BAAKLINI
* FARAH MOUSTAFA BAGHDADI
ANTHONY ELIE BECHARA
BASHIR RIZKALLAH BECHARA
RUBA SAMI BERBARI
NOHA-LYZANNE WAJIH BOU KARAM
DANIEL SELIM BOUDJOK
PIERRE SELIM CATAFAGO
SANDRA ALPHONSE CHEMALY
ELIE FARIZ DABBAK
BOUTROS BOUTROS DAHER
* ROUAIDA EID EL KHOURY
BAHAA ISSAM FATAIRY
ALAIN BOUTROS GHOSN
NAJIB GEORGES HAIBY
JEAN MICHEL HANNA
ZIAD NOEL NAZIH MICHEL HAROUN
MOHAMED AMIR MOUSTAFA JARDALI
PATRICIA TONI KADDISSI
ZAHI JOSEPH KAHAWATY
NADIM GEORGE KHOURY BORGI
DZILA NAZARETH MARDIGIAN
CARLOS SAMI MOUAWAD
MARYSE JACK MOUBARAK
SAMER SAMIR NAOUM
* JOSETTE RACHED NOUJAIM
ELIE CHARBEL RAII
KATY JEAN EL SAARDI
ETIENNE GEORGES SABBAGH
ALAIN GEORGES SAYEGH
PIERRE JEAN SEMAAN

## FACULTY OF ENGINEERING

### ▼ BACHELOR OF ENGINEERING

### ▼ CIVIL ENGINEERING

**Summer 2007**

* JAD SAMIR BARDAWIL
HABIB SLEIMAN HADDAD
GHASSAN SAMIR NACCOUR

**Academic Year 2007-2008**

*** OMAR EID EL KHOURY
ANDRE VICTOR HANNOUCH KEYROUZ
* YARA SALAH MAALOUF
GAREN HRAYR MOURADIAN
SAMER SALLOUM NICOLAS

### ▼ COMPUTER & COMMUNICATION ENGINEERING

**Summer 2007**

** ELIE GERYES ALAM
* LARA HANNA AOUN
MONZER MALEK DANNAOUI
JACQUES KHALIL EL-KHOURY
IMAD ELIAS HANNA
SHADY BOTROS KEYROUZ
ANTONIO MICHEL LAHOUD BOUTROS
SAMER JEAN NAOUM
RAWAD SLEIMEN RIZK

JOSEPH SAMI SALIBA
*** MARLON NABIL SAWAYA
RABIH ADIB YAACOUB
ELIAS ASSAD YAZBECK

**Academic Year 2007-2008**

*** NADINE FAWAZ ABBAS
**** AMIN NAZIH ABDELKHALEK
SIMON GERGI ABI SAAD
ROY FADY ABOU ARRAJ
CAMILLE ANTOINE ABOU NADER
NIBAL NABIH AL AYASS
* ANTONIO GERGES AL-KHOURY
JOE ANTOINE AMINE
RALPH PIERRE AYOUB
BASHAR RAMEZ BASHNAK
CHARBEL ABDEL KARIM BECHARA
MIDHAT ADNAN BOU DIAB
*** SAMER RAMZI BOU HAMDAN
ABBAS HAYEL BOU NASSIF
ABDEL AZIZ MOHAMED BOU ORM
SAMIR GEORGE BOU SAMRA
NABIL MAURICE CHAMY
** RAWIA HANNA CHIDIAC
TONY BOUTROS DAOUD MOUSSA
NICOLAS FRANCIS EL MIR
MARIANNE ANTOUN EL-KASSIS
*** CHARBEL PAUL EL-KHOURY
RABIH IBRAHIM EL-KHOURY
ANTOINE ELIE EL-KHOURY EID
IMAD GEORGES ESTEPHAN
CLAUDE ANTONIOS FACHKHA
NAJIB MHAMMAD FAKHREDDIN
ELIE MOUNIR FARAH
PASCAL GEORGE GHOBEIRA
* DANIEL NAJA HAGE
JOSEPH JEAN HAGE
ELIE MICHEL HAIDAMOUS
ALAA' CHAWKI HASSAN
MOHAMMAD FOUAD HIJJAWI
** MAZEN ATEF HILAL
NATHALIE ALEXI HITTI
CHARBEL KEYROUZ KEYROUZ
RAMI SALEM KHNAYZIR
ROGER YOUSSEF KHOURY SADER
JOELLE RAYMOND KHOURY-EL
* NABIL SALMAN MAHER
ELIAS BADIH MASSAAD
* KRYSTEL ELIAS MHANNA
** RAZMIG KEVORK MICHAELIAN
MAURICE CARLOS NASR
NIJAD SALMEN NASR
RAFEH AJWAD NASR
*** ROUBA GERGES NEHME
CHARLES RAYMOND ORFALI
ZIAD GEORGES ORFALI
** WILLIAM WILLIAM RAYESS
MARIO JOSEPH ROUHANA
DANI KHALED SAAB
CHEKRALLAH RIZKALLAH SALAMEH
** SAMER AMAL SAMARA
SOUAD SIMON SHAMIEH(EL)
TAREK YOUSSEF TABCHI
* NAJAT WAHIB YOUNES
ELIE MAHBOUB YOUSSEF
*** FARID ELIAS ZAHRAN

### ▼ ELECTRICAL ENGINEERING

**Summer 2007**

OSAMA WAJIH BAZ
JOSEPH IBRAHIM CHAMOUN
PETER ANDRE SIMON

**Academic Year 2007-2008**

LAYAL MICHEL ABDO
SAMIR HENRY ADWAN
NABIH GERGI AKIKI
AHMAD ALI AOUDE
RALPH MICHEL AZZAM
ELIAS GABRIEL CHAIBAN
* GEORGES WALID DAOU
NADIM AZAR GERGES
* CEDRIC MILAD GHOUSSOUB
* CHARBEL ELIE NASSAR
NABIL RAFIC NAWFAL
ELIE ANWAR NEHMEH
GEORGES RAMEZ RACHID
ANTOINE TOUFIC RAHME
MAHER ROUMANOS DIT RAYMOND SARKIS
ALBERT SIMAAN SHAMIEH
* GEORGE MICHEL YAZBECK

### ▼ MECHANICAL ENGINEERING

**Summer 2007**

SAYED MORRIS ABBAS
TONY GEORGES ABI NAKHOUL
FARID TANIOS AKIKI
MAROUN ELIAS CHOUCAIR
JEAN-PIERRE MICHEL EL KHOURY
DAVID HANNA MERHEB-BASSIL

**Academic Year 2007-2008**

HICHAM ANTOINE (EL) KHOUEIRY
** HASAN FOUAD ALY YOUNESS
JEFF ANTOINE AMINE
BACHIR JEAN AOUAD
** OHANNES MARDIROS ARAMALI
JAD ARIDA ARIDA
GILBERT NABIL AYOUB
JEFFREY RAYMOND DAOU
SAMIR ELIAS DEKKO
** BERJ KRIKOR DEMERJIAN
CHAFIK FAYEZ EL KADY
* CHARBEL FARES EL KHOURY
NADER MONIR EL-HAGE SHEHADEH
GERGES RAYMOND EL-HAJJ
SAMIR ROBERT EL-HAYEK
CHARBEL SLEIMAN EL-HELOU
* TONY NAMETALLAH EL-KHOURY
ELIAS AWAD FAHED
MICHEAL TANIOS GHANEM
NAJI MICHEL HANTOUCHE
* KHALIL MALEK JABBOUR
* EDDY ELIAS JALBOUT
MARC ABDALLAH KADDOUM
JOHNNY JOSEPH KAMEL
JOSEPH HIKMAT KARAM
JULES NABIL KARAM
BASSEM RACHID KHALIL
RAMA ADIB KHATTAR
NICOLE ANTOUN LABA
* NADIM RICHARD MAAMARI
KARIM RACHID MASSIHI
YOUSSEF GEORGES MERHY
* BASSAM ELIE MOUKARZEL
CHADI GHASSAN MOUSSA
GEORGE ELIAS NAHRA
CARLOS GEORGES NAKHOUL
MAZEN ELIAS NAOUM
ALAIN ALBERT SERHAN
* ALI RIAD SOUFAN
ELIE MICHEL WAKIM
JEAN-PAUL AMINE ZAKHOUR
RAYAN JOSEPH ZAKHOUR

## FACULTY OF HUMANITIES

### ▼ MASTER OF ARTS

### ▼ ENGLISH

**Summer 2007**

VALERIE AYOUB AOUN
ZEINA GEORGES TRAD

**Academic Year 2007-2008**

SANDRA MANSOUR BECHARA
SANDRA ANTOINE DOUAIHER
NEZAR RAYMOND KEYROUZ

### ▼ EDUCATION

**Summer 2007**

SR. SAMIA JEAN ABOU-SHAKRA
KATHLEEN ACKLEN BATTAH
JUPITER HENRY BOUZERDAN
RIMA TANNOUS GHALEB BECHARA
RITA RAYMOND GHANEM-ZGHEIB

**Academic Year 2007-2008**

YASMINE ALBERT CHARTOUNI
RITA ALBERT NASRALLAH
ANTONIO JOSEPH WAKIM

### ▼ MEDIA STUDIES

**Summer 2007**

HANANE RAJA GHARZOUZI

**Academic Year 2007-2008**

MARIA SAMIR ABOU ANTOUN
DINA SHAWKAT ACHKAR
ALINE SAMI EL MURR
WASSIL GEORGES EL-KHOURY
RANA TONY GHAWSH
GLORIA EMILE KABA
NADA ANTOINE KHALED
NOURA MELHEM KHATTAR
MARIETTE MASSOUD MOKBEL
MELHEM ANTOINE RECHDAN
JOELLE EMILE RIACHI
DIANA NAZIH RIZK
SHERYN ELIE SALIBA
KRYSTEL ANTOINE YOUNES
SANDRA ELIAS YOUNES
BERTHE HAMID EL ZEENNI

### ▼ TRANSLATION & INTERPRETERSHIP

**Academic Year 2007-2008**

ALINE ABDO AL-KHAWAJA

### ▼ BACHELOR OF ARTS

### ▼ ADVERTISING AND MARKETING

**Summer 2007**

LAYAL ISSAM ACHKAR
GEORGIO BECHARA ASSI
TAGHRID MAROUN DACCACHE
CHARBEL CAMIL EL KHABBAZ
DALIA ELIAS FARAH
SHADI ABDALLAH FARAH
JOSE TOUFIC GHOSTINE ABI NASSIF
** ZEINA KAMIL HABCHI
* KAREN ROBERT HADDAD
JOELLE MOUNIR LAMEH
NIZAR NAZIH MAHMOUD
PASCALE GEORGES MOUSSAWBAH
PERLA ELIAS NAKHOUL
** LARA RAYMOND SALAMEH
CEDRIC ROGER ZAYOUN

**Academic Year 2007-2008**

* PATRICIA GEORGES ABI FADEL
RAWAD KAMAL ABOU HADIR
AMINE FADI ADEM
MARIE MICHEL AKL
CHRISTOPHER FADI AL-HADDAD
CRISTINA GEORGE AOUN
SARINE KEVORK ASSILIAN
GRACE ADIB ATTIE
SUZAN ANTOINE BOU SANAYEH
ROBERT MAROUN BOU-DAGHER
NATHALIE MAROUN CHELALA
INGRID HANIBAAL CHOUEIRI
ALINE BECHARA DOUMIT
JESSY JOY EID
REBECCA CHARBEL EL CHEMALY
JOE RAYMOND EL HELOU
MARWAN JEAN EL KHOURY
JOUMANA BAHAADDINE EL ZAATITI
* NAYLA JOSEPH EL-HAGE
* ZEINA MICHEL FAISSAL
SANDRA YOUSEPH GEAGEA
CHRISTELLE ELIE GEMAYEL
CYNTHIA SELIM KNOWN MICHEL GHANTOUS

ALINE TOUFIC GHORAYEB
MATHEW MELHEM HADDAD
ZEINA ELIAS HAIDAMOUS
MARIANNE FRANCOIS HAKIM
ROCK ADEL HAKIM
MARIO ROGER HUWAYEK
** HANEEN WALID JOUDIYEH
NATHALIE AVEDIS KALOUSTIAN
ROY JOSEPH KANDALAFT
NADI GEORGE KARKABI
HIBA FARID KASSAMANI
CHERINE ROGER KEYROUZ
YOUSSEF MELHEM KHALAF
* YASMINE SLEIMAN KHALED ROHBAN
RACHELLE KRAYEM KRAYEM
JEAN PIERRE PIERRE LAMAK
JOSEPH GHASSAN LOUTFI
SANDY ZAKHIA MAHFOUZ
MONAH RAOUF MAHMOUD
ELIE JOSEPH MAKSOUD
MARIA EDMOND MANOUK
JOELLE CHARBEL MAROUN
DALIA NABIL MATTAR

GEORGE GABRIEL MOUGHAIZEL
SAMER ANTONIOUS NAJM
** SANAA ANTOUN NASSAR
ATALLAH JEAN NEMR
GEORGE JOSEPH RAHME
ELIO ROGER SAAD
NANCY ISSAM SAADE
NABIL AFIF SABA
STEPHANY ANDREA SABELLA
MANAL IMAD SAFETLY
MIKHAEL SEMAAN SALIBA
ROBERT HRATCH SARKISSIAN
RITA NABIL SAYEGH
SHATHA IMAD SHADID
JEANNE D'ARC CHARBEL TANIOS
SIMON MARCEL YAZBECK EL RAMADI
PASCALE CHARLES YOUNES
STEPHANIE ABDO YOUWAKIM

### ▼ COMMUNICATION ARTS

**Summer 2007**

GIANNIS (YANNIS) VA'CLAV FAU
ELIE TANIOS KAYROUZ

**Academic Year 2007-2008**

L'EMIRA NOOR L'EMIR AYSAR ABILLAMA
MARIANNE AYOUB AOUN
MICHAEL EDWARD ASSILI
** RANIA JOSEPH ATALLAH
* JESSICA JOSEPH AZAR
MICHELLA ELIE BTEICHE
DIANA HANNA CHALLITA
NANCY GEORGES CORBAN
* CHRISTINE AYOUB EL CHEIKH
** MARWAN JEAN EL KHOURY
CHADI RIAD GHSOUB
ELIANE BECHARA HARFOUCHE
NATALY MASSOUD MOKBEL

### ▼ EDUCATION

**Summer 2007**

** AISHA HASSAN EL-SAYED

**Academic Year 2007-2008**

LAYAL MICHEL AJRAM
SIMA BASIM AKKAWI
NADINE RAYMOND AOUN
SIYARAA OSAMA SHAIKH
CHRISTIE CARLA JOSEPH SHERFAN

### ▼ ENGLISH

**Summer 2007**

HANAN AMER AL-JURDI

**Academic Year 2007-2008**

** NESREEN NINA YASSER ACHKAR
FARAH KHALED AL-HASSANIEH
SUZAN TALIE GHANEM
* EMILIE JEAN HAGE
CARMEN RAYMOND HASHEM
* NADINE NAJIB KARAM

### ▼ PHYSICAL EDUCATION & SPORT

**Summer 2007**

GASPARD GHAZY ISHAK

**Academic Year 2007-2008**

HANI NABIL ASSI
ELIAS ANTOUN BOULOS
RONY HANNA LATTOUF
WAJDY GERGI MASSAAD
SHEREENE ISKANDAR SAADE
ALIC HRAIR TABAKIAN PANOYAN

### ▼ PSYCHOLOGY

**Academic Year 2007-2008**

SUZANNA SAYED BASSIM
TEDDY BECHARA CHALOUHI
MANDALENA CHARALAMBOS CHARALAMBOUS
JOYCE SALIM CHEDID
* JULIET MARIO DAHBOUL
** REEMA HASSAN EL SAYED
*** MAYA YOUSSEF EL-HAWA
* ELIAS SAMIR HALABI
MIRIAM MIKE MATTOUK
MIRNA ISKANDAR MOUCARRI
JUDITH GHASSAN FEREZLI MUCHLER
* TALA AYED NOWEISSER
****♦ EMMA RAJA SHAFFU
MADELENE GEORGE ZWAIN

### ▼ TRANSLATION & INTERPRETERSHIP

**Academic Year 2007-2008**

* GHINA EHSAN ABOU HAMDAN
ALINE SAMI AZZI
ELMA GEORGES EID
ROLA HANI KAIS
LAYAL GHASSAN MROUE

## FACULTY OF NATURAL AND APPLIED SCIENCES

### ▼ MASTER OF SCIENCE

### ▼ COMPUTER SCIENCE

**Summer 2007**

JAWAD MELHEM ALAM
MARIO ANTOINE AOUN

**Academic Year 2007-2008**

WASSIM GEORGES ABOU RJAILI
ELIE ATEF ABOU YAFET
RANA JOSEPH AZAR
GEBRAN JEAN BOU SLEIMAN
GUITTA MALEK BOUSTANY
ADON NAIM DOUMIT
FADI VICTOR HANNOUN
TONY GEORGE ISTAMBOULY
ALAIN NADIM MAKSOUD
FOUAD SAMIR SAYEGH
ELIAS TONI TANNOURY

### ▼ MATHEMATICS

**Academic Year 2007-2008**

DALIA MARWAN EL BITAR
WASSIM HABIB RAI
ELIANE JOSEPH RIZK
NADINE RENE WEBER

### ▼ BACHELOR OF SCIENCE

### ▼ ACTUARIAL SCIENCE AND INSURANCE

**Academic Year 2007-2008**

*** NATHALIE GEORGES BAKALIAN

### ▼ BIOLOGY

**Summer 2007**

ELIE MICHEL SALEM SOKHN

**Academic Year 2007-2008**

*** NAGHAM SAMIR ABOU SHAKRA
* MAYA MARWAN AL HASSANIEH
** LAMA NAJA BOU KARROUM
*** LARA JEAN CHAAYA
*** ELIAS ABDO DAHDOUH
** JOSEPH JOSEPH EID
*** STEPHANY ELIAS EL-HAYEK
* LABIBE GEORGES EL-OJEIL
JABBOUR HABIB EL-ZAYEK
* DIVA JOSEPH KALASH EL-KHOURY
*** BASSEM DAOUD KHALIL
RANA RAMEH KORTBAWI
HALA SAYED MAKHLOUF
** RIM JAMAL SUCCARI
* SAMAR SLAIMAN THEBIAN
MOHAMMED YASSER MOHAMMED
HANNY ZAHABI

### ▼ PHYSICS

**Academic Year 2007-2008**

LAYAL MAROUN DACCACHE

### ▼ BUSINESS COMPUTING

**Summer 2007**

ELIE JOSEPH ABI FARAH
NIZAR TALEB ARNOUS
ELIAS NAWAF AZZAM
ELIAS ANTOINE EL DEEK
MARIO MOUFEED FARAH
FATEN KASSEM HARFOUCHE
GEORGE NABIL KATTAR
THIERRY SAMIR KHOURY
JAMIL ELIAS MAALOUF

**Academic Year 2007-2008**

SAMAR YEHIA ABOU LTEIF
MICHEL CHAWKI ABOU RJEILEH
ELIE SABEH ABOU SAAB
BASSAM GEORGES ANTOUN
YOUSSEF ELIE AOUN
ELIAS PIERRE BITAR-EL
AYMAN SAMIR BOU HAMDAN
ISHKHAN JOSEPH BOZABALIAN
ALBERT NABIL BUSTROS
TONY BECHARA CHALOUHI
AMINE ZAHI CHAMOUN
ALI KASSEM DAABOUL
BASSEM MAHER HADDAD
ANTOINE SALIM HAWA
CHARBEL GEORGI KHALIL
ZIAD KHAZAAL KHAZAAL
NICOLAS AZZAM KHOURY
GEORGE MAURICE KOZEILY
CHARBEL ASSAAD LAHOUD

WAEL OSAMA MAHMOUD
** NANCY RIAD MANSOUR
MOHAMAD NABIL MASRY
ZEINA ELIAS MAZLOUM
ELIE JUNIOR ELIE MOUSSA
GEORGES MANSOUR NEMR
TOUFIC YOUSSEF NOHRA
FADI JEAN RADI
RAWZABA GHASSAN RICHANI
NABIL FAWZI SAAB HARB

### ▼ COMPUTER SCIENCE

**Summer 2007**

CHANTAL ELIE ABOU RJEILY
NAIIM GERGI AL-KOURANI
LARA JEAN AOUN
* YACOUB ISHAK ISHAK
ISSAM ASSAAD ISSA
SAMIR ZAKARIA SHAKER

**Academic Year 2007-2008**

WALID FADEL ABO KHZAM
ROLAND ELIE ABOU JAOUDE
RAMZI GEORGE ABOU RAHAL
ROGER SAMI AKL
KAMEL JAWAD AL GHOUSSAINY
EDDY KHALIL ASMAR
NANCY SAMIR AZZI
JAD MAURICE BOU NEHME
GEORGES KHEIR CHALHOUB
DARINE BECHARA DOUMIT
RANA ANIS EL HASSANIEH
ROY JEAN EL KHOURY
RAWAD GHASSAN EL MORR
* CARLA HADAYA EL SEBAALY
** SANDY WALID EL-ACHKAR
FOUAD SAMUEL FARAH
RAWAD JOSEPH FARHAT
HRAG BOGHOS GHOUGASSIAN
FIRAS BASSAM GHOUSSAINY
ALI ADNAN HABACH
RALPH HARB HARB
** JOWE KAMAL HARFOUCHE
** SANDRA FOUAD HARIKA
GEORGES MAURICE HAWA
KRYSTELL SAMI JABER
EMILE NABIL JALKH
MELISSA MELHEM KHOURY EL
ROY HANI LOUTFALLAH
RAMY ALFRED MATTA
ELIANA SAMIR MORCOS
SABINE MICHEAL NACOUZI
ELIAS NAYEF NAWFAL
MARCELLINO MARCEL NEHME
NASSIB TANIOS SAADE
JINANE ADIB SALIBA
JOYCE HAMID TAWK
RAMZY NABIL TEENY
ETIENNE KANAAN WANSA
* OMAR RIAD ZEINEDDINE

### ▼ GEOGRAPHICAL INFORMATION SYSTEMS

**Summer 2007**

SAMER SAMI JAD

**Academic Year 2007-2008**

ELIAS SOUHEIL AL HAYEK
GHATTAS GHAZY CHEHADE
****BERNADETTE FARIZ DABBAK(EL)
DANIEL MOUNIR HAKMEH
MARIO PAUL YASMINE

### ▼ MATHEMATICS

**Academic Year 2007-2008**

*** KHULOUD FOUAD ABDULBAKI
NIZAR NADIM HAMZEH
RAMZI ZOUHEIR ZEINEDDINE

### ▼ MEDICAL LABORATORY TECHNOLOGY

**Academic Year 2007-2008**

TAHANI CHIBLY ASSAF
** RANA ISSAM BADDOUR
HIBA ISSAM BAWADI
LAMISSE EMILE EL KHOURY
** LAYLA HASSAN EL SAYED
BAHAA JAWDAT FAYAD
RITA GEORGE KMEID
SABINE JOSEPH YOUSSEF
* RASHA SALMAN ZEBIAN

### ▼ NUTRITION & DIETETICS

**Summer 2007**

** LILIAN YASSER HALABY
* HALA FADEL HAMAOUI
** RONZA ANTOINE SAADEH

**Academic Year 2007-2008**

** LAYAL HANI ABOU GHANEM
* ABEER JAWAD AL JURDY
VALESSA MILAD ARROUK
*** SOPHIE ANWAR AWAD
ALHAN NASSER AZZAM
IMAN HASSAN BALHAS
SUZANA NABIL BOU EZZEDDINE
CHRISTELLE CHAFIC CHALOUHI
LILIANE NABIL DEBS
* ROULA KARIM EL LABAKI
** ROUBA RABAH EL-ASMAR
MARIAM MONZER EL-KADI
** TALAR MISSAK FOSSIAN
CYNTHIA MANSOUR FREIHA
ROWAIDA HIKMAT GHANEM
** DIANA TAWFIC GHANNAM
* MARIANE GEORGE GHOBEIRA
RANA BOUTROS HADDAD
* PERLA NABIL HARFOUCHE
* LILIAN FAWZI JAAFAR
SUZANNE ANTOUN KABRITE
ROSE MARY GHOSTINE KHOURY
GEORGINA MAURICE KOZEILY
FABIENNE ELIAS MAKADESSI
MELISSA GEORGES MASRI
* STEPHANIE FADI MERHEJ
MARIA CAMIL MOHASSEB
SAFA AHMAD NEMER
KAREN FOUAD SAMAHA
* CHANTAL JEAN SROUJI
*** AMANDA GEORGE YAACOUB

## FACULTY OF POLITICAL SCIENCE PUBLIC ADMINISTRATION & DIPLOMACY

### ▼ MASTER OF ARTS

### ▼ INTERNATIONAL AFFAIRS & DIPLOMACY

**Academic Year 2007-2008**

JESSY SAID ABOUARAB
NAYLA VICTOR BASSIL BASBOUS
ELIAS JOSEPH EL-MORR
FELIX ANTOUN EL-MURR

### ▼ INTERNATIONAL LAW

**Summer 2007**

PASCALE ANDRAOS DAHROUJ

**Academic Year 2007-2008**

ANTOINE NABIL BATTIKH
RAYMOND HANNA KHATTAR

### ▼ PUBLIC ADMINISTRATION

**Academic Year 2007-2008**

RITA JEAN CHIDIAC
JOSIANNE CHARBEL FEGHALI

### ▼ BACHELOR OF ARTS

### ▼ INTERNATIONAL AFFAIRS & DIPLOMACY

**Summer 2007**

VALERIE NOEL DALATI
RANIA SOUBHI EL HAJJ MOUSSA
HUSSEIN KAMEEL GHOUSSAINY
* JEFFREY GHASSAN KARAM

**Academic Year 2007-2008**

* KATIA BOUTROS ABI RAMIA
CARINE GEORGE ABOU GHAZALEH
JOSEPH MTANIOS AYOUB
TAREK ROBERT BAROUD
**** PAMELA GEORGES CHEMALI
FOUAD GHASSAN DIAB
MYRIAM ANTOINE EL-SAYEGH
KHALED WALID KARAM
RACHEL NAIM MAKSOUD
VANESSA ABDO NASSAR
* JOELLE MTANIOS RIZK
** PIERRE GERGES SAADE
STEPHANIE TONI SAFI
ELIAS GEORGE SAHYOUN
ELIAS GEORGES SALHAB
TANIA ANTOINE TOUTOUNJI
* JESSICA MICHEL WAKIM

### ▼ POLITICAL SCIENCE

**Academic Year 2007-2008**

JIHANE RIDA KHAZEN EL

### ▼ PUBLIC ADMINISTRATION

**Academic Year 2007-2008**

RACHELLE IMAD BOHSALI
MAGUY SALEM EL AKKARY
ELIE ELIAS HABIB
VICTOR KAMAL JABBOUR
CHADI GHASSAN NACHABE
LEYLA SAMIR ZEYDAN

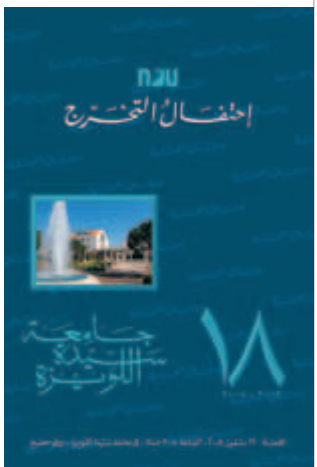

بيـــان

# بيان لرؤساء الجامعات الكاثوليكيّة الخمس في لبنان

٠٨/١٢/٢

عقد رؤساء الجامعات الكاثوليكيّة الخمس في لبنان، وهي جامعة القِدّيس يوسُف، وجامعة الروح القدس – الكسليك، وجامعة سيّدة اللويزة، والجامعة الأنطونيّة، وجامعة الحكمة، اجتماعهم الدوريّ يوم الثلاثاء ٢ كانون الأوّل ٢٠٠٨، وأصدروا في ختامه البيان الآتي :

إنّ الحوادث الخطيرة التي وقعت مؤخّرًا في عددٍ من الجامعات تستدعي أن نتّخذ موقفًا حازمًا منها. فإنّ من شأنها، إذا تجدَّدت وتفاقمَت، أن تهدّد مصيرَ السنة الجامعيّة، وأنْ تمَسَّ بالرسالة التي تضطلع مؤسّساتنا بها. وإذ نَدين بشدّة هذه الأحداث، يهمّنا أن نؤكّد في هذه الظروف بالذات تعلّقنا بالقِيَم وبالمبادئ التأسيسيّة التي نستوحيها ونعمل بهديها.

١. إنّ جامعاتنا هي المكان الذي يكتسب فيه طلّابنا المعارف والمهارات التي تُعِدّهم لممارسة المهنة التي اختاروها. وستتّخذ الإدارات المعنيّة كافّة الإجراءات والتدابير الكفيلة بأن تؤمّن داخل الأحرام الجامعيّة، النظام، والهدوء، والاستقرار، والأجواء الملائمة للدراسة. وهي ستلجأ آسفةً إلى إنزال أشدّ العقوبات بالطلّاب الذين يعرّضون سلامة زملائهم، أو الأساتذة، أو الموظّفين للخطر، ويتسبَّبون بالإخلال بحُسن سير الدراسة، وتعطيلِ الحياة الجامعيّة.

٢. وجامعاتنا هي أيضًا المكان الذي يتمرّس فيه طلّابنا بالحياة الديموقراطيّة السليمة. وهي، بحكم كونها جامعات كاثوليكيّة، تفتح أبوابها لاستقبال جميع الطلّاب، بدون أيّة تفرقة أو أيّ تمييز. وإنّنا مصمّمون أكثر من أيّ وقتٍ مضى على التمسّك بهذا الانفتاح. فيحقُّ لجميع الطلّاب، بصرف النظر عن جنسيّتهم، وديانتهم، ومذهبهم، وأوضاعهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وانتماءاتهم السياسيّة، أن يعامَلوا على قدم المساواة. ونحن ندعو جميع الأطراف المعنيّة داخل جامعاتنا إلى تعزيز الحريّات، وتعدّد الآراء وتنوّعها. وإنّنا ننتظرُ بصورة خاصّة من طلّابنا أن يحترموا حقّ كلّ فردٍ من أفراد أسرة الجامعة في الاختلاف، وننتظر منهم أيضًا ممارسةً مستمرّة للحوار العقلانيّ، الرصين والسلميّ. ونذكّرهم بأنّ اللجوء إلى التخويف، والتهديد، والعنف، إن على مستوى الخطاب أو الأفعال، يشكّل انتهاكًا لقوانين الجامعة وأنظمتها، ويتنافى وطبيعة رسالتها. ولن نقبَلَ أبدًا بهذا النوع من المواقف والتصرّفات، مهما كانت الحجج والذرائع.

٣. إنّ جامعاتنا هي في صميم المجتمع، وفي خدمته، وهي تتعاطف مع مشاكله وهمومه. وإنّ رؤساء الجامعات الكاثوليكيّة، إذ يجدّدون تمسّكهم باستقلاليّة مؤسّساتهم، يحثّون جميعَ الأحزاب، والحركات، والتيّارات السياسيّة، والزعماءَ كافّةً، على تحمّل مسؤوليّاتهم، ويناشدونهم تجنّب الخطابات والتدخّلات التي من شأنها أن تنقل التوتّر الناتج عن انقساماتهم إلى داخل الأحرام الجامعيّة.

٤. إنَّ رؤساء الجامعات الكاثوليكيّة يُدركون قلقَ أولياء الطلّاب ومخاوفهم، ويتفهَّمونها تمامًا. وإذ يحرصون على طمأنتهم إلى أنّهم سيقومونَ بكلّ ما يؤول إلى حفظ الأمن واستتبابه في الأحرام الجامعيّة، وإلى ترسيخ علاقات التفاهم والإلفة بين الطلّاب، يدعونهم إلى مشاركتهم في بذل الجهود الرامية إلى تحقيق هذه الأهداف.

٥. وفي بداية مسيرة العهد الرئاسيّ الجديد الذي يعلّق عليه اللبنانيّون الآمال، يعلن رؤساء الجامعات الكاثوليكيّة التزامهم المتواصل إعادة بناء مجتمع لبنانيّ، أكثر أمنًا واستقرارًا، وأقوى تعاضُدًا واتّحادًا. وهم ينظرون إلى مستقبل لبنان بالكثير من الثقة، ويساهمون في بنائه. ولذلك فهم يجدّدون التزام جامعاتهم بتنشئة طلّابها على قيم المواطَنة والممارسات الديموقراطيّة.

# استقلال يلهمه مبدعو الوطن
# كمال يوسف الحاج.. تكريمًا واستذكارًا

| في ٢٠٠٨/١١/٢٤، نظّم «نادي نهار الشباب» الطلاّبيّ حفلَ تكريم واستذكار للدكتور كمال يوسفَ الحاج تحت عنوان: استقلال يلهمه مبدعو الوطن. استهلّه رئيس النادي رمزي مرهج بكلمةٍ جاء فيها:

**اليوم في ذكرى الاستقلال، اخترنا، نحن في نادي نهار الشباب، التكريم المتواضع للشهيد العظيم كمال الحاج لعدّة أسباب، أهمّها:**

- **أوّلاً: محبّتنا و تقديرنا للشهيد وفلسفته، و للارث الغنيّ الذي تركه لنا؛ هذا الارث الذي يتقاسمُ وقسَمَنا الشهيرَ الأهدافَ نفسها...**

- **ثانيًا: إيماننا بضرورة نشر وتفعيل القوميّة اللبنانيّة بين الشباب اللبنانيّ، روّاد الغد، لبناء الدولة اللبنانيّة المؤسّساتيّة التي نطمح إليها...**

- **ثالثًا: لأنّنا ننتمي إلى مدرسة شهداء، شهداء حريّة وصحافة وعلم وثقافة وفلسفة...**

| بدايةً، كانت كلمة للسيّدةِ الجليلة، ملهَمةً وملهمةً، رفيقةِ عمرهِ وفكرِه وكلِّ رؤيا ونجوى في حياته، **ماغي الأشقر الحاج**؛ قالت:

قيل يومًا: نحن لسنا كتابًا، نحن تختارنا أحيانًا كلمات لتقال.

واليوم تختارنا كلمة استقلال لنشرح مدلولها. هذه الكلمة وما تحتوي عليه من قدرات ومكنونات حدت بكمال الحاج لإصدار كتاب فلسفة الميثاق الوطنيّ، ولكنّنا ما زلنا نطرح الأسئلة منذ ما يقارب الخمسين سنة، والظاهر أنّها بدون حلول وأنّها كلمة فارغة من مضمونها مليئة بالمغالطات السياسيّة والاجتماعيّة، ممّا شجّع كمال على إصدار كتابه هذا الذي أسماه المرحوم الرئيس بشاره الخوري فعل إيمان جديد بالكيان اللبنانيّ وفسّر فيه ما معنى الاستقلال وما هي مقوّماته.

وهذا ما دفع بكمال إلى القول: ثمينة هي القدرة على طرح أسئلة وجيهة تتيح بناء الحلول. نحن بحاجة إلى علاقات الزمالة، فهي تساعدنا في تحسين أدائنا وتصرفنا عن المنافسة التي ترهق طاقاتنا. وتابع: نحن بحاجة إلى فطنة واستيعاب للآخرين المختلفين عنّا. نحن بحاجة إلى قدرات شريكنا في الوطن. وهذا ما أوصله إلى النصلاميّة، والكلمة من نحته، ليبرهن أنّ لبنان لا يستغني عن قدرات كافّة أهله ومكوّنات المجتمع اللبنانيّ كاملة، ولذا جاء استذكار الاستقلال في زمن الاستقلال.

وبجانب شغفه وحرصه على لبنانيّته ودفاعه المستميت في سبيلها، كان كمال يتمتّع برؤيا شموليّة للوضع في لبنان؛ فردّد طيلة حياته أنّ للبنان دورًا رياديًّا في العالم العربيّ ولدى مسيحيّي الغرب أيضًا، لأنّه كان يودّ أن يفسّر لمسيحيّي الغرب خاصّة الوقع السلبيّ الذي تمارسه إسرائيل على لبنان وتحديدًا على مسيحيّي لبنان، وليعلموا أنّ الإسرائيليّ عدوّ المسيحيّ قبل أن يكون عدوّ المسلم. وهذا ما لم يتسنّ له أن يتوسّع في فكرته لضيق الوقت الذي جار على هامته وحطّمها بضربةِ فأس، فدخل هذا النداء في دستور السينودس بقولٍ من قداسة البابا الراحل يوحنّا بولس الثاني.

نعم، أوّل من ردّد أنّ لبنان ذو رسالة في الشرق والغرب هو كمال الحاج. يجب أن ننصف ما قاله ولو لم يستطع إكماله. هذه شهادة للتاريخ.

وإلى جانب تفكيره النبويّ، كان كمال الحاج يتمتّع بحسّ مرهف رقيق: يتذوّق الموسيقى، تترغرغ عيناه بالدموع لدى سماعه أيّ لحن، وخاصّة إذا كان العزف على آلة الكمان، لأنّه كان يعزف على الكمان. أمّا حياته الروحيّة فكانت شفّافة للغاية: كان يركع طيلة وجوده في الكنيسة متأثّرًا مأخوذًا بالصلاة، حياته البسيطة الساكنة

كان يقضيها خارج الكتابة بالصلاة. يصلّي في كلّ مكان: في الطريق وهو يسوق سيّارته، وقضى ومسبحة الورديّة في جيبه مضرّجة بالدماء.

هذا هو كمال الحاج المناضل المتنسّك، شهيد الحقيقة، القابع في صومعته يتلمّس الحلول الملائمة لوطنه، والطريق المؤدّي إلى إعلان هذه الحقيقة؛ ومن ثمّ يترجّل من السيّارة الجانية ويعمّدها بدمه لتواكب الأجيال.

تحيّةً خالصة ومحبّة إلى روحه، وتحيّة شكر لكم أنتم رؤيا لبنان المستقبليّة. إجعلوا من تفكيره دستورًا لكم فتبتغوا الصواب.

**وتحت عنوان: أفيلسوفٌ من لبنان أم مؤسّسٌ للفلسفة اللبنانيّة؟، قال الدكتور أمين ألبرت الريحاني:**

تحتفلون اليوم بفيلسوف من لبنان، تحتفلون بكمال يوسف الحاج. أمّا أنا فأحتفل معكم بفيلسوف أسّس للفلسفة اللبنانيّة. فثمّة مفارقةٌ بين فيلسوف من لبنان وفيلسوف أسّس للفلسفة اللبنانيّة. واسمحوا لي هنا أن أُسقِطَ كلمةَ الشهيد، وأطرَحَها جانبًا، لأنّ كمال الحاج أكبر من كلّ شهادة. إذ أتساءل معكم: هل يمكن للكلمة أن تستشهد؟ جوابي الشخصيّ هو النفيّ القاطع، فكيف إذا كان صاحبُ هذه الكلمة فيلسوفًا لبنانيًّا أسّس للفلسفة اللبنانيّة؟ كيف إذا كان صاحب هذه الكلمة هو كمال يوسف الحاج؟ لا أيّها السادة! أنتم تحتفلون مرّة بالشهيد كمال الحاج، أمّا أنا فأحتفل كلّ مرّة، بل كلّ يوم، بكمال الحاج، بفيلسوف من لبنان أسّس للفلسفة اللبنانيّة.

أحتفلُ بفيلسوف ربط بين لبنان والحقيقة، ليس ربطًا وجدانيًّا بل ربطًا وجوديًّا يُلزمني بخيار التماهي بين الحقيقة ولبنان، أو يرسِم لي خريطةَ التطابق بين لبنان والحقيقة تطابقًا فلسفيًّا يؤسّسُ لعمق البنيان الفكريّ الذي تترسّخ من خلاله قيامةُ لبنان، بل تتشكّل من خلاله أركانُ العمارة اللبنانيّة المتماسكة. لذلك أجدني في كلّ يوم، وفي كلّ ما أفعل، بوعيٍ منّي أو بلا وعي، محتفلاً بكمال يوسف الحاج فيلسوفًا من لبنان، ومحتفلاً به مؤسّسًا للفلسفة اللبنانيّة.

هو فيلسوفٌ لأنّه وضعَ لنفسه منهجًا فلسفيًّا قائمًا على المعادلة بين الجوهر والوجود، بين اللاهوت والناسوت، بين الكلمة والجسد، بين المطلق والنسبيّ، بين الفكرة واللغة، بين الفلسفة والسياسة، بين الإنسانيّة والقوميّة، بين الإيمان والتمذهب، بين أورشليم أو «النعمةِ الإلهيّة» كما يُسَمّيها، وأثينا أو «البرهنة البشريّة» كما يراها.

وهو مؤسّسٌ للفلسفة اللبنانيّة، لأنّه في كتابه **موجز الفلسفة اللبنانيّة** (كذا) بنى أركان تلك الفلسفة، موضحًا أُسُسَها ومعاييرَها وأبعادَها، ناقدًا معالِمَها الحلوليّة، مُستحسنًا، بل مُفلسفًا، وَقْرَحِيّتَها، وعلائيّتَها، ونصلاميّتَها، ومدرحيّتَها، ورسوليّتَها، وكيمياءَها القِيَميّ. رسالة الفلسفة اللبنانيّة لديه «أن تُفَكرِنَ الكلمة، وأن تُكَلْمِنَ الفكرة (...) أن تُوَحدِنَ كثرةَ الوجود وأن

تُكَثرنَ وحدةَ الجوهر».[١] تلك كانت فلسفة كمال الحاج التي على أساسِها بحث في خصائص الفلسفة اللبنانيّة، ومِن خلالها انصرف إلى التأسيس الحيويّ لمعالم تلك الفلسفة.

ولكمال الحاج منهجيّةٌ في أدائه الفلسفيّ. فإلى جانب تعويله على البراهين الجدليّة والعمليّة تراه يتعامل مع اللغة عجينًا طَيِّعًا بين يديه: يحدّد الألفاظ، يغسِلُها، يَجلي معانيها قبل استعمالها أدواتٍ فعّالةً لمعركته الفلسفية[٢]. فاللغة عنده وجهٌ آخر للوجدان، أو هي وعاء الوجدان. ويقول في هذا السياق «إنّ اللغة والوجدان شيءٌ واحد. وهذا يعني أنّ اللغةَ وجدانٌ ناطق، وأنّ الوجدانَ لغةٌ صامتة»[٣]. أُفتونة كمال الحاج أنّه بسبب انهماكه بتشييد عمارته الفلسفيّة انصرف، بخطٍّ متوازن، إلى ابتداع لغةٍ جديدةٍ في قلب اللغة فكان أديبًا في فلسفته وفيلسوفًا في أدبه. وهو مبدعٌ خلّاقٌ في الحقلين معًا، يغذّي الواحدَ بالآخر، ويضيفُ مدماكًا جديدًا لكلٍّ منهما ويتابعُ البُنيان.

التكريم الأعظم لأيّ كاتب أو فيلسوف أو شاعر هو أن نفهمه فهمًا معرفيًّا صحيحًا. وإذا شئتم استيعابَ كمال يوسف الحاج وفهمَه فهمًا معرفيًّا صحيحًا، فإنّي أدعوكم إلى الغرف من مَعين أعمالٍ أربعة من أعماله كمدخل إلى محاولة الإحاطة به إحاطةً فكريّةً متكاملة. أدعوكم أوّلاً إلى البدء بقراءة كتابه **فلسفيّات**، وهو الثامن من سلسلة أعماله، ذلك أنّ ما سبقه هو مجموعة دراسات وأبحاث حول مَن تأثّر بهم الحاج سلبًا أو إيجابًا؛ أمّا **فلسفيّات** فهو أوّل كتاب فلسفيّ من عُصارة فكره، هو أوّل إبداع من إبداعاته الفلسفيّة. ثمّ أدعوكم إلى الغوص في مؤلّفه التاسع الذي بعنوان **فلسفة اللغة** والذي صدر في العام نفسه لصدور **فلسفيّات**، وهو يشكّل محورًا بارزًا من محاور فلسفته اللغويّة. ثمّ أدعوكم إلى الغرف من مَعين مؤلّفه الحادي عشر، والذي بعنوان **من الجوهر إلى الوجود** الذي عُدِّل اسمه في طبعات لاحقة فصار بين **الجوهر والوجود أو نحو فلسفة ملتزمة**. هذا العمل يتمركز في الصميم من فلسفة الحاج، وهذا الصميم لا مَناص منه لمن شاء أن يستوعب جوهرَ الفلسفة «الكَمَحاجِيّة». ثمّ أدعوكم إلى الإقبال على كتيّب صغير الحجم، كبير الأهميّة، عميق الدلالات الفكريّة، هو عمله الخامسُ والعشرون، وهو نتاجٌ يشكّل مفتاحًا رئيسًا من مفاتيحه الفكريّة الفلسفيّة، عَنيتُ به **في غُرّة الحقيقة**. ويَعتبرُ كمال الحاج «أنّ الفلسفةَ ليست الحقيقةَ، ولا بحثًا عن الحقيقة، بل هي تفسيرٌ للحقيقة»[٤]. في غرّة الحقيقة تأليف بارز يتناول فيه الحاج أبعادَ الإنسان الثلاثة ليقول: «تقع الفلسفة دائمًا وأبدًا في مبدأ الوَحدانيّة التي إذا جازَتْ بالنسبة للخالق فإنّها لا تجوز بالنسبة للمخلوق. الإنسان ذو أبعادٍ متخالفةٍ متحالفة. كلُّ بُعد منها له أسانيدُه التي هي واجبُ وجودٍ للأبعادِ الأخرى. أحصِرُها، بالإجمال، في ثلاثة: الطبيعةُ أو البعدُ الجسميّ، المجتمعُ أو البعدُ النفسيّ، الله أو البعدُ الروحيّ»[٥].

أيّها الأعزّاء، إذا طالعتم هذه الأعمالَ الأربعة، واستوعبتموها استيعابًا معرفيًّا صحيحًا، تُرَشّحون لامتلاك ناصية الفلسفة عند كمال يوسف الحاج.

أمّا مؤسّس الفلسفة اللبنانيّة فيتضحُ دورُه من خلال مؤلّفه الضخم، حجمًا ومضمونًا، بعنوان **موجز الفل سفة اللبنانيّة** (كذا). يرى الحاج أنّ للفلسفة اللبنانيّة أربعةَ أركان أو خصائص هي: العقلانيّة، الواقعيّة، الروحيّة، والعربيّة. ويُبرِّرُ الحاج صفةَ اللبنانيّة التي يطلقُها على فلسفتنا بقوله إنّ: «مواضينا تُنبىء أنّنا مِن بُناة التاريخ (...) كانت لنا تساؤلاتٌ هي مِن صميم اللماذا الفلسفيّة».[٦] أمّا رسالةُ الفلسفة اللبنانيّة فهي برأيه مُتَّسمةٌ بِسمةِ «الرسوليّة نحو العالم...»

باسم هذه الرسوليّة نحتفل اليوم بكمال يوسف الحاج فيلسوفًا من لبنان، ومؤسّسًا للفلسفة اللبنانيّة. نحتفل اليوم ونحن بانتظار أن يتمّ الاحتفال الكبير، في غدٍ قريب، يومَ يتمّ فيه إصدارُ الأعمال الكاملة لكمال يوسف الحاج، وذلك بفضل الجهود المتواصلة التي يبذلها الصديقُ العزيز العميد الدكتور يوسف كمال الحاج، ليبقى هذا الإرث الكبير ذُخرًا للفكر اللبنانيّ الحديث، ونِبراسًا للفلسفة اللبنانيّة المعاصرة.

(١) كمال يوسف الحاج، **موجز الفل سفة اللبنانيّة** (كذا)، مطابع الكريم، جونية، لبنان، ١٩٧٤، ص ١٠٧- ١٠٩. ناصيف قزّي، **كمال يوسف الحاج، ٢٥ سنة على غيابه**، الحركة الثقافيّة - أنطلياس، ٢٠٠٢، ص ٤٩.

(٢) كمال يوسف الحاج، **القوميّة اللبنانيّة**، شركة الطبع والنشر اللبنانيّة، لا ت.، ص ٤٢.

(٣) كمال يوسف الحاج، **فلسفيّات**، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦، ص ٦٧. ناصيف قزّي، **كمال يوسف الحاج، ٢٥ سنة على غيابه**، الحركة الثقافيّة- أنطلياس، ٢٠٠٢، ص ٣٣.

(٤) كمال يوسف الحاج، **موجز الفل سفة اللبنانيّة** (كذا)، مطابع الكريم، جونية، لبنان، ١٩٧٤، ص ٤٨. ناصيف قزّي، **كمال يوسف الحاج، ٢٥ سنة على غيابه**، الحركة الثقافيّة- أنطلياس، ٢٠٠٢، ص ٣٨.

(٥) كمال يوسف الحاج، **في غرّة الحقيقة**، منشورات الندوة اللبنانيّة، بيروت، ص ٤٩. ناصيف قزّي، **كمال يوسف الحاج، ٢٥ سنة على غيابه**، الحركة الثقافيّة- أنطلياس، ٢٠٠٢، ص ٣٩.

(٦) كمال يوسف الحاج، **موجز الفل سفة اللبنانية** (كذا)، مطابع الكريم، جونية، لبنان، ١٩٧٤، ص ١٤. ناصيف قزّي، **كمال يوسف الحاج، ٢٥ سنة على غيابه**، الحركة الثقافيّة- أنطلياس، ٢٠٠٢، ص ٣٩.

أمّا **الدكتور يوسف كمال الحاج**، وهو الابنُ الحبيبُ الذي به رَضيَ فيلسوفُنا، فقال تحت عنوان: **كمال يوسف الحاج.. أو رسوليّة الاستقلال:**

في محاضرة بعنوان «**الطالب والقوميّة اللبنانيّة**»، كتب كمال يوسف الحاج: «**أنا أؤمن بأنّ الطالب هو أستاذ لأستاذه...منذ ربع قرن وأنا أتتلمذ في أستذتي على أيدي طلاّبي. كقوّة، أنا أقرّ بأنّهم أزخرُ منّي وأزخم، وكفعل، أنا أقرّ بأنّهم المستقبل في طهارته**».

أيّها الأصدقاء الأحبّاء،
هذه الكلمات هي هديّتي القلبيّة اليوم إلى جُلنار دويك ورمزي مرهج وشربل مطر ومازن القاضي وإيهاب مشرفيّه، الذين أثبتوا أنّهم طهرُ المستقبل وألَقُ الأستذة عندما شاؤوا أن يقرأوا معنى الاستقلال اللبنانيّ البعيد بمجهر الفلسفة الكمحجيّة الغوير، مفتتحين بذلك سلسلة رائدة في جامعتنا تحت عنوان: «استقلال يلهمه مبدعو الوطن». قد لا يعرفون هم أنفسُهم بأيّة بلاغة تلمذونا من جديد إلى مدرسة الحقيقة الخالصة، وبأيّ سخاء كافأوا كمال الحاج من وراء ضريحه في ارتقائهم إلى صفائه الفكريّ، ولكن عليهم أن يعرفوا أنّهم أتَوا، بوحي من فوق، فعلاً فكريًّا ووطنيًّا رائدًا، وسطّروا، بكلماتهم وأفاعيلهم المتّقدةِ حبًّا وعزًّا، رجاء جديدًا للبنان.

كيف لي، كما طلبوا منيّ، أن أشهد في هنيهة لإبداعات كمال الحاج المشعشِعة بألف لون والمتأرّجة بألف عطر؟ من يقدر على حبس النور والضَوْع في قمقم الحرف؟ لذا سأكذِب على نفسي وعليكم بفذلكة: لمّا قيل إنّ رمزَ الكمال هو الرقم سبعة، سأحاول جاهدًا أن أرسم لوحة كمال، ابنِ الأمانة لاسمه بامتياز، بريشة سبعيّة.

كان كمال يوسف الحاج متميّزًا بسبع: الصدقِ في البيان، والجرأةِ في الموقف، والوداعةِ في المعاملة، والعفّةِ في الفؤاد، والزُهدِ في حُطام الدنيا، والانخطافِ الإشراقيّ في الصلاة، والحسِّ النبويّ في استقراء الأحداث.

وكان كمال يوسف الحاج عاملاً على سبع: تحديثِ اللغة العربيّة فالإبداعِ فيها، وترسيخِ الكيان السياسيّ اللبنانيّ على عقيدةٍ فلسفيّة، وكشفِ الغطاء عن الفلسفة اللبنانيّة، وتعزيزِ مكانة الجامعة اللبنانيّة، وتظهيرِ دور بكركي الجوهريّ في تحصين الروح الميثاقيّة، وتقويضِ الفكرة الصهيونيّة، والتصدّي للفلسفاتِ الإلحاديّة.

وكان كمال يوسف الحاج جائعًا إلى سبع: الحقيقة، التي وجدها كاملة وباقية في شخص يسوع المسيح؛ والمحبّة، التي وجدها مجسّدة بأطهر معانيها في مريم العذراء؛ والعدالة، التي وجدها مسطّرة بأرقى حروفها في تعاليم الانجيل؛ والحريّة، التي وجد رفعتها وعزّتها في القوميّة اللبنانيّة؛ والحكمة، التي وجد أبقى نُسغِها في الفلسفة اللبنانيّة؛ والجمال، الذي فتنته تجلّياتُه في اللغة العربيّة والخطّ العربيّ؛ والرجاء، الذي قاده ببصيرة علوانيّة إلى الميثاقيّة النصلاميّة.

هذا هو كمال الحاج مُقتبَضًا في صَدَفَة جوز، كما يقولون بالانكليزيّة. ولكي أضيفَ فكرة أخيرة، أستعين بحكمة القدّيس أغسطينوس إذ قال: «**حبّان شيّدا مدينتين: حبّ الذات حتّى احتقار الله، وهي المدينة الأرضيّة، وحبّ الله حتى احتقار الذات، وهي مدينة السماء**». كمال الحاج كان من مختاري مدينة السماء ومن المدمنين على الحضرة الإلهيّة. كان من أبطال العقل والإيمان الذين لم تغلبهم أباطيل المدينة الأرضيّة، ولا حتّى فراعّةُ الحقد الفاجرة، وإن لم تمهلْه إكمالَ أعظم موسوعة فلسفيّة باللغة العربيّة كان قد بدأ بتحبير فصولها الأولى ولسانُ حاله يتمتم بقلق لاهث: «حبّذا لو يجود الربّ عليّ بعمر كافٍ لأُفرغَ ما أستحرُّ به من غُزُرِ رؤًى».

في رسالة خالدة عنوانها «في غُرّة الحقيقة»، كتب كمال الحاج: «**الشعب المتفلسف له وحدَه حقّ الصدارة في مجالس الأمم الراقية. وحدَه تُسمَع كلمته عبر التاريخ. وحدَه يُقيم رجّة في مساحب الزمان. فيقود ولا يُقاد**».

هذا ما كانه فيلسوفنا المؤمن في دنياه: رجّةَ خير وحقّ وجمال ستبقى هادرة في مساحب الزمان، وقائدًا فذًّا من غير طينة انتزع للبنان حقّ الصدارة في مجالس الأمم الراقية، ليقول لنا، في وصيّة أخيرة، أنّ ركيزة الاستقلال الجوهريّة هي ركيزة رسوليّة، وأنّ «**لبنان التاريخ هو فوق تاريخ لبنان**».

ذلك كان تهوّسُ كمال الحاج الصعب، وتلك كانت رسالتُه النورانيّة الكبرى التي التقطها، بحسّ نبوغيّ ونعمة مُتَنَزِّلة، أساتذتُنا الطلاّب رمزي وجُلنار وصحبُهما.

# الثلاثيّ طنب.. والحلمُ المستعاد

في عيد الاستقلال، مساء ٢٠٠٨/١١/٢٦، دعت جامعة سيّدة اللويزة إلى حفل موسيقيّ غنائيّ، أحياه الثلاثيّ الشرقيّ TriOrient: **أمال ورونزا وفاديا طنب**، بإدارة: **الأب خليل رحمه** موسيقيًّا، **وسمير طنب** فنيًّا.

تكوّن الحفل من فصلين، رَجَحت فيهما الكفّةُ الرحبانيّة، وعبقت في أرجائهما ذكرياتٌ من أمسِ الذي عَبَر، فكانت النوستالجيا والجماليا.. واستسلامٌ لأرجوحة القمر!

**|** وفي المناسبة، وبعد عرض فيلم قصير عن واقع الجامعة ومستقبلها، توجّه **الأب الرئيس وليد موسى** إلى جمهور المدعوّين بقوله:

شاهدنا في الفيلم الوثائقيّ صورة عن الجامعة، في واقعها، اليوم، ولكنّنا تذكّرنا، كيف بدأنا سنة ١٩٨٧: أيّ فقر وأيّ تعب وأيّة مسؤوليّة! لا المباني كانت مؤهّلة ولا التجهيزات، ولكن توفّرت الإرادة والعزم والعرق. لقد تعب من سبقنا في تحمّل مسؤوليّة هذه الجامعة رئيسًا وإدارة وأساتذة وموظّفين، ولكنّ هذا التعب انتهى إلى فرح وطمأنينة.

بفضل جهود الرهبانيّة المارونيّة المريميّة، ومجلس الأمناء ورابطة الأصدقاء، صمّمنا وانطلقنا، إلاّ أنّ الأهمّ كان العنصر البشريّ الانسانيّ! هؤلاء الأساتذة والموظّفون، هؤلاء العمّال، بدءًا من الرئيس والعمداء والمديرين، وصولاً إلى كلّ من سكب نقطة عرق في هذه الجامعة، هم الذين صنعوا هذه الجامعة، وأسماؤهم لن تُمحى، وذكرهم لن يغيب، وأبواب الجحيم لن تقوى على إرادة الخير والمحبّة والجمال.

وها نحن اليوم، نرفع رؤوسنا فخرًا بهذه الجامعة. أمّا الباقي، فعليكم، أيّها الأصدقاء: كيف تساهمون في نهضة هذه الجامعة، في إنمائها وفي تطويرها، كلّ حسب قدراته، وحسب رغبته، وحسب إيمانه.

جامعتنا لا تعيش على المساعدات الأجنبيّة، تأتيها من هذه السفارة أو هذه المنظّمة، أو هذه الجمعيّة؛ جامعتنا تعيش وتنمو بفضل أسرتها وطلاّبها، ومن خلال ما يدفعه الأهل الأحبّاء في سبيل تعليم أولادهم وتأهيلهم. وأنتم اليوم الأسرة الجامعيّة، أنتم القادرون على مساعدة الطلاّب، وعلى سدّ أبواب العجز والحاجة. فبتضامننا وتعاوننا قادرون على المضيّ قدمًا في طريق الإنماء والتطوّر. أمّا كيف؟ ليس بالخبز، كما ليس بالصلوات وحدها يحيا الانسان، فتعالوا نصلّ ونعمل.

نحن نحاول، قدر المستطاع، أن نقوم بواجبنا التربويّ والانسانيّ تجاه طلاّبنا، نساعد البعض (٥ ملايين سنويًّا)، ننظر إلى الحالات والحاجات الصعبة. نشجّع المبدعين والمتفوّقين. نقف إلى جانب الإخوة. ولكنّنا لا نبخل أبدًا، في واجباتنا الأكاديميّة، التي تستنفد الأقساط وأكثر. بعض الأصدقاء يستودعنا بعض المنح، وهم مشكورون على ذلك. ولكن، في هذه الظروف الاقتصاديّة الصعبة، تزداد الحاجات ويكثر القلق. إلاّ أنّنا بشفاعة مريم، نؤمن بأنّ قرش الأرملة قادر أن يحدث العجائب...

# خمسة عشر عامًا على تأسيس جوقة الجامعة
# وألبوم «قدّيس وراء قدّيس» يطبع لمناسبة

احتفت جامعة سيّدة اللويزة، في ٢٠٠٨/١١/٣٠، بمرور خمسة عشر عامًا على تأسيس جوقتها بإدارة الأب خليل رحمه، وسط حشدٍ من الأصدقاء المحبّين المشجّعين، الذين ثمّنوا عاليًا بالهتاف والتصفيق جديدَها، الذي أضافته إلى قديمها، وكلاهما غرسٌ طيّبٌ من وردٍ وغار!

ولعلّ أبرز ما كان في الاحتفال، بعد تقديم وثائقيّ عن الجوقة والإشادة بإنجازاتها والتنويه بنجاحاتها وما فازت به من جوائز دوليّة، هو ألبومُها الجديد: "قدّيس ورا قدّيس"، الذي ضَمّ ثلاث عشرة ترتيلة لخمسة قدّيسين: شربل- رفقا- نعمة الله- يعقوب الكبّوشي- تريزيا الطفل يسوع، كتبها الأبوان فرنسوا عقل وبطرس بوناصيف والأساتذة إيلي صليبي وجوزف مغامس ورودي رحمه، ولحّنها الأبوان خليل رحمه وبطرس بوناصيف والأستاذان أياد كنعان وجوزف فخري. وقد أضفت السيّدة رونزا، بصوتها البلّوريّ وحضورها الفَراشيّ، بُعدًا إضافيًّا من أبعاد الجمال التي صعّدتها الجوقةُ في هياكلِ الأرواح...

○ | أمّا الكلمات فكانت أُولاها شهادة لمدير عامّ العلاقات العامّة في الجامعة **الأستاذ سهيل مطر**، ومنها: منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، تعرّفت إلى الكورال، وإلى الأب خليل، وما رأيته مرّة إلاّ مُتعَبًا ومُتعِبًا: مُتعَب على قدر التزامه، وأحلامه، ونشاطه: لا يهدأ، لا يستقرّ، قلبه على يده، في ذهاب وإياب مستمرّ، يبحث عن أفراد جوقته، يعلّم، يدرّس، يدرّب، يغنّي، يرافق القداديس والزيّاحات والحفلات، يشارك في الأعراس والجنّازات، يسافر، يفتّش عن Sponsor، يدوّر الزوايا، كما بعض السياسيين، ويصل، في النتيجة، ورغم العرق، إلى ما يريد.

إلاّ أنّه كان مُتعِبًا: دائمًا، يريد. ربّما، لا يريد شيئًا لنفسه، ولكنّه يريد. يستعجل، ويلحّ ويقاتل. بشرّاوي نعم، ويقاوم بغضب، ينرفز، لا يعجبه شيء، مُتعِب كضمير، ومُتعِب كطفل، وبعد لحظات يهدأ، يضحك، يعتذر؛ إنّها طبيعة المبدعين! ربّما نقول عنهم مجانين، ويا طيب الجنون إن كان يولّد مثل هذه الأعمال الفنيّة!!

○ | وجاء في كلمة رئيس الجامعة **الأب وليد موسى**: ... منذ خمس عشرة سنة، وهذا الأب الفاضل، خليل رحمة، يحلم، يناضل، ويعمل على إنشاء جوقة، في جامعة سيّدة اللويزة، قادرة على حمل الرسالة الفنيّة والتربويّة والروحيّة.

ما قصّر هو، ولا أهمل. وحاولنا، في رئاسة الجامعة، ومع أسلافي، أن لا نقصّر أو نهمل. ما ترك مناسبة هامّة، في لبنان أو في الخارج، إلاّ وكان فيها، مع جوقته، مميّزًا وطليعيًّا، ورافعًا اسم الجامعة إلى الأجمل والأسمى.

مئات الأشخاص مرّوا في هذه الجوقة: البعض رحل بعيدًا، ونحن نذكره بمحبّة وحسرة؛ والبعض ترك ليلتحق بأعمال وأشغال جديدة؛ والبعض تزوّج؛ والبعض سافر واغترب... إلاّ أنّهم جميعهم أسهموا في إطلاق هذه الجوقة، وفي وصولها إلى ما هي عليه اليوم، من ريادة وتميّز وجدارة.

وعلى حدود هذه الجوقة، نشأت مدرسة الموسيقى التي يديرها الأب رحمة، في مبنى الجامعة القديم، والتي تضمّ مئات التلامذة من الذين تصقل أرواحهم الموسيقى، وترتفع بهم فوق الصغائر والتفاهات وجراثيم المجتمع.

وإنّني، بهذه المناسبة، وباسم الجامعة، أستطيع أن أؤكّد أنّ أحد الوجوه الجميلة لجامعتنا هو هذا الكورال الذي سنعمل، مع المسؤولين، على استمراره، صوتًا مرتفعًا في خدمة لبنان والحضارة.

○ | أمّا الأب المدبّر **فيليب الحاج**، النائب العامّ للرهبانيّة المارونيّة المريميّة، فجاء في كلمته الشهادة أيضًا:

هذه الجوقة أعطت الكثير من ذاتها، فكانت سببًا لتمجيد الربّ شرقًا وغربًا، بدءًا من

لبنان حتّى أقاصي الأرض (أستراليا وكندا)، وكانت النجاحات تحالفها دومًا وتحصد الكثير من الإكرام والجوائز، فكان هذا مدعاة فخرٍ واعتزاز، وإطلالةً مشرَقة أيضًا لجامعة سيّدة اللويزة، الأمينةِ على تراث الرهبنة المارونيّة المريميّة، المؤتمنةِ على خدمة الكنيسة ولبنان.
كلّ هذا كان بفضل روح الربّ الذي غمر العاملين فيها من شباب وصبايا حاليّين وسابقين... هؤلاء جمعتهم الأمانة لرسالة الجوقة، فلازموها طوال ١٥ سنة من دون انقطاع ولا ملل: تمارين كلّ يوم اثنين وأربعاء على مدى عمرها- حفلات- أسفار- تسجيلات...، للمحبّة والسلام فهم أُفرزوا لحمل رسالة الفرح والتبشير وللعطاء والعمل عبر النغم واللحن.
فالموسيقى هي لغة الشعوب...
أمّا المؤسّس لهذه العيلة الفنيّة الغنيّة بالمواهب والعطاءات، فهو عاشقُ مريم أبي وأخي الأب خليل رحمه، ابنُ مدينة المقدّمين بشرّي وجار الأرز وراهب وادي قاديشا.
وأضاف: أخي خليل! عرفتك فتى يافعًا تقف ذاتك باكرًا لخدمة الربّ في الرهبنة. وكان لي شرف مرافقتك في مطلع شبابك، حيث صحّ قول النبيّ إرميا: «طوبى لمن يحملُ نيرَ الربّ منذ صباه»؛ واليومَ يتمُّ ما كنتُ أراه: «إنّ يدَ الربّ هي معك». وفي الواقع، إنّ «يدَ الله معك»، تغتذي من مذبحه الروحيّ لتحمل اسمه إلى من يرسلك إليهم.
زرعت حبّةً صغيرة في أرض الفنّ والموسيقى، فنبتتْ جوقةً مميّزة، تعهّدتها العذراءُ مريم وقدّمتها لهيكل الله حيث يُسَّح الحملُ ويُعبَد ليلَ نهار.
جوقة مميّزة أخرجت تراثًا موسيقيًّا جديدًا، تزاوج فيه النغمان الشرقيّ والغربيّ، أسفر عن ولادة خطّ موسيقيّ جديد، يوحّدُ مشرق الشمس بمغربها، ويغني لبنان عبقريّةً خلاّقة في مسيرته نحو العالم الجديد، نحو الخالق الذي يُنمي الكلّ.
وكنتَ أيضًا أوّلَ من لحّن أورتوارًا باللغة العربيّة،أسفرتْ عن مجموعة رائعة من الاستعراضات المسرحيّة الدينيّة...
- سألته مرةً: أبونا كم لحنًا كتبتَ لغاية اليوم؟
- فكان الجواب: لا أدري.
وهذا الجواب يدلّ على قناعة صاحبه بإعطاء ذاته لتمجيد الله وخدمته، وكأنّي به يعملُ للمسيح دومًا، مشابهًا ساعةً تعمل ولكن لا أرقام لها ولا عقارب؛ فالزمن عنده وَلج الأبديّة!

**| ثمّ كانت شهادةٌ من السيّدة الأديبة مي منسّى، ومن ابن الجوقة السيّد فادي ناكوزي، ومن ابن الجوقة الآخر الأب فرنسوا عقل في رسالةٍ له من حيث هو في روما، جاء فيها:**

تحضرني اليوم- ومن بعيد- مشاهد كثيرة، وتسكنني ذكرياتٌ جميلة من تاريخ هذه الجوقة... إذ لي شرفُ الانتماء إليها منذ نشأتها وفي بدايات أعمالها وباكورة حفلاتها...
وها نحن منذ خمس عشرة سنة حتّى اليوم، نسكر بمدامة موسيقاها، ونسافر على أجنحة أنغامها، ونسبح في أحلام ألحانها... وتهتزّ مشاعرنا فرحًا، وتجيش عواطفنا حماسًا، وتتضارب أكفّنا تصفيقًا لدى سماعها...
لقد تمّت فيها صلاة القدّيس أغوسطينوس في اعترافاته:
«ربّاه كم بكيت لسماع تسابيحك وأناشيدك! وكم حرّكت الأنغام العذبة في كنيستك نفسي الولهانة!
كانت تدخل مسامعي، ومعها تنساب حقيقتك إلى قلبي، فتنتابني انطلاقات حبّ محرقة...»
ولا أبالغ إن قلت،إنّ موسيقى جوقة جامعة سيّدة اللويزة وترانيمها، تسمع في القلب، وتذاق في العقل، فيعلق رجع صداها في أودية نفوسنا، يروي أرواحنا في لحظات ظمئنا، يواسينا في قفر وحدتنا، يعزّينا في أيّام شدّتنا. إنّها كالدمعة تنساب حنانًا، وكالبسمة تتفجّر دفئًا، والصلاة تذوب إيمانًا. فهنيئًا لنا بها وجهًا حضاريًّا للكنيسة والوطن والرهبانيّة.
وفي رسالةٍ أخرى مصوّرة، عبّر المونسنيور فالنتينو ميزارَكس، رئيسُ المعهد الموسيقيّ في الفاتيكان، عن مدى ما علّق من آمال على الأب خليل رحمه، يومَ كان بعدُ تلميذًا في حضن إدارته، فرأى فيه روحًا مطّردًا لروحه في الجِدّ والإجادة...

**| وأخيرًا، حرص الأب رحمه على تحيّة كلّ من حضن وأغنى وشارك وأحبّ، قائلاً:**

سنوات مضيت، خمستعشر سنة، وجوه تبدّلت، ألحان تجدّدت، ولكن الطريق طويل والنجاح والخدمة همّ وتعب وألم.
تحيّة إلى كلّ من حضن وبيحضن دائمًا هالجوقة،
تحيّة إلى كلّ من أغنى ذاكرتنا بألحان السما،
تحيّة إلى كلّ فرد شارك يومًا بهالجوقة، واللي فاق عددن تصوّراتنا...،
وأخيرًا تحيّة إلى كلّ من تركت هالجوقة حنين بقلبو.
للحبّ نحنا... وللسما منرنّم...
لأمّنا العدرا منرنّم، وللقدّيسين منرنّم...
خمستعشر سنة ونحنا حاملين إسم العدرا، واليوم، مع العدرا وكلّ قدّيس وقدّيسة، منرتّل ومنقول: «من قلبِ النَّعمْ وُجدنا واليومَ نقولُ نَعَمْ، من حُضن العذراءِ من حُبِّ السماءِ شكرًا لله». ويتمجّد الله بقدّيسينو...

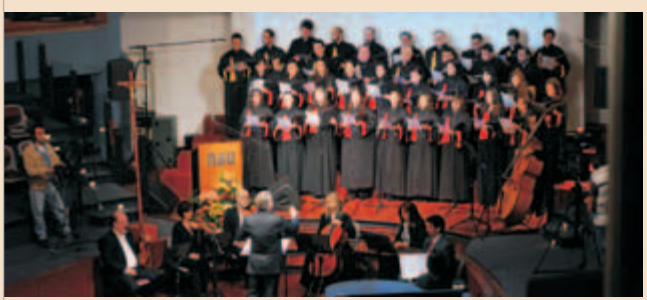

# من حَصاد العمل الرعويّ الجامعيّ

## المخيّم الصيفيّ |

بعد نهاية العام الدراسيّ وعلى جاري العادة، شارك أعضاء العمل الرعويّ في المخيّم الصيفيّ الذي أقيم في دير مار يوحنّا الخنشارة، تحت عنوان «المخيّم الصيفيّ ٢٠٠٨» وشارك فيه حوالى خمسين شابًّا وصبيّة، خلال ٢٥-٢٦-٢٧ حزيران ٢٠٠٨.

فبالإضافة إلى المواضيع الروحيّة والقدّاسات والصلوات والتأمّل، كان مجال للألعاب والتسلية والرياضة والسهرات وغير ذلك.

وفي اليوم الأخير، وبعد أن عبّر كلّ من المشاركين عن خبرتهم، وجّه المرشد العامّ الأب فادي بو شبل كلمة شكر جاء فيها:

«سنة جديدة مرّت حاملة ذكريات من أيّام وأحداث عشناها معًا، وفيها فرحنا وصلّينا، فنمّت كلّ واحد منّا، وعلّمتنا كيف نعمل معًا وننضج في المحبّة.

هذه السنة التي فيها زادت نشاطاتنا، وتحسّن أداؤنا، وصار انخراطنا أعمق وأوسع في الوسط الجامعيّ، جعلت شمس لجنتا تلمع حتّى الفوز بأنّها أفضل لجنة، وجعلت أعضاء العمل الرعويّ يفتخرون بفوزهم بجائزة أفضل مشروع محبّة. فهنيئًا لكم جميعًا!

اليوم، معكم وأمامكم، أعود بالذاكرة إلى كلّ ما تحقّق خلال السنة الماضية، فأرى بوضوح عمل الله وحضوره في ما بيننا من خلال كلٍّ منكم؛ فالكلّ، نعم الكلّ، أغنى الكلّ. والسبب هو النعمة الحاضرة في كلٍّ منكم: فهذا يتحلّى باللطف، والآخر بالوداعة، وذاك بالطيبة، وذلك بالإبداع، وتلك بالحكمة، وغيرها بالتواضع...

لذلك، فشكري **الأوّل** أرفعه إلى معطي المواهب والعطايا، إلى الإله المعبود الذي أحبّه وأرغب بكلّ قواي في أن أجعله محبوبًا، وهو الآب والأبن والروح القدس. وتذكّروا دائمًا «أنّ كلّ عطيّة صالحة وكلّ موهبة كاملة هي من لدن أبي الأنوار» -كما قال القدّيس يعقوب في رسالته.

**ثانيًا**، أسمح لنفسي أن أدعوكم مريميّين، وكم من مرّةٍ كرّمتم مريم وأنتم فخورون أنّكم أبناؤها وهي أمّكم. ولا أخفي سرًّا إن قلت بأنّني أفرح بأنّكم مريميّون مثلي حقًّا. لا تسمحوا لأنفسكم بأن تخرجوا من الجامعة قبل أن تُطبع صورة مريم على وجوهكم، ورَسمُ جمالها يُحفر في قلوبكم، لأنّ البابا بولس السادس كان يقول: «إن لم نكن مريميّين لا نستطيع أن نكون مسيحيّين». صلاتي اليوم، أرفعها إلى الأمّ السماويّة مريم العذراء طالبًا منها أن تحفظكم جميعًا بحبّها وبنعم ابنها، وتعمّق في قلوبكم نعم الرجاء والإيمان والمحبّة.

**ثالثًا**، أشكر الكنيسة التي أولتني شرف العمل معكم ، وفرح المشاركة بإيمانكم، من خلال أمّي الرهبانيّة المارونيّة المريميّة التي أنتمي إليها وأنا ابنها العارف كلّ حين بجميلها عليّ. أطلب منكم ألّا تنسوا يومًا من كَرّس لخدمتكم كاهنًا شابًّا، عنيت الأمّ الرهبانيّة المريميّة والجامعة التي نحن فيها والتي ستحملون مدى الحياة شهادتكم منها.

**رابعًا**، أشكر اللجنة التي عملت معي يدًا بيد وتعبت كثيرًا. وأصلّي إلى الله كي يبارك ويقدّس حياتكم وينير دربكم ويوفّق أعمالكم.

وأخيرًا، أتوجّه إليكم أنتم «الذين أحبّهم وأشتاق إليهم وهم فرحي وإكليلي» (فل ٤/١)، لأقول لكم: لا تظنّوا أنّكم أنتم تثقون بالربّ فقط؛ هو أيضًا يثق بكم، لأنّه يقول لنا «كما أرسلني الآب هكذا أرسلكم»، ولا تظنّوا أنّكم أنتم فقط تحتاجون إلى يسوع، فيسوع أيضًا يحتاج إليكم ليتابع حبّه ورحمته وتبشيره وخلاصه من خلالكم.

لا تكونوا إلاّ أسخياء في المحبّة، وأبطالاً في الايمان، وأقوياء في الرجاء، لأنّكم بهذا ستعرفون الحقّ والحقّ سيحرّركم، وستكونون للمسيح شهودًا حتّى أقاصي الأرض.

إعلموا أنّكم حاضرون في صلاتي اليوميّة، أكنتم حاضرين أم غائبين؛ ففي كلّ يوم، خلال القدّاس، أرفعكم مع المسيح القربان إلى الآب السماويّ، وعند المساء أضعكم بين يدي مريم العذراء. واعلموا جيّدًا أنّني في السماء عندما أصل إلى من تحبّه نفسي وكياني بجملته سوف أشير عليكم لأقول له هم كانوا سبب سروري ومصدر فرحي عندما خدمتك على الأرض، فباركهم وقدّسهم لأنّك محبّ للبشر آمين».

**| وبعد الكلمة كان إعلان لأسماء اللجنة الجديدة للعام الدراسيّ ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩:**

فرنسوا ناضر، منسّق - طوني عقيقي، نائب مسؤول - سينتيا قدّوم، مسؤولة روحيّات - سمر أبو جودة، أمينة سرّ - جورج عون، إعلام - ميشال عون، ترفيه - استيفاني خوري، نشاطات - بونوا فهد، أمين صندوق - إيلي حلو، مسؤول عن الجوقة.

### | يوم الـ Recruitment day

تحت شعار «الصداقة الجديدة كالخمرة كلّما عتقت لذّ شربها» (يش ٩/١٠)، نظّم العمل الرعويّ مساحة عرّف من خلالها بنشاطاته وهويّته، خاصّة للطلاّب الجدد، (في ٣٠ و ٣١ تشرين الثاني). وهذا ما أتاح تسجيل حوالى ١٠٠ طالب حتّى الآن.

### | يوم روحيّ للعمل الرعويّ الجامعيّ NDU مع الإخوة المبتدئين في دير مار سركيس وباخوس- عشقوت.

أراد شبيبتنا في الجامعة التعرّف من كثب على كيفيّة الحياة في دير الإبتداء التابع للرهبانيّة المارونيّة المريميّة، حيث يعيش ٣ كهنة و١٨ شابًّا مبتدئًا، تركوا كلّ شيء حبًّا بالمسيح يسوع...

الخبرة المتبادلة كانت ممتازة، لأنّها جمعت أكثر من ٢٥ شابًّا وصبيّة مع هؤلاء الإخوة، فصلّوا معًا وتشاركوا الخبرات، وأصغوا بعضهم لبعض، وأمضوا وقتًا رائعًا بحضور الربّ؛ وقد كان ذلك في ٢٠٠٨/١٠/٢٦.

### | يوم العمل الرعويّ الجامعيّ العامّ

هي السنة الثانية على التوالي التي تستضيف فيها جامعتنا طلاّبًا من سائر الجامعات الخاصّة والرسميّة في لبنان، من خلال الاحتفال بيوم العمل الرعويّ الجامعيّ، الذي يصادف ذكرى الاستقلال، في ٢٠٠٨/١١/٢٢. وقد حمل هذا اليوم عنوانًا عامًّا «نحن سفراء المسيح»! فبعد وصول أكثر من ٣٠٠ مشارك، كانت كلمة الترحيب من المرشد العامّ الأب فادي بو شبل المريميّ. بدأ النهار بالصلاة والعروض المسرحيّة والرقصات الدينيّة

المعبّرة، بالإضافة إلى حلقات الحوار، والموضوع الذي أطلقه الأب جوزيف بو رعد الأنطونيّ تحت عنوان: بولس والرسل المزيّفون. ثمّ احتفل المطران شكرالله نبيل الحاج، راعي أبرشيّة صور المارونيّة. بالقدّاس الإلهيّ، يعاونه المرشد العامّ والآباء المرشدون، بحضور المطران جورج بقعوني راعي أبرشيّة صور للروم الكاثوليك، الذي ألقى كلمة عوضًا من العظة، شكر فيها المطران الحاج على السنوات التي قدّمها في خدمة العمل الرعويّ الجامعيّ العامّ، وعبّر عن فرحه الكبير بالعمل مجدّدًا مع الشباب الجامعيّ خاصّة بعدما تمّ تعيينه خلفًا للمطران الحاج للإشراف على هذا العمل الكنسيّ، وسأل الطلّاب عن المسيح الذين هم يؤمنون به، ويريدون أن يكونوا له سفراء في جامعتهم!

بعد القدّاس، قدّم المرشد العامّ الأب فادي، باسم الأمانة العامّة والمرشدين والطلّاب، درعًا تقديريّة لسيادة المطران الحاج، وشكر له حضوره الأبويّ، وخدمته للعمل الرعويّ.

بعد ذلك تابع الشباب تقديم عروضهم المسرحيّة، التي تمثّل ارتداد بولس في مقابل الحالة التي يعيشها شباب اليوم وخاصّة في الجامعات.

ثمّ أُعلن رسميًّا عن شعار العمل الرعويّ الجديد، بعدما قام الأب فادي بتفسير رموزه. وعرض الشابّ إيلي زيدان بعض نشاطات البيت. واختُتم الاحتفال برتبة الإرسال الجميلة والمؤثّرة جدًّا، حيث طاف المنسّقون بالإنجيل والصليب بين رفاقهم، على أنّهما فرح المسيح وسلامه.

▲ إيلي زيدان يرسم وجه المسيح براحة يده..

من مسرحيّة ارتداد بولس

◄ ويبدع في تأليفٍ من قماشٍ وفلّين

## العنف - حقائق وقضايا

بمناسبة صدور مجلّد «العنف - حقائق وقضايا» عن قسم العلوم السلوكيّة والاجتماعيّة في كليّة الإنسانيّات في جامعة سيّدة اللويزة، عقدت ندوة خاصّة حوله في الجامعة بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٣، استعرض في مستهلّها الدكتور منصور عيد مراحل تحضير البحوث والدراسات (١٩ في موضوعات متنوّعة) والتي توزّعت على اللغات الثلاث: العربيّة والإنكليزيّة والفرنسيّة. وممّا قاله: «عندما أطلقنا فكرة هذا المجلّد، كنّا على قناعة بأنّنا نحقّق أحد الأهداف الكبيرة التي تتبنّاها جامعتنا في رسالتها التعليميّة العالية، بما هي منبر فكريّ وثقافيّ وحواريّ لطلاّبها وللنخبة المثقّفة في المجتمع اللبنانيّ، وللنشاطات العلميّة الرائدة». ثمّ تناوب عدد من المشاركين على تقديم ملخّصات عن أعمالهم، كانت موضع مناقشة عامّة.

## يوسف عاد والشعر العامّيّ في البقاع الشماليّ

تناول الدكتور يوسف عاد في محاضرة له في الجامعة، في ٢٠٠٨/١١/١٩، أصول الشعر العاميّ في لبنان، ومراحل تطوّره منذ القرن العاشر الميلاديّ حتّى اليوم، وتطرّق إلى شعراء الزجل في البقاع الشماليّ (ميشال التوم، ياسين عبيد، رامح مدلج، ومحمّد البدوي...) وحلّل نماذج من أشعارهم، خصوصًا في محور الغزل والحبّ، ملاحظًا الضعف في الأساليب والبنية الشعريّة، واستخدام التعابير القريبة من الناس، والأوزان القصيرة في أغلب النماذج.

# العائلة مسكن الحبّ

الأب فادي بو شبل

العائلة هي طريق الإنسان إلى هذا العالم، وهي أيضًا الطريق التي سلكها ابن الله الوحيد، عندما أتى إلى هذا العالم آخذًا طبيعتنا البشريّة.

قال عنها المجمع الفاتيكانيّ الثاني: إنّها «**الكنيسة البيتيّة**»، وأعلن البابا الكبير يوحنّا بولس الثاني الحبيب أنّها «**ربيع الكنيسة**»، وكلٌّ منّا يختبر يومًا بعد يوم أهميّة العائلة، ويقرّ ويعترف بأنّها «**مسكن الحبّ**».

وقد شاءت العناية الإلهيّة هذه السنة، أن تحتفل الكنيسة المقدّسة بإعلان تطويب والدَي القدّيسة تريزيا الطفل يسوع والوجه الأقدس، لويس وزيلي مرتان، اللذين اكتشفا المعنى الحقيقيّ لسرّ الزواج فعاشاه، وكانت ثماره وفيرة، لهما ولعائلتهما وللكنيسة بأسرها.

اعتاد المؤمنون أن يروا القداسة حكرًا على المكرّسين والكهنة. لكن، بإعلان هذا التطويب، تؤكّد الكنيسة قناعتها بأنّ «**الجميع مدعوّون إلى القداسة**» (المجمع الفاتيكانيّ الثاني)، أكانوا مكرّسين أم علمانيّين، بتولين أم متزوّجين، ذلك لأنّ رغبة القلب الإلهيّ أن نكون «**كاملين كما أنّ الآب السماويّ كاملٌ هو**» (مت ٥/٤٨)، و«**إنّ مشيئة الله إنّما هي تقديسكم**»، حسب قول القدّيس بولس (١ تس ٤/٣).

لويس مرتان، البالغ من العمر أربعة وثلاثين عامًا، يلتقي بزيلي لأوّل مرّة، وهي البالغة السابعة والعشرين من العمر، على جسر سان ليون في مدينة ألنسون. هو ساعاتيّ وبائع للحُليّ، وهي صاحبة مشغل دنتال. هو طويل جسيم ووسيم، وهي نحيلة قصيرة، يشعّ الذكاء من عينيها.

بعد ثلاثة أشهر على معرفتهما الواحد للآخر، قرّرا أن يعيشا معًا تحت سقف واحد؛ وكانت الـ«نعم» التي لفظها كلّ منهما للآخر في ١٣ تمّوز ١٨٥٨، في كنيسة السيّدة العذراء مريم، في ألنسون.

مضت عشرة أشهر تقريبًا، وهما يعيشان كأخ وأخت، لأنّهما كانا يرغبان في أن يكونا يومًا راهبًا وراهبة. إلاّ أنَّ العناية الإلهيّة كانت تدبّر لهما طَريقًا آخر. فهو، لم يُقبَل في دير القدّيس برنردوس الكبير لجهله اللغة اللاتينيّة؛ وهي، رَفضَت رئيسة دير أوتيل ديو قبولها، لأنّها كانت نحيلة وصحّتها ضعيفة.

وبعد لقائهما بكاهن معرّف، بدّلا رأيهما تمامًا، فرفعا أشرعة حياتهما الزوجيّة واتّكلا على العناية الإلهيّة، التي رزقتهما بتسعة أطفال: سبع بنات وصبّيين؛ عاش منهم خمس بنات دخلن بأجمعهنّ الدير لاتّباع المسيح يسوع الطائع، الفقير والعفيف.

## | زوجان متضامنان في شركة حبّ

هذه هي خلاصة العلاقة التي جمعت ما بين الزوجين الطوباويّين الجديدين، لأنّهما كانا كلّيَي الوعي أنّ الله هو الحاضر فيما بينهما، وأنّهما لم يعودا اثنين «**إنّما جسدٌ واحد**» (مت ١٩/٥).

نعم. لقد وعى كلٌّ من لويس وزيلي مرتان، هذا الحضور الإلهيّ فيما بينهما. وانعكس هذا الحضور على حياتهما بشكل قويّ، فتعلّما أن يكونا حاضرين الواحد للآخر حضورًا حقيقيًّا، بالإضافة إلى حضورهما اللافت وسط العائلة لأولادهما. وهذا يظهر من خلال التضامن في العمل، لتأمين حياة أفضل للأولاد «ينبغي أن أعمل أنا ووالدهم لنجني المال لهم، لكي يكبروا ويكونوا مسرورين منّا»، هذا ما كتبته زيلي.

وبسبب الأعمال المرهقة التي كانت تقوم بها، وكثرة الطلب على عملها، وبسبب الأطفال وصحّتهم وأمراضهم، قرّر لويس أن يبيع محلّه، ويتفرّغ لمساندة وإدارة أعمالها المتعبة، حتّى أنّ زيلي عبّرت ذات يوم عن إعجابها بهذا الزوج، فقالت: «زوجي رجلٌ قدّيس، أتمنّى أن يكون لجميع النساء زوج مثله». أمّا هو فكان يكتب عنها أنّها «أمُّ أطفاله القدّيسة».

وبعد مرض زوجته بسرطان الثدي، أضاف لويس مرتان «**حبًّا أموميًّا على قلبه الأبويّ الحنون**». فتكرّس لخدمة بناته الخمس، وتميّز «**بألطافه التي كان يعيشها بألف شكل وشكل**».

## | «والدان لا نظير لهما».

هذا ما قالته قدّيستنا الحبيبة تريزيا الطفل يسوع عن والديها. فقد رأت مع أخواتها أنّ «**هذين الوالدين يستحقّان السماء أكثر من الأرض**». فالاثنان كانا يرغبان في عيش القداسة، وقد زرعا في بناتهما حب القداسة؛ فتريزيا مثلاً، كانت تعطي قلبها للربّ الذي كانت «**تحبّه حبًّا جمًّا**». وهي تستعمل عبارة علّمتها إيّاها والدتها: «**يا إلهي، أهبك قلبي، فخذه إن شئت، لئلاّ يمتلكه أحد المخلوقات، بل أنت وحدك يا يسوع**». وكان يكفيها أن تنظر إلى وجه والدها «**لتعرف كيف يصلّي القدّيسون**».

رافق لويس زيلي مرتان أولادهما دائمًا إلى الكنيسة، وعلّماهما الصلاة، وكيفيّة عيشها من خلال المحبّة للمحتاج، والتعاطي الناضج فيما بينهم في حضن العائلة، والطاعة الدائمة لمشيئة الله.

إنّ الرسالة، التي يحملها هذان الطوباويّان الجديدان للكنيسة والعالم اليوم، بالغة الأهميّة، نظرًا للمخاطر التي تحدق بعائلاتنا والضغوطات التي تمارس عليها.

فالرسالة الأولى موجّهة إلى كلّ شابّ وصبيّة يشعران أنّهما مدعوّان لحياة زوجيّة. وهي تتضمّن الوعي الكبير والمسؤول، والسعي إلى البناء على الصخرة، و«**الصخرة هي المسيح**» (١ قور ٤/١٠).

والرسالة الثانية موجّهة إلى الزوجين، تدعوهما إلى وعي الحضور الإلهيّ فيما بينهما. فالقدّيس بولس يقول نتزوّج «**بالربّ**» (١ قور ٣٩/٧)، وهذا هو جوهر سرّ الزواج المسيحيّ، والعلاقة الحقّة لقداسة كلّ من الزوجين.

فالعلاقة بين الرجل والمرأة، والتي هي طبيعيّة، رفعها المسيح إلى مستوى سرّ، ليقدّس الزوجين معًا، ويجمعهما بشخصه الإلهيّ كلّما عاشا هذا السرّ المقدّس، ليستطيعا أن يدركا النعمة التي يمنحهما إيّاها الربّ بأن يكونا شريكين له بالخلق، وأكثر من هذا كلّه، ليدعوهما إلى الإنتباه والوعي الكامل بأنّ مع كلّ حياة تأتي إلى هذا العالم، هناك فيضٌ من الحبّ يتفجّر من قلب الأمّ والأب، الأخ والأخت، الأقرباء والأصدقاء؛ فتصبح الحياة التي تأتي إلى العالم هي مصدر حبّ إضافيّ يُفاض على عالمنا، وسببًا إضافيًّا لشكر الله، سيّد الحياة ومعطيها.

الرسالة الأخيرة موجّهة إلى كلّ علمانيّ، ليعرف تمام المعرفة، أنّه يستطيع هو أيضًا «**بالّذي يقويّه**» (في ١٣/٤)، أن يكون قدّيسًا.

حبّذا لو أدركنا كلّنا النعمة التي نحن فيها!

حبّذا لو أدركنا أنّنا خلقنا في قلب الكنيسة أمّنا، التي تقود خطانا إلى قلب الله أبينا!

حبّذا لو نستطيع فعلاً أن نرى وندرك حبّ الله الكبير واللامتناهي لنا، هو الذي يسير معنا دائمًا!

حبّذا لو نستطيع حقًّا أن نسلّم أنفسنا للعناية الإلهيّة التي ترعانا وتقودنا من غير أن نسأل كيف ولماذا!

حبّذا لو عرفنا دائمًا أن نقول: «**نعم**» للربّ على مثال مريم، كما قال ذلك لويس وزيلي مرتان...

# Un foyer d'amour où demeure l'Esprit.

# Louis et Zélie Martin: un couple de bienheureux

Pierre et Safa Bachir
*Basilique Ste Thérèse*
*Lisieux – France*

Nous sommes tous, avec toute l'église , dans la joie, et une joie profonde pour célébrer les nouveaux bienheureux époux Louis et Zélie Martin.

Des drapeaux de tous les pays, des chants et un sanctuaire noir de monde. ? Lisieux, la basilique Sainte-Thérèse ressemblait à une joyeuse fête familiale, où tous les amis de la petite sainte Thérèse étaient là pour vénérer ses parents.

15.000 personnes ont assisté aux festivités en l'honneur de Louis et Zélie Martin, le 19 octobre 2008 à la basilique du Sanctuaire de Lisieux.

Des familles en nombre et du monde entier.

Le moment le plus fort et le plus poignant de la cérémonie a été lorsque le petit Pietro Schiliro, l'enfant italien miraculé, grâce à l'intercession des époux Martin, tenant son père par la main, a dévoilé à la foule le grand reliquaire contenant les ossements de Louis et Zélie Martin...

Dehors, les 12 000 fidèles qui n'avaient pas pu entrer et qui suivaient la cérémonie sur de grands écrans géants étaient en liesse, applaudissant et agitant leurs foulards.

Ce qui s'est passé dimanche le 19 octobre 2008 dépasse largement Lisieux. Cette béatification suscite un intérêt bien au-delà de la France. Ainsi, les premiers à avoir accordé de l'attention à Louis Martin sont les Australiens. En Floride, où l'on milite déjà pour la canonisation du couple, ce sont 75 000 images de Louis et Zélie qui ont été commandées ! Les Irlandais, quant à eux, organisent depuis plusieurs années déjà un dimanche de prière afin de favoriser leur béatification.

Ils sont d'abord connus à cause de Thérèse qui, dans *l'Histoire d'une âme*, parle d'eux. Elle fait allusion à des lettres de sa mère la décrivant tout bébé et à sa sollicitude maternelle.

Il faut dire que Thérèse ne se sentit jamais une sainte mais qu'elle s'était toujours sentie fille de saints. Voici ce qu'elle dit dans une lettre qu'elle envoie à son père à une époque où elle est déjà au Carmel: *"Quand je pense à toi, je pense naturellement au bon Dieu"*

"Bienheureux ceux qui ont en Dieu seul leur espérance. Fais confiance au Seigneur, agis bien, mets ta joie dans le seigneur, il comblera les désirs de ton cœur, dirige ton chemin vers le seigneur, fais lui confiance, et lui agira"
Psaume.

Toute une vie dans la joie et dans les épreuves, ont prié le seigneur matin et soir en famille. L'adorer et le recevoir dans l'eucharistie quotidienne. Le seigneur est devenu le cœur de la vie familiale.

Il y a 150 ans, le 12 juillet 1858, Louis et Zélie se sont donné avec foi et amour l'un à l'autre sans réserve, heureux de recevoir de Dieu les fruits de leur union.

Ils étaient très heureux et ils souffriraient beaucoup aussi. Les époux ont accepté avec foi tout ce qui leur advenait de la main de Dieu. Ils lui ont offert d'un même cœur leurs souffrances et leurs joies.

Les lettres de Zélie échangées avec Louis, son mari, révèlent la profonde affection qui unit le couple. Les époux consacrent un temps quotidien à la prière partagée. Tout en conservant son engagement professionnel elle met au monde neuf enfants. On peut lire dans sa correspondance : *"J'aime les enfants à la folie, j'étais née pour en avoir..."* Les deux

époux furent confrontés à la mort en bas âge de quatre d'entre eux. Ils ont transmis à leurs cinq autres filles une foi paisible, humble et ardente.

Avec elles, les deux époux utilisèrent une partie de leur temps et de leur argent à aider ceux qui étaient dans le besoin.

Zélie prématurément rappelée à Dieu, Louis demeuré veuf se consacra tout entier à l'éducation de ses filles et accepta leur entrée au Carmel.

"Mes bien-aimés, aimons nous les uns les autres, puisque l'amour vient de Dieu, car Dieu est amour} (1° lettre de St Jean). Louis et Zélie ont vécu à la lettre l'enseignement de St Jean.

Ils ont aimé Dieu sans aucune réticence et avec ferveur. Et avec la même ardeur, ils se sont aimés l'un l'autre, ils ont aimé les enfants que Dieu leur a donnés, les enfants que Dieu leur a repris, les enfants qui se sont donné à Dieu.

"Aimer c'est tout donner et se donner soi même" écrit la petite Thérèse fruit de leur amour conjugal.

Ce foyer chrétien que l'église nous donne aujourd'hui de contempler, pour y puiser, avec tous les foyers du monde , la grâce de vivre l'amour conjugal et familial dans un amour partagé qui devient un amour multiplié.

D'après les confidences de Zélie dans leur correspondance familiale, cette famille a connu les incompréhensions, les maladies, les problèmes financiers, tout ce qui constitue le pain quotidien de toutes les familles d'aujourd'hui.

Ils ont eu d'abord la difficulté à trouver leur voie avant de s'engager ensemble pour la vie.

Ensuite la difficulté de concilier l'entreprise de l'horloger avec celle de la dentellière, et c'est Louis qui se sacrifiera pour Zélie.

Louis et zélie se sont consacré avec amour à l'éducation de leurs enfants. Ils ne se sont pas contentés de leur transmettre la vie, mais de leur transmettre la foi, de les ouvrir à Dieu et d'être pour eux un vivant exemple de vie chrétienne.

La petite Thérèse a dit "n'ayant que de bons exemples autour de moi, je voulais naturellement les suivre" Et elle témoignera plus tard "Le bon Dieu m'a donné un père et une mère plus dignes du ciel que de la terre".

Louis et Zélie s'aiment tendrement. Zélie dit de son mari : "C'est un saint homme que mon mari, j'en souhaite un pareil à toutes les femmes".

Et elle lui écrit quand il est en déplacement: "Il me tarde d'être auprès de toi, mon cher Louis, je t'aime de tout mon cœur, et je sens encore redoubler mon affection par la privation que j'éprouve de ta présence; il me paraît impossible de vivre éloignée de toi".

Et encore : "Je suis si heureuse aujourd'hui à la pensée de te revoir que je ne puis travailler. Ta femme qui t'aime plus que la vie".

Louis est moins expansif, et sa femme s'en plaint : "Mon mari, très paresseux pour écrire. J'ai beau le prier, c'est comme si je ne disais rien".

Nos bienheureux époux ont bien chacun leur personnalité et ne sont pas aveugles l'un sur l'autre.

Mais cet amour privilégié n'est pas un amour exclusif. Zélie et Louis n'aiment pas en paroles, mais en vérité. Leur amour de Dieu et leur amour conjugal ne les dispensent pas d'aimer leur prochain, et de se sacrifier pour lui.

Un foyer très affectueux, mais qui n'est pas pour autant refermé sur lui-même. Un foyer qui va connaître l'épreuve, le cancer qui emporte Zélie à quarante cinq ans, après dix neuf ans de vie commune.

Cette attitude conduira Zélie à accueillir la nouvelle de sa grave maladie avec cinq filles à élever, sans céder au désespoir: "Le bon Dieu me fait la grâce de ne point m'effrayer; je suis très tranquille, je me trouve presque heureuse, je ne changerais pas mon sort pour n'importe lequel. Si le bon Dieu veut me guérir, je serai très contente, car, dans le fond, je désire vivre: il m'en coûte de quitter mon mari et mes enfants.

Mais, d'autre part, je me dis: "Si je ne guéris pas, c'est qu'il leur sera peut-être plus utile que je m'en aille...". En attendant, je vais faire tout mon possible pour obtenir un miracle: je compte sur le pèlerinage de Lourdes; mais si je ne suis pas guérie, je tâcherai de chanter tout de même au retour".

Et Louis qui va survivre longuement, mais dont la maladie neuropsychiatrique, véritable calvaire pour lui et pour ses filles, va le configurer à la sainte face du christ de la passion.

Les bienheureux époux Louis et Zélie Martin se sont sanctifiés en leur union conjugale, qui illustre la grandeur et la beauté du mariage chrétien.

Leur exemple que l'église nous propose aujourd'hui, bien loin d'être un lointain idéal, c'est la plénitude du mariage naturel porté à son accomplissement par la pratique des vertus chrétiennes, clefs d'un bonheur durable pour les époux comme pour les enfants qui naissent de leur union.

Si la sainteté a pu s'épanouir et donner des fruits auprès de toutes les filles de la famille, et tout particulièrement, Thérèse, c'est que Louis et zélie ont su cultiver à merveille le jardin de leur foyer et donner à leurs enfants de croître dans une culture nourrie de l'évangile.

Nous qui devons beaucoup à la "petite Thérèse", nous le devons d'abord à ses parents qui ont su créer le riche terreau où la sainteté de Thérèse a pris naissance en attendant la consécration totale du Carmel.

Zélie a su transmettre à ses filles le langage de l'amour et le sens profond de tous les gestes de la vie familiale.

Thérèse, au moment où elle faisait ses premiers pas, raconte sa mère, il lui était difficile de monter l'escalier de la maison. Alors elle se mettait sur la première marche et elle criait: "Maman!", et elle ne bougeait pas de là tant que sa mère ne lui avait pas répondu: *"Oui! ma petite fille!"*. C'est alors seulement qu'elle levait le pied et surmontait l'obstacle. Plus tard, Thérèse, une fois devenue éducatrice de jeunes novices, leur enseignera *"qu'il n'y a pas de meilleure méthode pour apprendre à monter vers Dieu que de l'appeler à chaque pas"*.

En ce 21ème siècle, période incertaine pour notre société occidentale et orientale, où le mariage chrétien et le mariage tout court, fondé sur l'amour conjugal, fidèle et fécond, est menacé dangereusement.

Nous savons que nous vivons une grande crise de la famille. Beaucoup vivent la grande épreuve du divorce.

L'église en nous donnant à vénérer les bienheureux époux Louis et Zélie, nous aide à redécouvrir à travers l'exemple vivant des parents de Thérèse de Lisieux, la grandeur et la dignité du mariage, ce mystère d'amour qui habite l'homme et la femme depuis le premier jour où nous avons été créés à l'image et à la ressemblance de Dieu.

Chers Louis et Zélie,

Chers bienheureux époux, nous vous prions pour toutes nos familles, pour les parents et les enfants et les soucis d'éducation.

Pour celles et ceux qui luttent contre la maladie, en particulier le cancer.

Pour mari et femme qui ont perdu leur conjoint et vivent avec beaucoup de difficulté leur veuvage.

Chers bienheureux, aidez nous, aidez nos familles à vivre comme vous dans la foi, l'espérance et l'amour.

**Pierre et Safa Bachir**
**Basilique Ste Thérèse**
**Lisieux – France**

*N.B. Le reliquaire, contenant les ossements des parents de sainte Thérèse, réalisé par un orfèvre de Vérone, a été offert par la communauté irlandaise et repose désormais à la crypte de la basilique Sainte-Thérèse de Lisieux.*

# رشيد متّى.. ومُسَلَّمة إقليدوس الخامسة

رشيد متّى، من مواليد ١٩٣٩، إهمج - جبيل- لبنان.
متزوّج من ميّ متّى، ولهما ولد واحد: جواد، مواليد ١٩٩٢.
حائز على:
- إجازة في الرياضيّات من المركز العالي للعلوم الرياضيّة في بيروت ( جامعة ليون الفرنسيّة)، ١٩٦٣.
- شهادة في الهندسة المدنيّة من مدرسة الفنون العليا المركزيّة، باريس، ١٩٦٦.
- شهادة عليا في الرياضيّات من جامعة باريس، ١٩٦٨.

وهو:
أستاذ مساعد في جامعة باريس، من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٨.
مهندس في شركة رينتو في فرنسا، من ١٩٦٦ إلى ١٩٧٢.
مدير شركة أتّو للهندسة في الإمارات العربيّة المتّحدة، من ١٩٧٤ إلى ١٩٨٠.
مدير الإدارة الهندسيّة في مؤسّسة الزرعوني في الإمارات العربيّة المتّحدة، من ١٩٨١ إلى ١٩٨٥.
باحث في الرياضيّات، منذ ١٩٨٥ إلى اليوم.

www.mathtruth-rachidmatta.com
The Soldier of the Truth

**هذا هو موقع عالم الرياضيّات اللبنانيّ المهندس رشيد متّى. وقد أنشأه لنشر الحقيقة العلميّة الناجمة عن برهنته للمسلّمة الخامسة لأقليدوس سنة ٢٠٠٤.**
**وجنديُّ الحقيقة هذا يسعده أن يزور موقعَه أساتذةُ الرياضيّات والطلاّب. بل هو مستعدّ للردّ على أسئلتهم وتعليقاتهم. وفي ما يأتي ضوء على علمه وعمله...**

■ كيف يعرّف المهندس رشيد متّى عن نفسه؟

■■ لقد منحني الله نعمة الرياضيّات، وعقلاً يفكّر ويبرهن بطريقة سليمة، وجرأة للتصدّي للأخطاء التي وقع فيها كبار العلماء في الماضي. العلماء الحاليّون يتّبعونهم من دون نقد أعمالهم، معتبرين أنّها خالية من الخطأ، مع أنّي وجدت فيها أخطاء جسيمة وبعدد كبير. وطلاّب العلم والحقيقة يجدون ذلك في كتبي التي ستصدر في العام ٢٠٠٩ باللغتين الفرنسيّة والانكليزيّة:

1. "Les démonstrations du théorème de la parallèle"
2. "Vingt-cinq siècles de séduction dans la géométrie"
3. NI Infini NI Continuité
4. La Relativité interrogée

■ أنت تفضّل الجيومتري على بقيّة فروع الرياضيّات، فما السبب؟

■■ الجيومتري هي معرفة ضروريّة للإنسان؛ وقد أدرك الفيلسوف أفلاطون هذه الحقيقة تمامًا،

ولذلك رفع على مدخل أكاديميّته، منذ ٢٤٠٠ عام، شعار» لا يدخل إلى هنا من لا يعرف الجيومتري«.

■ هل نستنتج أنّ الجيومتري هي مادّة أساس في حقل المعرفة؟

■■ هذا السؤال يتطرّق إلى نقطة جوهريّة. نعم، الجيومتري تقدّم المبادئ لفروع الرياضيّات إبتداءً من الحساب ونظريّة الأعداد، فيما الرياضيّات تقدّم المبادئ لسائر العلوم والنموذج المثاليّ للفلسفة.

■ أنت تبدّل المواقع: تعطي الأولويّة للجيومتري وتُنزل علم الحساب عن عرشه، والعلماء يعتبرون هذا الأخير ملك العلوم، وقد بنى بعضهم الجيومتري؛ عليه فكيف تبرّر ذلك؟

■■ علم الحساب ونظريّة الأعداد والتحليل ليست مؤسّسة على قاعدة صلبة وصحيحة كما يعتقد علماء الرياضيّات، وكتابي الذي سيصدر باللغتين الفرنسيّة والانكليزيّة في العام ٢٠٠٩ سيظهر هذه الحقيقة ويبيّن الأخطاء التي وقع فيها العلماء ويردّدها أساتذة الرياضيّات من دون النظر بعين ناقدة إلى أعمال الذين قدّموا نظريّات في هذا الحقل كجورج كانتور مثلاً الذي أدخل العدد اللانهائيّ، وهذا خطأ جسيم؛ ومن المؤسف أنّ ذلك يعلّم في المدارس في الصفوف التكميليّة وفي الجامعات. سيحمل كتابي عنوان:

(NEITHER INFINITY NOR CONTIMUITY)
NI INFINI NI CONTINUITÉ

وسيرى الأساتذة والباحثون والطلاّب أنّ الحقيقة في الرياضيّات التي ظهرت في الجيومتري ببرهنة المسلّمة الخامسة لأقليدوس ستمتدّ إلى الحساب وبقيّة العلوم، وسيرون أنّ كلّ الأسس والمبادئ التي طرحها العلماء في السابق غير صحيحة وتجافي الحقيقة. يجب أن يعلم الجميع أنّ الحقيقة فوق كلّ اعتبار. ولذلك يجب تعليمها للأجيال المقبلة لتبنى عقولهم بطريقة سليمة.

إنّي أدعو الأساتذة والباحثين وطلاّب العلم لمناقشة نظريّاتي والتعليق عليها ونقدها النقد البنّاء، وأنا مستعدّ لنشر مقالاتهم العلميّة على موقعي الالكترونيّ.

■ هناك عدّة أنواع من الجيومتري، فكيف يمكنها أن تكون أساسًا للرياضيّات والعلوم؟

■■ أصبحت الجيومتري علمًا واحدًا وصحيحًا ببرهنتي للمسلّمة الخامسة لأقليدوس. الجيومتري الأقليديّة ألغت كلّ الجيومتريات المناقضة والنظريّات المبنيّة عليها، وأعادت الحقائق الخالدة إلى قلب الرياضيّات، بعد أن اعتقد مناقضو أقليدوس أنّهم طردوها إلى غير رجعة. كلّ العلماء الذين قدّموا كتبًا لتأسيس الرياضيّات بطرد المعنى، ارتكبوا خطأ جسيمًا بحقّ الرياضيّات، وخاصّة الجيومتري. وهنا أشير بشكل خاصّ إلى كتاب دافيد هيلبرت الذي صدر عام ١٨٩٩ بعنوان «أساس الجيومتري» وفيه أبدى المؤلّف اعتقاده أنّه قدّم الأساس الصحيح للجيومتري. هذا الكتاب يعتبره العلماء مرجعًا مهمًّا، كاعتبارهم لمذكّرة برنار ريمن في محاضرة له سنة ١٨٥٤. والفحص الدقيق لهذين المستندين يظهر أنّ هذين العالمين لم يفهما جوهر الجيومتري، وكلّ ما قدّماه محشوّ بالخطأ.

هذا الكلام سيزعج حتمًا أنصار علم الحساب والعدد وعلم التحليل والذين يبجّرون لريمن وهيلبرت، لأنّهم يعتقدون أنّ هذه العلوم مؤسّسة بطريقة متينة.

■ أنت تعتبر الجيومتري الأساس لكلّ العلوم، فماذا لو وجد أحدهم خطأ في برهنتك؟

■■ أؤكّد أنّ براهيني لا أحد يستطيع أن يجد فيها خللاً، لأنّها تطبّق مبادئ الجيومتري الحقيقيّة، وتتّبع الطرق الرياضيّة والمنطقيّة الصحيحة للتفكير والتحليل والبرهنة. ومن يعتقد أنّه يستطيع أيجاد خلل ما، فليتفضّل ويرسل مذكّرة إلى موقعي. لغاية اليوم لم يستطع أيّ عالم رياضيّات أن يجد فيها خللاً، وهي مقدّمة إلى عدّة أكاديميّات في العالم ومعروضة أمام أعين الجميع على موقعي في الانترنيت. صحّة براهيني ناتجة عن فهمي العميق لجوهر الخطّ المستقيم والمسطّح القويم، وقد أكرمني الله يوم منح عقلي القدرة لإعطائهما التحديد الصحيح، وهذا ما سمح لي بالوصول إلى البرهان الصحيح. كلّ علماء الرياضيّات الذين أراسلهم عبر الانترنيت يلوذون بالصمت، ولغاية اليوم لم يقدر أحد منهم أن يدحض برهانًا واحدًا من البراهين المقدّمة إلى الأكاديميّات أو المعروضة على هذا الموقع.

بعض الخبراء ردّد القول المعلّب بأنّ البرهنة مستحيلة، ولكنّ كتابي »ثلاثمائة عام من الضلال في الجيومتري« الذي صدر سنة ٢٠٠٦، فضح خطأ قولهم. في الجيومتري البرهان وحده يتكلّم.

■ تبدو على ثقة راسخة!؟

■■ الرياضيّات هي إنتاج الروح ، والروح شعلة إلهيّة خالدة وهبها المهندس الأوّل للإنسان لكي يظلّ مشدودًا إليه وعارفًا أصله السماويّ. وعندما تستند روح عالم الرياضيّات على الله، فإنّ النور الإلهيّ يلفّ عقله ويقيه من الوقوع في الخطأ كي ينتج حقائق خالدة يقدّمها غذاء لعقول البشر.

منذ سنيّ الدراسة الأولى في معهد الأخوة المريميّين في جبيل في الخمسينيّات، كنت أحبّ كلّ الموادّ وخاصّة الرياضيات والعلوم بل أعشق الجيومتري. وتجلّى هذا العشق في معهد الرسل في جونيه

من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٠. وعندما دخلت معهد الدراسات العليا في بيروت من سنة ١٩٦٠ إلى ١٩٦٣ بدأت الرياضيّات تفقد رونقها. وبالرّغم من حصولي على إجازة فيها، فهذه الشهادة لم تملأ عيني. لذلك، توجّهت إلى حقل الهندسة المدنيّة في المدرسة المركزيّة في باريس، حيث كنت في الوقت نفسه أستاذًا مساعدًا في كليّة العلوم في باريس وأحضّر شهادة الدراسة المعمقّة في الرياضيّات تمهيدًا لتحضير دكتوراه دولة في نظريّة النسبيّة لأنشتاين. وكم كانت دهشة أستاذي كبيرة عندما قرأ في المذكّرة التي قدّمتها في نهاية السنة الثانية أنّ نظريّة النسبيّة غير صحيحة، وأنّ ما يلقّنه من دروس هو من نتاج الوهم. وأضفت بتحدٍّ: سأثبت لك ذلك ببرهنة المسلّمة الخامسة لأقليدوس التي تلغي الجيومتريّات المناقضة للجيومتري الأقليديّة. إلغاء هذه الجيومتريّات يحرق خشبة الخلاص عند أنشتاين. وهذا ما فعلته شمس الجيومتري التي أشرقت إلى الأبد في لبنان ببرهنة المسلّمة الخامسة التي تعتمد حقيقتها على أكثر من مائة برهان يرأسها برهان لبنان الكبير الذي يبيّن خللاً فاضحًا في جيومتري لوباتشفسكي التي ترفض حقيقة المسلّمة الخامسة.

بعد بحوث شاقّة امتدّت على خمسين عامًا حصّلت هذه الثقة، لأنّي أسلك الطريق القويم الذي يجري عليه الخطّ المستقيم عندما ترسمه الروح المستندة على مرجعيّتها الوحيدة: الله.

الله هو المرجعيّة الوحيدة لعالم الرياضيّات الأصيل، لذلك لا يحقّ له أن يخطئ. وهذا ما جهرت به عاليًا في احتفال اليونيسكو سنة ٢٠٠٦، وما أذكره دائمًا في مداخلاتي على مواقع الانترنيت، وخاصّة على موقعي. وأدعو القرّاء لزيارته ليروا بأمّ العين كيف يقنع جنديّ الحقيقة العلماء بالحجج الحاسمة، وكيف يسبك البراهين المحكمة.

أدعو أساتذة الرياضيّات والطلاّب لدراسة برهان مسقط رأسي إهمج، ليروا كيف أنّ الخطّ المستقيم ينشر الحقيقة ويبرهن ببساطة المسألة التي قاومت العلماء طوال ٢٣٠٠ عام.

■ ما هي نتائج بحوثك، وكيف يتجاوب معها المعنيّون؟

■■ كلّ المحافل العلميّة ودور العلم ستهتدي حتمًا إلى الحقيقة، ولاسيّما أنّ أكثر من مائة طريقة في خدمتها. من لا يقتنع، عليه أن يبيّن خللاً في براهيني. البراهين مقدّمة إلى أكاديميّات الدول التالية بواسطة سفارات هذه الدول.

□ | ا- فرنسا، اعتبارًا من نهاية العام ٢٠٠٤.

○ | كتاب «ثلاثمائة عام من الضلال في الجيومتري» الذي صدر عام ٢٠٠٦، جاء ردًّا على قول الخبراء أنّ البرهان مستحيل، وهو قول خاطئ يعود إلى القرن التاسع عشر. عندما يدرسون البراهين سيرون فداحة خطئهم، وأنّ المسلّمة الخامسة لأقليدوس تبرهن باستعمال المسلّمات الثلاث الأولى فقط. كلّ تقاريرهم السابقة في هذا الموضوع تكون خاطئة، وكذلك كلّ ما أنتجوه في الجيومتري. ليس سهلاً عليهم أن يهضموا هذه الحقيقة، ولكنّ الحقيقة المبرهنة ستنتصر حتمًا على الخطأ والضلال.

□ | ب- الصين، النمسا، سويسرا، الفاتيكان، هنغاريا.

○ | البراهين قدّمت في شهر آب ٢٠٠٨ إلى خمسة مراجع مهمّة بواسطة سفير لبنان الأستاذ شربل أسطفان. تجدر الإشارة إلى أنّ هنغاريا هي موطن عالم الرياضيّات جانوس بوليه الذي أنشأ الجيومتري الهيبربوليّة المناقضة لأقليدوس. براهيني تلغي ما عمله، والهنغاريّون سيتقبّلون ذلك بكلّ رحابة صدر، لأنّ الأمانة العلميّة لا تقبل استمرار الخطأ.

لغاية اليوم لم يستطع أحد من الخبراء أنّ يجد خللاً في براهيني، وعندما أتلقّى أيّ جواب سأنشره على موقعي على الانترنيت.

■ وماذا بعد في ختام هذا الحديث؟

■■ إلى الأساتذة الكرام أقول: أطردوا الخطأ من الرياضيّات، ولا تقدّموا إلى طلاّبكم نظريّات واهية ووهميّة. تدريس الجيومتري بالاعتماد على العدد خطأ فادح، لأنّ العدد متقطّع والخطّ المستقيم متواصل.

إلى الباحثين أقول: توقّفوا عن تقديم أبحاث لا تستند إلى أساس صحيح.

إلى أصحاب مواقع الانترنيت التي تهتمّ بالرياضيّات أقول: كفى هذيانًا. إستعملوا عقولكم بطريقة سليمة.

أيّها المربّون يجب أن تقدّموا إلى الأجيال المقبلة العلم الصحيح الخالي من كلّ خطأ، لكي يتدرّب الطلاّب على التفكير السليم. لا تستغربوا عزوفهم عن الرياضيّات والعلوم.

في يوم عشاء الفكر السنويّ الذي سيقام في ٦ آذار سنة ٢٠٠٩، تُخَصّص ساعتان من السادسة إلى الثامنة مساء لعرض بعض البراهين وشرحها ومناقشتها مع الأساتذة والطلاّب في الرياضيّات. وفي هذه المناسبة سأقدّم برنامجا عالميًّا لإصلاح الرياضيّات، وسيقدّم برهان قضاء جبيل إلى المسؤولين. يا محبّي الحقيقة أنشروها وساندوها. وإنّه لسعدني أن أردّ على كل سؤال شخصيّ يوجّه إلى بريدي الالكترونيّ: rachidmatta@hotmail.com
أو إلى بريد أصدقاء الحقيقة mathtruthfriends@hotmail.com

أمّا الأسئلة الموجّهة موقعي، فيتمّ الردّ عليها على الموقع ذاته وتوضع بتصرّف الجمهور.

# بنـــاء الـــدولـــة في لبـــنـــان

**«بناء الدولة في لبنان»** عنوان لسلسلة ندوات، تعاونت جامعة سيّدة اللويزة على تنظيمها مع المركز العربيّ لتطوير حكم القانون والنزاهة، برعاية رئيس الجمهوريّة العماد ميشال سليمان.

## جلسة الافتتاح تمّت في ٢٠٠٨/١١/٦.

أدار هذه الجلسة المدير العامّ للعلاقات العامّة في الجامعة الأستاذ سهيل مطر، وشارك فيها على التوالي: رئيس الجامعة الأب وليد موسى، والدكتور وسيم حرب عن المركز العربيّ لتطوير حكم القانون والنزاهة، والدكتور غالب غانم رئيس مجلس شورى الدولة ممثّلاً وزير العدل الدكتور ابراهيم نجّار، والأستاذ ابراهيم شمس الدين وزير الدولة لشؤون التنمية الإداريّة ممثّلاً رئيسَ الجمهوريّة العماد ميشال سليمان.

**الأستاذ سهيل مطر**، وفي مستهلّ كلمته، أوضح أنّ العنوان «بناء الدولة في لبنان» هو ثمرة التجارب منذ ٨٨ سنة، أي منذ إنشاء دولة لبنان الكبير في العام ١٩٢٠.

وأضاف: «بناء الدولة في لبنان» عبارة نردّدها أبدًا، أمّا التطبيق والتنفيذ والتحقيق العمليّ فسرابٌ وأوهام. فهل نستمرّ في هذا الإحباط؟

**الأب وليد موسى** ذكّر بدايةً بأنّ الجامعة، ومنذ الطائف عام ١٩٩٠، وهي تكثّف ندواتها ومؤتمراتها حول الشأن العامّ، وقد تحوّلت إلى كتب ومراجع لا تزال سجينة الأدراج أو المكتبات، وسأل: ما هي الإعاقة التي تقف حاجزًا بين النظريّة والتطبيق؟

وبإشارته إلى المبادئ التي أثارها الإرشاد الرسوليّ حول قيام الدولة، وفشلنا تاليًا في تحقيق هذا القيام، دعا إلى وجوب البحث في أسباب هذا الفشل وفي الوسائل الآيلة إلى النهوض والبناء، مستشهدًا بقول الرئيس سليمان في خطاب القسم: فلنتّحد ونتضامن، ونعمل لبناء الدولة المدنيّة، القادرة، المرتكزة على احترام الحريّات العامّة والمعتقد والتعبير.

ثمّ أوضح: وتلبيةً لهذا النداء كانت هذه الحلقات البحثيّة. وإنّ أبواب هذه الجامعة ستظلّ مفتوحةً لكلّ حوار بنّاء، ولكلّ فكر تحرّريّ صادق...

**الدكتور وسيم حرب** أثار مجموعة من الأسئلة/ الإشكاليّة ضمن ثلاثة أبواب، دارت على الكيان ونظام الحكم ومفاهيم الإدارة، بلوغًا إلى قوله: وإذا كانت الإشكاليّتان الأوليان، ستبقيان لمدّة غير منظورة النهاية، موضوع حوار وتطوّر، فإنّه لا شيء يمنع أو يحول دون أن تسلك الإشكاليّة الثالثة طريقها نحو إيجاد المخارج والحلول لها، بحيث تطوّرُ بسرعة ونحو الأفضل أداءَ الحكم بكلّ مرافقه ومؤسّساته العامّة، فيستقيم مفهوم الإدارة الرشيدة، الذي تتوطّد فيه

ركائز حكم القانون ودولة المؤسّسات، ويستقيم بالتالي الحكم الصالح الذي يبنى على الشفافيّة، وعلى المساءلة، وعلى أشكال المشاركة الأكثر فاعليّة والأكثر تعبيرًا عن الديمقراطيّة والأكثر ضمانًا للحريّات العامّة الأساسيّة؛ هذه الحريّات التي أصبحت قانونًا دوليًّا له السيادة على القوانين الوطنيّة.

وتحدّث **القاضي د. غالب غانم** معيّنًا المنطلقات التي تمهّد لبناء دولة القانون والمؤسّسات من النظريّة والإدارة إلى القدرة والواقع. ثمّ ركّز على أنّ المؤسّسة الأعلى والأقوى والمتقدّمة هي مؤسّسة القانون قضاءً وإداراتٍ، بل كلّ ما يسيّر مرفقًا من المرافق العامّة وله صلة وثيقة بالمجتمع المدنيّ وبدوره في إطلاق حياة الجماعة وترسيخ مبادئها الأساسيّة. ونبّه إلى أنّ مصطلح حكم القانون يقوم على مثلّث المساواة والديمقراطيّة وحقوق الانسان. واستطرادًا، أبدى أسفه أن كادت الطائفيّة اليوم تجتاح دولةَ القانون وحكمه، والقانون هو المؤسّسةُ الأعلى! وإذ سأل أخيرًا: ماذا قدّمنا ونقدّم لأبناء الغد وغد الغد وكيف سنقف أمام محاسبة محكمة التاريخ، عبّر عن يقينه بأنّ المسيرةَ لن تكون فاشلة من منطلق الرؤيا والتصميم!!

وأخيرًا، كانت كلمةُ **الوزير ابراهيم شمس الدين**، التي جاء فيها:

لا تزال الدولة مشروع الجميع ومطلب الجميع، على شعارها نتقاتل ونحمل لواءها في آن معًا. والدولة لا تزال مشروعًا لم يتحوّل إلى دولة بعد.

هل هي الدولة مشروع عصيّ إلى هذه الدرجة؟ صعب إلى هذا الحدّ؟ مستحيل في لبنان ربّما كما يعبّر عديدون من فاقدي الأمل؟

كلاّ، ليست الدولة مشروعًا مستحيلاً في لبنان، وليست مشروعًا يصعب على اللبنانيين تحقيقُه، وهم الذين يساهمون في بناء دول العالم كلّها تقريبًا. والدولة مطلبٌ حقٌّ للناس، وهي أيضًا مطلبٌ عاقلٌ وواقعيّ لهم.

لا تُبنى الدولة بدون شرعة لها؛ وشرعة الدولة في لبنان هي دستورها. واتفاق الطائف فيها، الذي توافق عليه اللبنانيّون جميعًا، هو الإطار القانونيّ لعيشهم الواحد ولدولتهم الواحدة والوحيدة أيضًا، إذ لا حياة لدولة في داخلها دولة أخرى.

والدولة المنبثقة عن اتفاق الطائف، والمستندة إلى الدستور، والمنتخبة من الشعب، هي دولة شرعيّة تمامًا من الناحية القانونيّة والأخلاقيّة والفقهيّة أيضًا، لأنّه لا إرغام فيها.

لا تُبنى الدولة في لبنان عبر معاندتها ومناكفتها من داخل مؤسّساتها أو من خارجها. من يريد أن يساهم في بناء الدولة، ومن يريد أن يدخلها، يجب أن يخضع لقوانينها وآليّة عمل مؤسّساتها الدستوريّة، لا أن يتجاوزها أو يتملّصَ منها أو يخالِفَها.

لا تستمرّ الدولة وتحيا بدون قوانينَ وأنظمةٍ تميّزُ بين مؤسّساتِها، وتحدّد أدوارها ومهامَّها، وتفصِل بين سلطاتِها، وتحمي حقّ المواطنين فيها بالعدل، وتحفظ حقوقها هي بالقانون. هذه هي دولةُ القانون والمؤسّسات، حيث لا تشاركُ السلطةُ التشريعيّةُ السلطةَ التنفيذيّةَ عملَها، ولا تشاركُ السلطةُ التنفيذيّةُ السلطةَ القضائيّةَ عملَها.

لا دولة بدون جيش. سويسرا هي استثناء القاعدة. الجيش هو مؤسّسة الدفاع عن الوطن، وحفظ الدولة ونظامها ودستورها بإمرة مؤسّستها السياسيّة في مجلس الوزراء وفقًا لشرعة اتّفاق الطائف في لبنان. والجيش اللبنانيّ مؤسّسة كبرى، ومن مؤسّسات الدولة الثابتة، وينبغي أن يُدعم ويُحفظ ويُعزّز بدلاً من التشكيك والتوهين والمحاصرة.

ليس الجيش من طقوس الدولة أو بُهرجها، بل هو عماد الدفاع عن الوطن ضدّ أيّ احتلال أو اعتداء. وهو مؤسّسة المقاومة التي يجب أن يقبلها الجميع صدقًا حتّى تقاوم فعلاً. ولهذا يجب أن يكون موضع الثقة حتّى يتصرّف بقوّة، ويجب أن يكون قِبلة التأييد حتّى يتمكّن من التحرير.

لا تبنى الدولة في لبنان بالالتفات إلى الخارج، بل بالتوجّه الدائم إلى الداخل اللبنانيّ. تبنى الدولة عبر الاندماج الوطنيّ: أن لا يكون لأيّة جماعة من اللبنانيين مشروع خاصّ بها منفصلٌ عن مواطنيها، وأن لا تكون لها أطماع استقواء وغلبة، وأن لا تطغى الحزبيّة على

الجماعة، وأن لا يأكلَ الخوفُ الثقةَ والصلةَ، وأن لا يجتاحَ التخويفُ الطمأنينةَ والركونَ إلى النظام والقانون.

لا تُبنى الدولة وتستمرّ إلاّ عبر التجدّد والتغيير. والتجدّد والتغيير لا يكونان إلاّ عبر قانون انتخابات صحيح وطبيعيّ يسمح للجميع بالتمثّل، ويسمح للجميع بتشارك السلطة والمسؤوليّة ضمن القانون. ولهذا تسمّى الدولة دولة، لأنّ السلطة تُتداولُ فيها ولا تُحتكر أو تُحبس.

لا تكون الدولة إلاّ برئيس واحد، وليس بعدّة رؤساء؛ رئيس واحد هو رئيس البلاد، رئيس الوطن، رئيس الجمهوريّة... والبقيّة المحترمون هم رؤساء مؤسّسات في الوطن وفي الدولة.

ليست الدولة مشروعًا دينيًّا، وليست تكليفًا إلهيًّا، إنّما هي حاجةٌ مشروعة للاجتماع البشريّ، ووسيلةٌ لنَظْمِ الأمور والنموّ بسلام. الدولة هي للناس يجعلونها لأنفسهم، وليس الناس مُلك الدولة. الدولة تخدم الناس، وليس الناس خدمًا للدولة وللسلطان فيها، تمامًا كما أنّ الله أرسل الدين للناس وأرسل الأنبياء للناس، ولم يخلق الناس للأنبياء او للدين. ولهذا، إنّ الدولة هي أداة ووسيلة لتنظيم حياة المجتمع، وليست مقدسًا دينيًّا، وبالتالي يجب أن تضمّ الجميع وفقًا للدستور وتحفظ الجميعَ حتىّ يركن إليها الجميع.

لا تُبنى الدولة العادلة بدون حريّة. وبناء الدولة في لبنان يقوم على حريّات متعدّدة ومتنوّعة محفوظة كلّها ومنتظمة ضمن نظام ديمقراطيّ. ولبنان لا يقوم فقط على ثنائيّة المسيحيّة والإسلام، بل يقوم على ثلاثيّة الديمقراطيّة والمسيحيّة والإسلام. والنظام الديمقراطيّ في لبنان هو المحفوظ والمتوافق عليه في اتّفاق الطائف. هذا هو نظام الديمقراطيّة التوافقيّة اللبنانيّة؛ هو ما اتّفق عليه اللبنانيّون في الطائف. الديمقراطيّة التوافقيّة لا تعني أبدًا استجلاب كلّ مادّة من الدستور وتجريدها من مقبوليّتها وإخضاعها للنقاش مجدّدًا بحجّة التوافق عليها. هكذا يكون التشكيك وتوهين الاستقرار. لا نريد أبدًا أن يكون شعار التوافق توهينًا وإضعافًا للدولة، ونيلاً من الدستور، وخروجًا عليه.

تُبنى الدولة في لبنان وتستقرّ ويكون لبنان وطنًا نهائيًّا حقًّا ومستقرًّا بالشراكة التامّة بين المسيحيّين والمسلمين فيه بغضّ النظر عن العدد. المسيحيّون والمسلمون في لبنان شركاء وأنداد في كلّ شيء: يصنعون الوطن معًا، ويبنون الدولة معًا، يقاتلون معًا وينتصرون معًا ويستشهدون معًا ويربحون معًا. إنّ ضعفَ المسيحيين أو استضعافَهم يطيحُ بلبنان، وإنّ ضعفَ المسلمين أو استقواءَهم يطيح بلبنان.

تُبنى الدولة، أو بالأحرى، نبني الدولة في المدرسة وفي الجامعة أيضًا. وهذه الجامعة هي، إن شاء الله، جامعة وطنيّة لبنانيّة، جامعة ككلّ جامعة لبنانيّة وطنيّة صحيحة، تصنع رجالاً ليكونوا رجال دولة يبنون وطنًا دائمًا. والجامعة ينبغي أن تجمع الجميع من دون تمييز، وأن تقبل الجميع من دون نبذ، وأن تعلّم الجميع ما يحتاجونه ليكونوا جماعة واحدة دائمًا، بل شعبًا واحدًا دائمًا.

## ▫ | وتمّت الندوة الأولى، تحت عنوان: حكم القانون والنزاهة، في ٢٠٠٨/١١/١٣.

أدار هذه الندوة النائب الشيخ بطرس حرب، وشارك فيها على التوالي: رئيس مجلس القضاء الأعلى الدكتور أنطوان خير، ورئيس مجلس شورى الدولة الدكتور غالب غانم، ونقيب المحامين الأستاذ رمزي جريج.

○ | **النائب بطرس حرب**، الذي دعا إلى التصدّي للحقيقة الفجّة وإلى الجدّيّة في المعالجة لكيما تأتي هذه الندوات ثمارَها، بادر إلى السؤال ما إذا كان الواقعُ

اللبنانيّ يرعاه حكم القانون والنـزاهة، وما إذا كان هذا الواقعُ يؤمّن المشاركة الحقيقيّة والفعّالة للمواطنين في تقرير مصيرهم، وما إذا كان القانونُ ينظّم شؤوننا العامّة ويحمي حريّاتنا وحقوقنا..؟

وقال: قد يكون ظهور المؤسّسات الخيريّة والاجتماعيّة والإعماريّة والصحيّة والتربويّة التابعة للأحزاب والقوى السياسيّة أكبر دليل على أنّ المواطن في لبنان يفقد تدريجيًّا حقوقه الاجتماعيّة والسياسيّة، وحتّى الانسانيّة، وبالتالي يصبح أسيرًا لهواجسه أو غرائزه أو للخدمات التي يؤمّنها الحزب أو التيّار أو الحركة. وهذا ما يستدعي التساؤل عن الفرق بين الإقطاعيّة التاريخيّة، والإقطاعيّة الحديثة المُمارسة اليوم، وحول مدى انطباق سلوكيّة المواطن الذي يصفّق لهذا الحزب أو الزعيم للدلالة على تأييده لفكره ومناهجه السياسيّ، وحقيقة مشاعره واقتناعاته، وحول ما إذا كان التظاهر بالتأييد مرتبطًا بحاجاته الحياتيّة والاجتماعيّة؟ ومن هنا إشكاليّة صحّة التمثيل الشعبيّ، وبالتالي مشاركة المواطنين في تقرير مصيرهم ومستقبلهم، في وقت ينحصر الجدل فيه حول أيّ نظام انتخابيّ أفضل: الأكثريّة أم النسبيّة؟ الدائرة الكبرى أم الصغرى؟ سقف النفقات الانتخابيّة، الإعلام الانتخابيّ، وغيرها؟... وكلّها مواضيع هامّة لتأمين صحّة التمثيل وتفعيل المشاركة الشعبيّة، إلاّ أنّها تصبح ثانويّة إذا كانت حياة المواطنين وحاجاتهم الأساسيّة، من استشفاء ودواء وملبس ومسكن ومدرسة وراتب ووظيفة، مرتبطة بإرادة حزب أو حركة أو تيّار، وليس بسياسة الدولة وحكم القانون وحقّ المساواة بين المواطنين، الذي يفترض أن يوفّر للمواطن العدالة والمساواة والحريّة والديمقراطيّة.

ثمّ كيف يمكن أن تحقّق مصالح المواطنين وتحمى حقوقهم وحريّاتهم، إذا كان الوزراء والموظّفون يعملون لتحقيق مصالحهم أو لتحقيق مصلحة زعيم أو حزب ومحازبين، وللتنكيل في أخصام هؤلاء السياسيين، ولا يعملون للمصلحة العامّة وكلّ المواطنين؟

كيف يمكن أن يستقيم عمل الإدارة إذا كان شرط دخول الوظيفة ولاءً لزعيم أو حزب، وليس ولاءً للدولة والإدارة وكلّ المواطنين، وليس نتيجة كفاية وأخلاقيّة والتزام وطنيّ؟

وأعلن حرب أنّ ما أصاب العدالة والقضاء من أضرار يدفعنا إلى إطلاق صرخة مدوّية، رافضة للأمر الواقع الحاليّ، مطالبة بالتزام مبدأين أساسيين يؤمّنان حسن سير السلطة القضائيّة:

الأوّل، إقرار قيام السلطة القضائيّة المستقلّ عن السلطة التنفيذيّة، والعمل على ذلك، ولو تدريجيًّا، لتفادي المغامرات.

الثاني، العمل بسرعة فائقة على تنقية الجسم القضائيّ من عناصر، يسيء، حتّى وجودُها، إلى العدالة وإلى وقار القاضي واحترامه وعدالة القضاء، إذ لا يجوز أن يبقى بعضهم، وهم قلّة والحمد لله، ومعروفون من القاصي والداني، يفصلون في حقوق المواطنين وكرامتهم، ويصدرون الأحكام باسم الشعب اللبنانيّ...

فحاجة الدولة إلى القضاء العادل النـزيه المستقلّ أساسيّة، ولا حكم قانون ونزاهة دونه.

وانتهى حرب إلى القول: مهما تكلّمنا عن حكم القانون والنـزاهة وبشّرنا به، لن تستقيم الأمور إلاّ إذا عادت الانسانيّة عامّة، وعاد اللبنانيّون خاصّة، إلى الالتزام بسلّم القيم الأخلاقيّة التي تشكّل المنطلق الأدبيّ والمعنويّ لتطبيق القانون والتمسّك بالنـزاهة.وإنّ بداية نجاح مسيرة حكم القانون والنـزاهة تكمن في نشر ثقافة المعرفة والحسّ الاجتماعيّ الذي يضع مصلحة كلّ فرد منّا أدنى مرتبة من مصلحة المجتمع العامّة، بحيث لا يتسابق المواطنون على تأمين مصالحهم الخاصّة على حساب مصلحة وطنهم ودولتهم ومجتمعهم. وتحقيق ذلك يستدعي ورشة وطنيّة يقودها قادة الرأي في مجتمعنا، ولاسيّما رجال الدين من مسيحيين ومسلمين، الذين يجب عليهم العودة إلى رسالتهم الأصلية والأساسيّة في رعاية شؤون الناس ودفعهم على طريق الخير والتسامح وقبول الغير لبناء مجتمع سليم قادر على التطوّر وتوفير السعادة للانسان، وذلك بدل تدخّلهم الدائم والرسميّ في الحياة السياسيّة وتوجيهها وفقًا لمعتقداتهم الدينيّة وتحويل الشرائح الدينيّة إلى عقائد سياسيّة تواجه وتحارب عقائد سماويّة تؤمن بآله واحد يجمع ولا يفرّق.

**القاضي د. أنطوان خير** أفرد الكلامَ على الدولة الليبراليّة حيث للناس حريّةُ أن ينتخبوا

ممثّلين لهم وحريّةُ الرأي والتعبير عنه، مستطردًا إلى القول: أمّا القانون فهو القاعدة الموضوعة ديمقراطيًّا بحسب ما تنصّ عليه الأصول التي تحترمها مؤسّسات منتخَبة؛ وسأل: ولكن هل يكفي أن تسنّ دولة ما قوانينها متعهّدةً باحترام هذه القوانين لنصل إلى المجتمع الذي نحلم به؟

وفي تعريفه لدولة القانون، قال: من أفضل ما قرأت في هذا الصدد تحديد للرئيس الفرنسيّ فاليري جيسكار ديستان قولَه: دولة القانون على النقيض من الدولة البوليسيّة حيث يسود منطق الاستنساب. هي الدولة التي تمارس فيها كلّ سلطة مهمّتها تحت رقابة القضاء، الذي يتحقّق بدوره من أنّ هذه السلطة تحترم الأصول الإجرائيّة والموضوعيّة التي ترعى عملها. هي الدولة التي تسير على قواعد موضوعة مسبقًا بالطرق الديمقراطيّة المعروفة، وتتولّى الرقابة عليها محاكم أو مجالس مؤلّفة حسب النصوص.

وهنا أشار إلى هرم القواعد الذي تحدّث عنه هانس كلسن من الدستور إلى القوانين إلى الأعمال الإداريّة من مراسيم وقرارات وسواها. ثمّ سأل: هل يكفي أن تكون هناك قواعد ليكون من ثَمّ دستور؟ وما الشروط ليكون دستور؟ وأجاب: الدستور يحقّق غايتين: الفصل بين السلطات وحماية الحقوق والحريّات. ومن المفروض تاليًا أن تكون القوانين مراعيةً للدستور، فيما الأعمالُ الإداريّة مراعيةً للقوانين. واستُحدث أخيرًا ما يُعرف بالرقابة على دستوريّة القوانين. وهذا على الجملة ينتج دولة القانون.

وفي سبيل استقلاليّة القضاء، أضاف، يتوجّب على جميع السلطات، من أعلاها إلى أدناها، أن تحترم هذه الاستقلاليّة، وعلى القضاة، في المقابل، ألاّ يخوضوا في السياسة.

ولفت الدكتور خير الانتباه، في معرض كلامه على استقلاليّة القضاء، إلى ما يُعرف بالسلطة المقيَّدة، باعتبار أنّ القضاة غيرُ منتخبين، بل إنّ السلطة الإجرائيّة نَفسَها استطرادًا وقياسًا لا تحكم إلاّ بثقة السلطة الاشتراعيّة المنتخَبة والتي عنها تصدر.

وختم بالدعوة إلى احترام استقلاليّة القضاة في عملهم، قائلاً: استقلاليّتنا، في ما خصّ أحكامنا، تعود لضميرنا. القاضي مستقلّ في حكمه؛ وكنت أقول أحيانًا، مستقلّ على حسابه.

**القاضي د. غالب غانم، توقّف عند معنى حكم القانون ومعنى النزاهة.**

أمّا **حكم القانون** فرأى إليه من ثلاث زوايا: الوسائل والغايات والضمانات.

## أوّلاً: من زاوية الوسائل

الوسيلة الأولى من الوسائل المعنيّة هي شيوع الديمقراطيّة (كنظام حكم وكثقافة عامّة).

الوسيلة الثانية هي تحقيق فصل السلطات الذي يشمل الوجه النظريّ الدستوريّ، والوجه العمليّ المتمثّل بالممارسات، على الأخصّ.

الوسيلة الثالثة هي منع تعسّف أيّ سلطة من السلطات.

الوسيلة الرابعة تكمن في اختيار منهجيّة ملائمة لتكريس القاعدة القانونيّة ولبلورتها ولتعزيز فرص نموّها.

الوسيلة الخامسة التي لا بدّ من تفعيلها حتّى تُؤتي الديمقراطيّة ثمارها ويستقيم حكم القانون، هي مكافحة الفساد.

نذكر من الوسائل أيضًا: مبدأ ثبات القانون، وعدم رجعيّته، والتحديد الواضح لسلطات النيابة العامّة.

## ثانيًا: من زاوية الغايات

غاية الغايات هي العمل على تعزيز مثلّث الحريّة، والمساواة، وحقوق الانسان. فما من دولة تستطيع اعتبار نفسها دولة القانون، وبالتالي الادّعاء بأنّ حكم القانون هو علامةُ وجودها الكبرى، إلاّ إذا وجهّت اهتمامها إلى تحقيق هذه الغاية.

ومن الغايات حماية الحقّ بالدعوى العادلة، لأنّه «لكلّ شخص الحقّ في أن تُسمع دعواه بإنصاف...» (المعاهدة الأوروبيّة لحماية حقوق الانسان والحريّات الأساسيّة).

وقد بات من المسلّمات أنّ حماية الأقليّات وحماية الطرف الأضعف في مجتمع من المجتمعات القانونيّة، هما الصورة الأكثر إشراقًا في ظلّ حكم القانون. والعكس يكون، وتكون الصورة قاتمة، إذا رمى القانون إلى حماية الفئات الأقوى،

وفي طليعتها الحكّام. في هذا الإطار شدّد برنامج الأمم المتّحدة الإنمائيّ (UNDP- Pogar) على وجوب حماية الجماعات الضعيفة من الاستغلال، والتعسّف. ويبقى أنّ مسألة الأقليّات (حمايتها، الإقرار بحقوقها الخاصّة...) هي من أهمّ المسائل التي تواجه دولة القانون، وحكم القانون، وأكثر: النظام العالميّ الجديد.

ومنتهى ما يصبو إليه حكم القانون هو تحقيق العدالة. وإنّ مفهوم «القانون» لا يعني شيئًا مهمًّا بمعزل عن فكرة «العادل» (ف. جني- F. Gény). ولا تكتمل فكرة العدالة، ولا تبلغ أرقى تجلّياتها، إلاّ إذا اقترنت بفكرة الإنصاف الذي هو بالفعل تطبيقٌ للعدالة (ف. غورف- F. Gorphe).

## ثالثًا: من زاوية الضمانات

جاء في القاعدة المتعلّقة باستقلال القضاء واستقلال القاضي (القواعد الأساسيّة لأخلاقيّات القضاء- لبنان): «استقلال القضاء، واستقلال القاضي، هما مفهومان متكاملان ولازمان لصيانة مبدأ الشرعية. ولإشاعة العدالة». وهذا يعني، بتعبير آخر، أنّهما لازمان لإقامة دولة القانون (الشرعية) ولإطلاق حكم القانون (العدالة). وفي المصبّ عينه، اعتبر غريغ راسّل أنّ نزاهة المحاكم شرط من شروط «الدستوريّة» أو حكم القانون، كما اعتبرت المفوضيّة الأوروبيّة للأمن والتعاون أنّ استقلال القضاة وحيادهم يعزّزان الانتماء إلى مفهوم حكم القانون وفق النظرة الحديثة إليه. إنّ استقلال القضاء (سلطةً وأفرادًا) يشكّل إذًا ضمانة واجبة لترسيخ حكم القانون.

ومن الضمانات تغليب ذهنيّة المؤسّسة على الذهنيّة الفرديّة، أي اختيار حكم المؤسّسات لا حكم الأفراد.

ومنها أيضًا قرينة البراءة التي كرّستها بعض المواثيق، ومن بينها مبادئ حكم القانون كما حدّدتها المفوضيّة الأوروبيّة للأمن والتعاون.

أمّا عن **معنى النزاهة**، فإنّ الدكتور غانم اكتفى بتسجيل ملاحظات استطراديّة:

١. لا تكون الدولة دولة قانون، ودولة حكم القانون، إلاّ إذا كانت النزاهة عنوانًا أصليًّا من عناوينها. فموقع النزاهة من المسألة لا يقلّ عن موقع الديمقراطيّة والحريّة والمساواة وحقوق الانسان.
وفي النزاهة ما يُذكّر بالحياد، والترفّع، والكفاف، والنّقاء، والبُعد عن الهوى، والشجاعة المعنويّة، ونظافة الكفّ، وتغليب الصّالح العامّ...

٢. ليست النزاهة مفهومًا نظريًّا محضًا بقدر ما هي حالة تعيشها الدولة بسلطاتها ومؤسّساتها جميعًا. فالأمر يتعدّى الموعظة الحسنة ويتعلّق بحسن سير المؤسّسات.

٣. لا غنىً للنزاهة عن الشفافيّة.
والشفافيّة، كما حدّدتها شخصيًّا هي «مسلك يوحي بالثقة ينتهجه أيّ عامل في الحقل العامّ (أو الخاصّ)، لا يُخفي غيرَ ما يُظهر، ولا يصطنع المواقف المموّهة للدفاع عن أعماله، ولا يخشى كشف الحقائق ومراقبة القانون، ويفتح أمام الملأ أبواب التقييم».

٤. نقيضُ النزاهة الأوّل هو الفساد. ومكافحتُهُ باتت مسألة المسائل في أيّامنا.
وهل من حاجة إلى تسليط الضوء على الفوارق بين هذين المتضادّين؟
بَذْلُ النفس في سبيل العامّ، يُقابله التضحية بالعامّ في سبيل الخاصّ.
اجتناب الوقوع في الخطأ حتّى لا يُصاب الموفق العامّ بالخلل، يقابله تَعمُّدُ الخطأ طريقًا إلى تحقيق المآرب.
تطبيق القانون بالصورة التي تقرّبه من فكرة العادل والأخلاقيّ والسّامي، وتسخيره بالشكل الذي يعكس فكرة المتحيّز والنفعيّ والمتقهقر...

٥. النزاهة لا تخشى المساءلة، بل هي تدعوها إلى المشاركة في مسار حكم القانون، منذ نشوء الحَدَث والحالة حتّى اتخاذ الموقف أو القرار.

وقد رأيت أن أحدّد المساءلة على الوجه الآتي:

«مراقبة السلطات والمؤسّسات المختصّة في مجتمع قانونيّ معيّن لكلّ عامل في الحقل العامّ (أو الخاصّ)، وملاحظة مدى تقيّده بالموجبات التي تتطلّبها وظيفته، ويفرضها القانون، حتّى إذا أخلّ تتمّ ملاحقتُهُ ومحاكمتُهُ في سبيل إعادة التوازن إلى العلاقات التي تربط الفرد بأقرانه، وبالمجتمع».

وعن دور نقابة المحامين في إقامة حُكم القانون والنزاهة، قال **النقيب رمزي جريج:**

إنّ إقامة هذا الحُكم تَفْرض تطبيق مبدأ سيادة القانون، وخضوع جميع المواطنين على قدم المساواة لأحكامه عبر قضاء نزيه، سيّد، مستقلّ، يحمي حقوق الناس ويوزّع العدل فيما بينهم. وهو شرط أساسيّ لبناء دولة القانون، التي تنبثق السلطة فيها عن الشعب عبر انتخابات ديمقراطيّة حرّة.

وغنيٌّ عن البيان أنّ لنقابة المحامين دورًا بارزًا في بناء دولة القانون من خلال تصدّيها المستمرّ لكلّ ما يعيق هذا البناء، ومطالبتها الدائمة بتكريس المبادئ الأساسيّة التي تقوم عليها دولة القانون.

وإبرازًا لهذا الدور الرائد، ذكّر ببعض المحطّات المفصليّة التي اتّخذت فيها النقابة مواقف وإسهامات تشريعيّة وقانونيّة ووطنيّة وقوميّة، ودفاعًا عن الحريّات وحقوق الانسان، وفي سبيل استقلال القضاء وتحصينه وعصمته.

## ▫ | الندوة الثانية، وعنوانها: تكوين الدولة اللبنانيّة، تمّت في ٢٠٠٨/١١/٢٠.

أدارها النائب والوزير السابق الأستاذ إدمون رزق، وشارك فيها على التوالي: الأباتي بولس نعمان، والدكتور عدنان السيّد حسين، والدكتور نبيل خليفه.

**الأستاذ إدمون رزق** رأى أنّ هذا الموعد في جامعة سيّدة اللويزة هو للتأكيد على قدرة لبنان على بناء الدولة، في زمن كلُّ المؤشّرات فيه تدلّ على أنّ ما من أحد يريد الدولة اللبنانيّة، ولا دولةً واحدةً في لبنان، وإنّما كلٌّ يريد لنفسه دولة، ومؤسّسة يتأبّطها ويتصرّف بها؛ ولذلك نجدنا في صميم معركة استقلال لا تنتهي، نبحث عن صوغ عقد ثابت لتأسيس دولة موحّدة في وطن نهائيّ بمواصفات حضاريّة وإنسانيّة تؤهّل لدور ورسالة.

وأضاف: نحن في ظرف يجعل كلاًّ منّا يسأل نفسه هل لدينا مشروع واحد لبناء الدولة؟ هل هناك تعريف موحّد للدولة التي نريدُها؟ هل تلتقي ثقافاتنا عند كيان راهن بدولة واحدة معيّنة؟ هل هي دولة لبنان؟ هل هي الدولة اللبنانيّة؟

وتابع: إسمحوا لي، بعد عقود وعقود من العمل في الشأن العامّ ومن التجربة، أن أعبّر عن حزن كبير لأنّ الفرص التي أتيحت للبنان ليكون فعلاً وطن رسالة قد أهدرت، وأنّ الوطن الرسالة بات منشطرًا اثنين. فثمّة وطن رهينة، وثمّة رسالة في حقيبة.

**الأباتي بولس نعمان**، وتحت عنوان: **تكوين الدولة اللبنانيّة: الظروف التاريخيّة الداخليّة والخارجيّة لنشوء الدولة اللبنانيّة**، قال ما نصّه:

## مقدّمة : لبنان الوطن

■ الشرق الأوسط القديم لم **يتعرَّف إلى الأوطان المستقلّة.**

■ فكرة الوطن حديثة من تطوّر الحضارة المسيحيّة، من عصور النّهضة الأوروبيّة.

■ كيف تحقّق هذا الوطن اللبنانيّ في هذه البقعة من الشّرق؟ **كيف أصبح وطنًا بالمشاركة** بين العائلات الدينيّة؟

■ لقد تحقّق ذلك على دفعات بفضل الظروف التي سَمحت للمجتمع اللبنانيّ المسيحيّ خاصّة أن يتطوَّر إجتماعيًّا وثقافيًّا.

■ التطوّر الاجتماعيّ تحقّق بتعاون اللبنانيّين مع الحكّام المحليّين، مع العسّافيين التركمان السُنَّة أوّلاً (١٥١٦-١٥٩١)، ثمّ مع المعنيّين الدروز (١٥٨٤-١٦٣٣)، وأخيرًا مع الشهابيّين (١٦٣٣-١٨٤٢).

■ بفضل هذا التعاون المخلص انتشروا من الشمال إلى كسروان، إلى المتن، ثمّ الشّوف. وبانتشارهم وتخالطهم مع باقي السكّان **متّنوا اللحمة بين العائلات اللبنانيّة.**

■ أمّا التطوّر الفكريّ فقد **اغتنى بفعل الانفتاح على الغرب** وتأسيس المعهد المارونيّ في روما سنة ١٥٨٤. وبفضل هذا المعهد، قامت نهضة علميَّة تعليميّة في الشرق وفي الغرب: من مطبعة دير قزحيّا ١٥٨٤، إلى مدارس حلب، إلى مدرسة عين ورقة أمّ المدارس في لبنان.

يقول الدكتور كمال الصليبي : «قامت الجمهوريّة اللبنانيّة، **تُجسِّدُ الفكرة التي نادى بها الموارنة**... لقد تمكّنوا، دون تصوُّر أو تصميم، من المحافظة على حقّ الإنسان في الحريّة والعيش الكريم، والمساهمة **في خلق وطن يضمن هذا الحقّ لأبنائه...**»[١]

أو كما قال الأديب عبّاس بيضون : «**أعطى المسيحيّون لبنان نظامه**، فهم مركز الدولة والإقتصاد والسياسة والثقافة وأساليب العيش وأنماطه... من الصعب بعدُ العودة إلى ما وراء الدولة المارونيّة... إلاّ في دعوة إلى الخلافة أو إلى لبنان الصغير...»[٢]

هذه المقدّمة الصغيرة تتّسع لأكثر من دراسة، لأنّ فيها من جهة، علاقة الموارنة والمسيحيّين عامّة بالحكّام العسّافيين السنَّة، وفيه علاقتهم بالمعنيّين والشهابيّين، وفيه علاقتهم بالشعوب اللبنانيّة المجاورة كالدروز والشيعة، كما أنّ فيه مفهومهم للحكم وللوطن، للإنسان وللمجتمع، للتربية وللتعليم؛ **وفيه من جهة ثانية علاقاتهم الخارجيّة** بالإمبراطوريّة العثمانيّة، وبأحبار الكرسيّ الرسوليّ، وأمراء توسكانة، وملوك فرنسا، كما أنّ فيه **التفاعل السياسيّ والاجتماعيّ والحضاريّ المثلّث الأطراف**، والذي كانوا فيه واسطة العقد **بين الغرب والإمارة اللبنانيّة.**

هذا المثلّث الفريد سوف ينشأ عن انسجامه ووحدة مصالحه وتطلّعاته وأهدافه لبنان الحديث، لبنان المعاصر، **لبنان الدولة.**

### ١- لبنان الدولة

لبنان الدولة، كيف نشأت؟

في أواخر القرن التاسع عشر **كانت الإمبراطوريّة العثمانيّة** في نزاع «تبصق آخر أسنانها»، وكانت تعيش أزمة مزدوجة خارجيّة، من جهتي أوروبا والشرق، وداخليّة نتيجة تعدّد الأثنيّات ويقظة القوميّات وتقلُّص الموارد وكثرة الضرائب.

حَاولتْ أن تُعالِج هذا الوضع بسلسلة من الإصلاحات القمعيّة التي صدرت بين سنتي ١٨٣٩ و١٨٧٦ عُرفت «بالتنظيمات الخيّرة» التي كان من شأنها، إذَا طبّقت، أن تشدِّد قبضة الحكومة المركزيّة، وتقضي على كلّ مظاهر **الإستقلال الذاتيّ في الولايات**، الأمر الذي زاد نقمة الرعايا المسيحيّين. وبغية تهدئة خواطرهم، باشرت الدولة بتعزيز **القوميّة العثمانيّة العلمانيّة التي تساوي بين المسلمين والمسيحيّين، لكنّ غلاة المسلمين رفضوا مبدأ المساواة، فأصرَّ المسيحيّون** على الاحتفاظ بحقوقهم القديمة **وعلى الإستقلال الذاتيّ** في ولايتهم:[٣]

١. فالصرب واليونان والبلغار والرومان في البلقان كانوا أقرب إلى أوروبا؛ لذا، سَهُلَ عليهم نسبيًّا أن يثوروا ويفوزوا مع الزمن بالإستقلال.

(١) صورة تاريخيّة، ملفّ النهار (٤٠) كانون الثاني ١٩٧٠.

(٢) ملحق النهار، ٢٢ شباط ١٩٩٧.

(٣) إنّ تسلسل الأحداث يستند إلى أفضل مرجعين لهذه الحقبة وهما:
- **تاريخ لبنان الحديث للدكتور كمال الصليبي**، دار النهار، الطبعة الثانية، ١٩٧٢.
- **والصراع الدوليّ في الشرق الأوسط وولادة دولتي سورية ولبنان**، للدكتور زين زين، دار النهار، طبعة ثانية.

**٢.** أمّا الأرمن فقد ذُبحوا وشتّتوا عندما ثاروا نتيجة وجودهم في كيليكية وأرمينية بين الأتراك والأكراد.

**٣.** أمّا المسيحيّون في «الولايات السوريّة»، فقد كانوا في وضع مشابه لوضع الأرمن، فلم يستطيعوا المطالبة بلبنانَ مستقلٍّ، لافتقارهم إلى وطن خاصّ بهم. ولمّا حاولت الأكثريّة **المسيحيّة في جبل لبنان أن تطالب بالإستقلال**، بمساعدة فرنسا وغيرها من الدّول، أثارت الدولة الدروز في الشوف **فكانت مذابح سنة ١٨٦٠**، الأمر الذي أدّى إلى تدخّل دوليّ وإلى **بروتوكول التاسع من حزيران سنة ١٨٦١**، وهو يقضي بإنشاء **نظام حكم أساسيّ للبنان**. وقد عُدِّل هذا النظام جزئيًّا سنة ١٨٦٤، **وبموجبه فقد لبنان نصف أراضيه**، أي وادي التيم والبقاع وأقاليم صور وصيدا ولبنان الجنوبيّ وطرابلس وعكّار ومدينة بيروت. وقد ضمَّت هذه جميعها إلى الولاية العثمانيّة المجاورة، **فتحوَّلت الإمارة القديمة ولاية مستقلّة أو متصرّفية يحكمها متصرّف مسيحيّ من رعايا السلطان** غير اللبنانيين ويرتبط مباشرة بالباب العالي، جامعًا في شخصه جميع صلاحيات السلطة التنفيذيّة، يعاونهُ مجلس إدارة إستشاريّ يمثّل جميع الطوائف اللبنانيّة ويدعى «مجلس الإدارة».

## ٢- عهدُ المتصرّفيّة

■ عهد المتصرفيّة هذا كان زاخرًا بالأحداث، **مليئًا بالإيديولوجيّات والأفكار الوطنيّة والمستوردة**، التي يمكن أن تتلاقى، والتي تتشابك وتتصارع أكثر الأحيان. وقد حرص المفكّرون المسيحيّون **على اكتشاف المبادئ والأفكار التي يقوم عليها تعاون مسيحيّ–إسلاميّ يؤدّي إلى ضمانة الوجود المسيحيّ وسلامته** في لبنان في وجه خاصّ، وفي الولايات في وجه عامّ.

■ فالموارنة، خصوصًا في شمال لبنان، **استمرّوا يعملون للإستقلال وينادون به**، كما طالبوا بتوسيع رقعة هذا الوطن حتّى يصبح صالحًا للبقاء. نخصُّ هنا بالذكر المناضل **الكبير يوسف بك كرم، نائب قائمقام المسيحيّين منذ سنة ١٨٦٠**، الذي سوف يعمل جاهدًا «**للبنان الكبير**» **مع انفتاح على العرب**، كما يظهر جليًّا من بعض كتاباته ومراسلاته في المنفى.

أمّا الفئات المسيحيّة الأخرى، فلم تحصر همّها، لأسباب متعدّدة، في توسيع لبنان وضمان كيانه، بل ذهبت إلى أبعد، **إلى الولاء للوطن السوريّ**. وقد انضمّ إليها بعض الموارنة النافذين، متأثّرين بالعالِم **الأب هنري لامنس** الذي اعتبر «أنّ هذه الحدود الضيّقة قد أقيمت لتخنق كلّ نزعة للإستقلال وكلّ نموّ اقتصاديّ»[٤].

■ **إلى جانب هاتين القوميّتين، اللبنانيّة والسوريّة**، قامت «**اليقظة الأدبيّة العربيّة**»، وأوّل من نادى بها المفكّر والبحّاثة بطرس البستاني في أسبوعيّته «نفير سوريا» وفي مجلّة «الجنان» حيث رفع شعار «حبّ الوطن من الإيمان»، وكان يعني بكلمة الوطن «سورية». **وهكذا التقت فكرة القوميّة السوريّة بفكرة القوميّة العربيّة**، وهذه ترعرعت حول «الكليّة السوريّة الإنجيليّة» وبتأثير من المستعرب «كورنيليوس فانديك». **وهكذا تطوّرت «سورية» «البستاني» شيئًا فشيئًا إلى «عروبة» ابراهيم اليازجي ويعقوب صرّوف وفارس نمر** وغيرهم من المسيحيّين اللبنانيّين.

■ وهنا لا بدّ لنا من ملاحظتين هامّتين:

**أوّلاً: العروبة** التي دعا إليها ابراهيم اليازجي ورفاقه **لم تكن لتتنافى مع القوميّة اللبنانيّة السائدة بين المسيحيّين وخصوصًا الموارنة، كما لم تكن تتميّز بوضوح عن الفكرة القوميّة السوريّة** التي قال بها البستانيّ، لأنّها تحدَّت، في الوقت ذاته، العصبيّة الدينيّة السائدة بين المسلمين، والقوميّة العثمانيّة. لذا، كان في الإمكان أن يقوم تعاون مثمر بين دعاة القوميّة العربيّة الأوائل، ودعاة القوميّة اللبنانيّة، **لأنّ الغاية** من الفكرتين واحدة وهي **تعزيز مقام المسيحيّين في الولايات.**

**ثانيًا: القوميّة العربيّة** في الأصل ليست مجرّد ابتكار مسيحيّ لبنانيّ، بل كثيرون من المفكّرين المسلمين العرب كانوا من دعاتها أمثال عبد الرحمن الكواكبي من حلب وغيره. ولكن لمّا **قام عبد الحميد الثاني، الذي تخلّى عن المبادئ العلمانيّة واهتمّ بالمسلمين العرب، فَصَل**

(4) H. Lammens, La Syrie, Précis Historique, II, Beyrouth, 1921, P. 188.
Carancez, Histoire des Wahadis, Paris, P. 208.

المسلمين العروبيّين عن المسيحيّين العرب، فأضحت القوميّة العربيّة حركة انفصاليّة يطغى عليها العنصر المسيحيّ.

■ ولمّا خلع محمّد رشاد أخاه عبد الحميد سنة ١٩٠٨ وسلّم الحكم لقادة حزب الاتحاد والترقّي ورثة حركة الإصلاح، أبدل هؤلاء فكرة القوميّة العثمانيّة الشاملة والمنفتحة على المسيحيّين بالفكرة التركيّة الحصريّة الضيّقة، فارتدّ العرب بكثافة إلى القوميّة العربيّة، محوّلين اتّجاهها عن المبادئ العلمانيّة لصالح المبادئ الإسلاميّة، وتحدّثوا عن إنشاء إمبراطوريّة عربيّة تضمّ جميع البلدان الإسلاميّة الناطقة بالعربيّة؛ عندها تبدّل موقف المسيحيّين من هذه القوميّة العربيّة (الإسلاميّة) وسارعوا إلى إعلان تحفّظهم، فهم معها في الأساس لمقاومة الحكم العثمانيّ والمطالبة بالاستقلال التامّ، لا مع الوحدة العربيّة الشاملة التي ربّما لن تضمن لهم الحقوق التي نعموا بها في ظلّ الإمبراطوريّة العثمانيّة.

■ ولمّا بدأت الحرب العالميّة الأولى، وضعت حكومة الأستانة «جبل لبنان» تحت حكمها المباشر وألغت «امتيازاته»، فعاد القوميّون اللبنانيّون والقوميّون العرب يناضلون سويًّا، فأعدم الأتراك ثلاثة وثلاثين منهم سنة ١٩١٥ – ١٩١٦، فخيّل لبعضهم أنّهم كانوا يناضلون لهدف واحد، ولكن سرعان ما بدّدت الأحداث هذا الوهم.

■ لمّا ثار الشريف حسين في ٥ حزيران ١٩١٦ ضدّ الأتراك، بتشجيع من بريطانية، وأعلن استقلال العرب ونادى بنفسه ملكًا على البلاد العربيّة، تجمّع المسيحيّون (القوميّون) حول الموارنة في لبنان معلنين رفضهم الانضمام إلى أيّ دولة عربيّة كبرى. ولمّا اعتمد مؤيّدو حركة الشريف على معونة بريطانية، التفت القوميّون اللبنانيّون إلى فرنسة يطلبون مساعدتها لضمان الاستقلال.

■ وكانت فرنسة بدورها قد عقدت مع إنكلترة، قبل أن يُعلِن الحسين ثورته في الحجاز، إتّفاقًا خاصًّا دعي إتفاق سايكس – بيكو في نيسان – أيّار ١٩١٦ يضمن لها حقّ الإستيلاء على جميع المناطق السوريّة الواقعة غرب حلب وحماة وحمص ودمشق باستثناء فلسطين. وكانت إنكلترة قد أبلغت الشريف حسين أنّ سورية الغربيّة (لبنان) لا يمكن اعتبارها «عربيّة صرفًا»، وكان الحسين يصرّ، بطلب من القوميّين العرب في لبنان، على وجوب ضمّها إلى المملكة العربيّة المرتقبة.

## ٣- الاستقلال واسترجاع الأراضي المسلوخة

هذه كانت حال المسيحيّين عمومًا، والموارنة في لبنان في نوع خاصّ، قبل الحرب العالميّة الأولى وبعدها مباشرة، وقبل ثورة الشريف حسين في الحجاز: قلق على الوجود والمصير، محاولات جديّة لاكتشاف المبادئ والأفكار التي تُمكّن من قيام تعاون مسيحيّ– إسلاميّ، عمل حثيث لضمان سلامتهم وعيشهم الكريم من ضمن وطن مستقلّ وقابل للحياة.

ولكن، أيّ وطن هو هذا الذي يستطيع أن يقدّم لهم هذه الضمانات؟ وما هي حدوده؟ هل هي الحدود القائمة آنذاك، أي حدود المتصرفيّة الضيّقة، أم حدود الإمارة، أم حدود الوطن السوريّ الكبير، أم حدود الإمبراطوريّة العربيّة الفيصليّة المرتقبة؟!

كلّ هذه التساؤلات كانت تضجّ في تفكيرهم واجتماعاتهم، وكلّها كان لها مناصرون ومحبّذون حسب المحيط الجغرافيّ والتأثّرات الداخليّة والخارجيّة، ولكنّ الرأي السّائد كان يميل إلى توسيع حدود المتصرّفية، وإذا أمكن الرجوع إلى حدود الإمارة. لقد ندّدوا بتصغير لبنان، وأصرّوا على أن يشمل لبنان الجديد البقاع وبيروت ومنطقتي طرابلس وصيدا. وكانت البطريركيّة المارونيّة تدعم هذا التوجّه بكلّ قواها. وهذه بعض النصوص الرسميّة وغير الرسميّة التي تعبّر عن هذا الموقف:

١. سنة ١٩٠٨ وضع المحامي الماروني بولس نجيم في باريس كتابًا يشرح فيه القضيّة اللبنانيّة المسيحيّة، عرض فيه الأفكار الشائعة والإعتراضات التي تحتّم تكبير لبنان.(٥)

(5) M. Jouplain (pseudonyme), La question du Liban, étude d'histoire diplomatique et de droit international, Jounieh, 1961, pp. 544-545.

– محطّات مارونيّة من تاريخ لبنان، الأباتي بولس نعمان، دير نسبيه، غوسطا، ١٩٩٨، دور البطريرك الياس الحويّك في إعلان دولة لبنان الكبير، ص ١٧٩–٢٠٩.

٢. في ٩ كانون الأوّل من سنة ١٩١٨، قرّر مجلس الإدارة توجيه **كتاب إلى مؤتمر الصلح** في باريس بواسطة الوفد الأوّل: «**من حيث أنّ جبل لبنان** لم يزل منذ القديم، وخصوصًا منذ الفتح الإسلاميّ في عهد السلطان سليم الأوّل، **متمتّعًا بحكومة وطنيّة مستقلّة**، تشمل جبل لبنان بحدوده الجغرافيّة والاقتصاديّة، وقد امتدّت في عهد بعض أمرائه كالأمير فخر الدين الثاني المعنيّ إلى حدود عكّا وقيصريّة، **وبما أنّ المندوب العثمانيّ في المؤتمر المذكور** فؤاد باشا قد استفاد من منافسة الدول حينذاك لجعل حقّ لبنان في الاستقلال حقًّا صوريًّا فقط، **ففصل عنه من جهة موانئ بيروت وصيدا وطرابلس وملحقاتها**، ومن جهة أخرى سهل البقاع وبعلبك وجبل الشيخ بما فيه حاصبيا وراشيا، ممّا اضطرّ اللبنانيّين إلى التشتّت في أطراف المعمور، **وبما أنّ لبنان الحاليّ لا يغلّ من الحبوب إلاّ ما يقوم بحاجة أهله لمدّة شهرين** فقط بحيث إذا سدّت موانئه وسهوله المذكورة كان ذلك بمثابة القضاء عليه بالمجاعة، كما حدث في هذه الحرب ممّا قضى على نصف أهاليه بالموت جوعًا»...

**فالآن بمناسبة طرح أماني الشعوب في مؤتمر الصلح العام، قرّر هذا المجلس توجيه كلّ من داود بك عمون أحد أعضائه** مندوبًا أوّل، **ومحمود بك جنبلاط** عضوه الآخر وكلاًّ من الأساتذة **إميل إدّه وابراهيم بك أبو خاطر وتامر بك حماده** ليعرضوا في المؤتمر المشار إليه المطاليب الآتية:

- أوّلاً: **توسيع نطاق جبل لبنان** إلى ما كان معروفًا به من التخوم تاريخيًّا وجغرافيًّا، وما تقتضيه منافعه الاقتصاديّة بحيث يكون بلادًا قادرة على القيام بحياة شعوبها ومنافعها وثروتهم، وبحكومة راقية منظّمة.
- ثانيًا: **تأييد استقلال** هذا البلد اللبنانيّ بإدارة شؤونه القضائيّة والإداريّة بواسطة رجال من أهله.
- ثالثًا: **يكون لهذه البلاد مجلس نيابيّ** مؤلّف على مبدأ التمثيل النسبيّ حفظًا لحقوق الأقليّة، وينتخب من الشعب، ويكون لهذا المجلس حقّ التشريع، ووضع القوانين الملائمة للبلاد، وسائر ما للمجالس النيابيّة في البلدان الراقية.

١. الأب هنري لامنس اعتبر في إحدى محاضراته أنّ هذه الحدود الضيّقة أقيمت عمدًا لتخنق كلّ نزعة إلى الاستقلال وكلّ نموّ اقتصاديّ.

٢. إلى جانب هذه الطروحات: **لبنان المتصرّفيّة، لبنان الكبير، لبنان السوريّ، ولبنان العربيّ**، كان هناك طرح خامس يعكس **رأي اللبنانيّين المقيمين في المهاجر**، وقد تنظّموا في حزب سياسيّ هو حزب «اللجنة المركزيّة السوريّة»، **وانتخبوا لهم رئيسًا شكري غانم**، الأديب والمفكّر اللبنانيّ الكبير المقيم في باريس.

٣. في ٨ تمّوز سنة ١٩١٩، **وجّهت «لجنة لبنان الكبير»** عريضة إلى لجنة **الاستفتاء الأميركيّة «كينغ – كراين»**، شدّدت فيها على مطالب ثلاثة، وهي:

- أوّلاً: إعادة الأراضي التي اغتُصبَت من لبنان، من خلال توسيع رقعتها حتّى حدودها القديمة.
- ثانيًا: الحفاظ على استقلال لبنان في معزل عن سورية.
- ثالثًا: تنظيم حكم وطنيّ لبنانيّ بالتعاون مع السلطات الفرنسيّة.

٤. أمام هذه الطروحات المتعدّدة، **كان على اللبنانيّين وعلى السيّد البطريرك الياس الحويّك أن يختاروا، وكان خيار «لبنان الكبير» الحلّ الوسط والأكثر قبولاً بين اللبنانيّين.**

**كيف تمّ الاختيار، وهل كان في الحقيقة وبالفعل الحلّ الأمثل؟!**

١. **بعدما ثار الشريف حسين في الحجاز**، ودخل ابنه فيصل دمشق، **انهارت السلطة العثمانيّة في لبنان**. عندها حاول **القوميّون العرب** وضع الحلفاء أمام الأمر الواقع، **فتسَلّم عمر الداعوق الحكم في لبنان من الحاكم التركيّ ممتاز بك، وللحال أعلن قيام حكومة عربيّة في بيروت**، ورَفَع الإعلام الشريفيّة على المباني العامّة، فدخل شكري باشا الأيّوبيّ، أحد رجال فيصل، على رأس قوّة عربيّة رمزيّة لاحتلال بيروت، **لكنّ هذا الاحتلال لم يدُم طويلاً، إذ دخلت بيروت، في السابع من تشرين الأوّل، وحدات من الجيش الفرنسيّ**، بموافقة الجنرال اللنبي، **فغادر شكري باشا الأيّوبي المدينة** وأُنزل العلم العربيّ عن المباني العامّة، وثُبّت المجلس الإداريّ في صلاحيّاته، ثمّ شرع

اللبنانيّون بالتحضير لكسب قضيّتهم أمام مؤتمر الصلح المنتظر.

□ **من ضمن هذا الإطار الدقيق والخطير في آن، تَحَرَّكَ البطريرك الياس الحويّك بكثير من الحنكة والدقّة والحذر، فكان عليه أن يفاوض العرب والإنكليز والفرنسيّين**، كما كان عليه أن يحاور اللبنانيين على اختلاف فئاتهم وتيّاراتهم السياسيّة، وفي **نوع خاصّ مجلس الإدارة**، وهو الهيئة الوطنيّة المساعدة في الحكم، والذي عُهِدَ إليه بإعداد الوفود إلى مؤتمر الصلح في باريس.

□ **اجتمع هذا المجلس في كانون الأوّل ١٩١٨ وزوّد الوفد الأوّل بقرار وتوصيات**. ولمّا عاد الوفد، بعد بضعة أشهر، من دون نتيجة تذكر، **تألّبت الجموع على بعبدا وطالبت بإرسال وفد ثانٍ برئاسة البطريرك الحويّك**. وقد وصف يوسف السودا في مذكّراته أجواء تلك الأيّام. قال: «**الجميع في لبنان ينادون بالاستقلال، ومجلس الإدارة يحبّذ الحركة الاستقلاليّة بكلّ قواه، ولكنّ الكرسيّ البطريركيّ عزيمته أشدّ من عزيمة الشعب والمجلس... فنهار البارحة الموافق ٣ حزيران كان اجتماع في بكركي** مؤلّف من جميع الأساقفة للنّظر في موضوع الإستقلال **فقرّروا إيفاد البطريرك الماروني مع جماعة من اللبنانيّين كمندوبين من قبل الشعب بوكالة رسميّة منه...**»

□ **وفي ١٦ حزيران ١٩١٩، التأم مجلس الإدارة مرّة أخرى واتّخذ قرارًا بالإجماع ينتدب فيه البطريرك إلى مؤتمر الصلح للمطالبة باستقلال لبنان الكبير** في حدوده الطبيعيّة «استقلالاً تامًّا إداريًّا وسياسيًّا».

**أثناء وجود الحويّك في باريس**، وقبل أن يقابل رئيس الوزراء كليمنصو، **وصل فيصل إلى باريس في ٢٥ آب ١٩١٩، فارتبكت الإدارة الفرنسيّة، وأسرع رئيس الوزراء كليمنصو إلى استقبال البطريرك، وأتبع المقابلة برسالة هامّة جدًّا مؤكّدًا فيها «على تقاليد الإخلاص القائمة منذ أجيال بين فرنسة ولبنان**. وكما تأكّدتم من اللقاءات، **إنّ ما نسعى إلى تحقيقه في مؤتمر الصلح (٢٨ حزيران ١٩١٩)**[٦] **مطابق في مجمله لأماني الأهالي الذين تمثّلونهم تمثيلاً عاليًا، فرغبة اللبنانيين في الإحتفاظ بحكومة ذاتيّة ونظام وطنيّ مستقلّ تتّفق إتّفاقًا تامًّا مع التقاليد الحرّة لفرنسة...** ويضمن اللبنانيّون وهم مستقلّون عن كلّ تجمّع وطنيّ حرّ، **وبمساعدة فرنسة، أن يكونوا على ثقة بأنّهم يحتفظون بتقاليدهم. أمّا الإطار الذي يُنَفَّذ في دائرته هذا الاستقلال، فلا يمكن تحديده قبل أن يعطى ويحدّد الإنتداب على سوريّة ولبنان...**» (وثائق أرشيف بكركي).

٢. **على أثر رجوع فيصل إلى دمشق في كانون الثاني ١٩٢٠**، ولم تكن الأمور قد استقرّت نهائيًّا، **أوفد البطريرك وفدًا ثالثًا إلى باريس برئاسة المطران عبد الله خوري**، مؤلّفًا من **الأمير توفيق إرسلان، والشيخ يوسف الجميّل والأستاذ إميل إدّه.** ولمّا أعلن فيصل ذاته ملكًا على سورية المتّحدة في الثامن من آذار، بدأت عرائض الإحتجاج تصل إلى المقرّ البطريركيّ من كلّ مكان في لبنان، معبّرة عن رفض أصحابها الإنضمام إلى مملكة فيصل.

□ في العشرين من آذار إستقبل **السيّد ميلران، رئيس الوزارة الفرنسيّة الجديد** الوفد اللبنانيّ، وأكّد له أنّ **الرسالة التي كان قد بعث بها كليمنصو إلى البطريرك الماروني لا تزال تعتبر بمثابة إتّفاق ملزم تعتزم الحكومة الفرنسيّة العمل على تنفيذه. غير أنّ الحكومة الفرنسيّة لا تشعر بأنّها طليقة اليد في الوقت الحاضر للنزول عند مطلب الوفد اللبنانيّ وتتصرّف من جانب واحد فتضمّ إلى لبنان أرضًا جديدة** (سهل البقاع وحاصبيا وبعلبك) **من دون استشارة الدول حليفاتها.**

□ **وفي ٢٨ نيسان ١٩٢٠، أقرّ مجلس الحلفاء الأعلى، المجتمع في سان ريمو، الإنتداب الفرنسيّ على «سورية ولبنان»، على رغم احتجاج الحكومة العربيّة في دمشق.** فصعق القوميّون العرب للنبأ، فيما استقبلته أغلبيّة المسيحيّين في لبنان بالارتياح.

(6) Mise en execution Janvier 1920.

□ **إلاّ أنّ إعلانَ فيصل ذاته ملكًا على سورية المتّحدة أحرج حليفته بريطانية وأفقده عطفها، وأعطى اللبنانيّين حجّة لشكوكهم ومخاوفهم، «فراحوا يستقلّون في تصريف شؤونهم بأنفسهم**، وذلك بمعرفة السلطات الفرنسيّة وبمعاضدتها؛ ونهار **الإثنين الواقع في الثاني والعشرين من آذار عُقد اجتماع حاشد في بعبدا**، عاصمة جبل لبنان القديمة، **حضره أعضاء مجلس الإدارة** وجمهرة من أعيان لبنان ووجهائه وممثّلون من مختلف الطوائف، **وأعلنوا استقلال لبنان**، وعند الساعة الثالثة **بعد الظهر، رفع أوّل علم لبنانيّ على سرايا بعبدا بحضور كتائب من الجيش اللبنانيّ...»**.(٧)

## الخاتمة - الخلاصة

من خلال هذا السرد التاريخيّ، حاولت أن أُسلّط الأضواء على الأسس التاريخيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، الداخليّة والخارجيّة، التي ساهمت في قيام الدولة اللبنانيّة منذ انهيار الإمبراطوريّة العثمانيّة حتّى مؤتمر الصلح في Versailles سنة ١٩١٩ وأن أُثبّت أنّ هذه الدولة قد **انبثقت عن إرادة وطنيّة جامعة واكتسبت شرعيّتها** من إصرار بنيها وتضامنهم والتفافهم حول الكرسيّ البطريركيّ ومجلس الإدارة المُمثّل الشرعيّ للعائلات اللبنانيّة المؤتلفة الذين أرسلوا مطالبهم، «حول الاستقلال في إدارة أمورهم بذاتهم، وقيام مجلس نيابيّ منتخب، وتوسيع نطاق جبل لبنان إلى ما كان عليه زمن الإمارة»، إلى مؤتمر الصلح كما جاء في كتابهم المُوجّه إلى هذا المؤتمر.

هل لنا أن نحلم اليوم بمثل ذاك الحماس والإجماع والتضامن الذي عمّ لبنان؟ وظروف اليوم الداخليّة والخارجيّة ليست أقلّ حراجة من ظروف تلك الأيّام؟ ومطالبنا اليوم هي نفس مطالب تلك الأيّام: الاستقلال الناجز، والمجلس النيابيّ المنتخب انتخابًا حرًّا، وحدود مُرسّمة دوليًّا، لنُردّد اليوم ما كتبه المناضل الكبير يوسف السودا في مذكّراته: «الجميع في لبنان ينادون بالاستقلال، ومجلس الإدارة يحبّذ الحركة الاستقلاليّة بكلّ قواه، ولكنّ الكرسيّ البطريركيّ عزيمتُه أشدُّ من عزيمةِ الشعب والمجلس»؟

هل خارت العزائم أم قلّ الإيمان بلبنان وبقدرتنا على إنهاضه؟

(٧) زين نور الدين زين، «الصراع الدوليّ في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان»، دار النهار، طبعة ثانية، ص ١٥٦-١٥٧.

○ | وفي **مواقف القوى السياسيّة من نشوء الدولة اللبنانيّة** (١٩١٨-١٩٣٨)، قال د. **عدنان السيّد حسين**: منذ أن منح العثمانيّون امتيازات تجاريّة جديدة للأوروبيّين في المشرق العربيّ، اندفعت البعثات التبشيريّة الغربيّة تحت ستار حماية الطوائف المسيحيّة الموجودة في الدائرة العثمانيّة. بالطبع كان الهدف الاستراتيجيّ الأوروبيّ حماية المصالح الإستراتيجيّة للقوى الدوليّة الأوروبيّة.

وفي جبل لبنان، تداخلت المصالح الإقطاعيّة- الطائفيّة مع المصالح الأوروبيّة المتناقضة. وحسبنا الإشارة إلى تدويل الأزمة الطائفيّة في جبل لبنان مع نظام القائمقاميتين سنة ١٨٤٠، بقبول من السلطة العثمانيّة، ثمّ نشأ نظام المتصرفيّة بالتوافق العثمانيّ- الأوروبيّ سنة ١٨٦٠.

## ظروف تأسيس الدولة اللبنانيّة

تجدر الإشارة إلى جملة معطيات سياسيّة قبل الحرب العالميّة الأولى وبعدها، تمهيدًا لمعرفة ظروف تأسيس الدولة اللبنانيّة:

١. انطوت المسألة الشرقيّة على طرح امتيازات الطوائف في المنطقة العربيّة، بالتزامن مع سعي أوروبيّ

لاقتسام الولايات الخاضعة للعثمانيّين.

٢. وجود استعداد ذاتيّ عند المجموعات الطائفيّة في لبنان والمشرق العربيّ للاستقواء بالأجنبيّ وطلب الحماية، للحفاظ على المصالح الفئويّة بعيدًا من مفهوم الدولة القوميّة.

٣. اتفاقات الدول الأوروبيّة المنتصرة (فرنسا وروسيا وبريطانيا) في الحرب العالميّة الأولى على اقتسام السيطرة على الولايات العثمانيّة من خلال اتفاق سايكس- بيكو (١٩١٥) البريطانيّ- الفرنسيّ، الذي جزّأ المشرق العربيّ؛ وصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧، الذي قضى بمساعدة اليهود لإنشاء وطن قوميّ لهم في فلسطين؛ وموتمر سان ريمو (١٩٢٠) الذي أجبر تركيا الخاسرة في الحرب على التنازل عن سوريا وفلسطين والعراق وشبه الجزيرة العربيّة.

٤. طُرحت القضيّة اللبنانيّة في مؤتمر الصلح بباريس سنة ١٩١٩، وبحضور البطريرك الماروني الياس الحويّك الذي طالب باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسيّ، وإعادة الأراضي التي فُصلت عن جبل لبنان، فكان أن أضيفت الأقضية الأربعة (صيدا وبيروت وطرابلس والبقاع).

٥. لم يحصل فيصل بن الحسين، أثناء حضوره لمؤتمر الصلح، من إنكلترا على ما وُعد به في الحرب الأولى حول استقلال بلاد العرب ووحدتها (مراسلات حسين- مكماهون). ثمّ جاءت معركة ميسلون لتقضي على آمال فيصل في توحيد البلاد العربيّة تحت قيادته. وكلّ ذلك انعكس على نشوء الدولة اللبنانيّة وتطوّرها.

السياسة الدوليّة أدّت إلى إقرار الانتداب الفرنسيّ على لبنان وسوريا، والانتداب البريطانيّ على فلسطين والعراق. هذا ما يفسّر ارتباط القضيّة اللبنانيّة بالبعد الإقليميّ والدوليّ، فضلاً عن العامل الجيوسياسيّ الذي حتّم علاقة التأثّر والتأثير بين نشوء الدولة اللبنانيّة تحت الانتداب وبين تطوّرات الدولة السوريّة والقضيّة الفلسطينيّة.

## الأحزاب السياسيّة

لم يسمح الانتداب في بداية عهده بنشوء أحزاب سياسيّة، فاقتصر الحال على بعض التيّارات السياسيّة والجمعيّات المحدودة التنظيم. بيد أنّ معارضة الانتداب كانت قائمة منذ العام ١٩٢٠، وفي طليعة المعارضين: شكيب أسلان ورياض الصلح اللذين ذهبا إلى جنيف، والشيخ رشيد رضا وأسعد داغر اللذين حطّا رحالهما في مصر.

اتصلت المعارضة اللبنانيّة بالمعارضة السوريّة، وخاصّة بحزب الشعب والكتلة الوطنيّة. ولم تستقرّ المعارضة في لبنان إلاّ بعيد المعاهدة اللبنانيّة- الفرنسيّة سنة ١٩٣٦، لتمارس نشاطًا سياسيًّا ملحوظًا.

بين عامَي ١٩٢٠ و ١٩٣٠، نشأت أحزاب محدودة التأثير، منها ما اتّخذ طابعًا مسيحيًّا مثل: حزب الترقّي اللبنانيّ، وحزب العمّال العامّ، وحزب الشبيبة اللبنانيّة، وحزب الرابطة اللبنانيّة. ومنها ما اتخذ طابعًا وحدويًّا مثل حزب الاستقلال العربيّ، والحزب الديمقراطيّ الذي أسّسه خليل سعادة (والد أنطون سعادة) في الأرجنتين. كما تكوّن حزب الشعب في سنة ١٩٢٤، والذي تحوّل إلى الحزب الشيوعيّ اللبنانيّ. عمومًا لم تكن لهذه الأحزاب أدوار فاعلة في الوسط الشعبيّ.

في المرحلة الثانية (١٩٣٠-١٩٤٠)، ظهر دور الأحزاب أكثر من المرحلة الأولى. لقد تمّت تصفية الثورة السوريّة المواجهة للانتداب بين عامَي ١٩٢٥ و١٩٢٧، وأقر الدستور اللبنانيّ في سنة ١٩٢٦، ويمكن التوقّف عند ظاهرتي الأحزاب العلمانيّة والأحزاب الطائفيّة.

■ من الأحزاب العلمانيّة: الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، تأسّس سنة ١٩٣٢ بقيادة أنطون سعادة. وكان الحزب الشيوعيّ الذي تأسّس في بكفيا مع يوسف يزبك وفؤاد الشمالي قد لعب دورًا في انطلاقة العمل النقابيّ. أمّا عصبة العمل القوميّ التي أطلقت برنامجها السياسيّ سنة ١٩٣٣ تحت عنوان (سيادة العرب واستقلالهم ووحدتهم)، والتي نشأت في بلدة قرنايل، فقد اتخذت الاتجاه القوميّ العربيّ، وكان قادتها لبنانيّين وسوريّين في الوقت عينه، وطالبوا باستقلال سوريا ولبنان، ومنهم زكي الارسوزي وصبري العسلي وناظم القادري وفهمي المحايري وفريد زين الدين وعلي ناصر الدين.

■ ومن الأحزاب الطائفيّة، وإن رفعت شعارات

وطنيّة أو عربيّة: حزب الكتائب وحزب النجّادة، اللذين تأسّسا في العام ١٩٣٦.

الكتائب هي جماعة مسيحيّة، وقد أسّسها الشيخ بيار الجميل ومعه شارل حلو وجورج نقّاش وشفيق ناصيف وإميل يارد. والنجّادة هي جماعة إسلاميّة، وقد أسّسها عماد الصلح وحسين سجعان وجميل مكّاوي وعبدالله دبّوس.

الكتائب تحدّثت عن تكوين أمّة لبنانيّة تعي واجباتها في دولة مستقلّة، وبالتحالف مع فرنسا الصديقة. والنجّادة دعت إلى نظام فيدراليّ عربيّ تحت شعار (بلاد العرب للعرب)، وقد صُنِّفت النجّادة حزبًا إسلاميًّا ذا ميول عربيّة.

اللافت في هذين الصنفين من الأحزاب إكتفاؤهما بممارسة دور الجماعات الضاغطة بواسطة المؤتمرات والتظاهرات، فيما تركّز العمل السياسيّ التمثيليّ من خلال شخصيّات سياسيّة ملتئمة في كتلتين: الكتلة الدستوريّة والكتلة الوطنيّة، هما اللتان تقاسمتا النفوذ والتمثيل في المجلس التمثيليّ الذي صار مجلس النوّاب، وفي الحكومة، وتاليًا في رئاسة الجمهوريّة. وخلال الحرب العالميّة الثانية، أيّدت الكتلة الدستوريّة السياسة البريطانيّة، فيما أيدت الكتلة الوطنيّة السياسة الفرنسيّة.

إلى ذلك، حصل نوع من التجاذب السياسيّ الطائفيّ بين الأحزاب، وتكرّر بين الشخصيّات السياسيّة. فالبطريرك بطرس عريضة انتقد في خطاب له سنة ١٩٣٨ الحزبين القوميّ والشيوعيّ، واعتبرهما من الأحزاب التي تعمل تحت سيطرة الأجنبيّ وضدّ استقلال لبنان.

وفي جلسة عامّة للمجلس النيابيّ في ٦ نيسان ١٩٣٧، اعتبر الياس سكاف أنّ حقوق الطائفة الكاثوليكيّة مهضومة، وطالب مجيد أرسلان بحقوق الطائفة الدرزيّة في وزارة العدليّة، وأثار صبري حمادة حقوق الطائفة الشيعيّة... ما يعكس حقيقة التجاذب الطائفيّ في التمثيل السياسيّ وتولّي الوظائف العامّة في الدولة.

إنّ هذا المناخ الطائفيّ ارتبط بمسألتين أساسيّتين:

١. الانتداب الفرنسيّ وسياساته الإقليميّة والدوليّة، فمعاهدة ١٩٣٦ بين لبنان وفرنسا- على سبيل المثال- أحدثت انقسامًا طائفيًّا، مع نشوء اتجاه مسيحيّ مؤيّد لها أملاً في تحقيق الاستقلال، وفي مقابل اتّجاه إسلاميّ معارض، نفّذ إضرابات احتجاجيّة في طرابلس وصيدا وجبل عامل.

٢. ارتباط نشأة الدولة اللبنانيّة بالتمثيل الطائفيّ، في مجلس النوّاب والحكومة والوظائف العامّة، حتّى أنّ الرئيس إميل أدّه طرح فكرة العدالة والمساواة في الحقوق المدنيّة والسياسيّة وتأمين نسبة عادلة في المناصب بين مختلف الطوائف للحدّ من الغضب الإسلاميّ على معاهدة ١٩٣٦، ودفع المسلمين للقبول بالكيان اللبنانيّ بعيدًا عن فكرة الاندماج بالمحيط العربيّ، خصوصًا وأنّ مؤتمر الساحل، الذي انعقد في ١٩٣٦/٨/١٤، شهد مطالبة إسلاميّة بالاستقلال الشامل عن الانتداب، وبتحقيق الوحدة السوريّة من خلال استفتاء شعبيّ عامّ ردًّا على مؤتمر مطارنة الموارنة بدعوة من البطريرك بطرس عريضة قبل ستّة أشهر، والذي طالب باستقلال لبنانيّ وعقد معاهدة مع فرنسا.

## إستخلاصات

١. على الرّغم من سلبيّات الانتداب لجهة تكريس الطائفيّة في التمثيل السياسيّ، ومنع وصول الشيخ محمّد الجسر إلى رئاسة الجمهوريّة بعدما رشّحته الكتلة الوطنيّة، فإنّ الفرنسيّين ساعدوا لبنان على الانتقال من التمثيل المشيخيّ العثمانيّ (المجالس الإداريّة) إلى التمثيل الشعبيّ ولو من خلال التوزيع الطائفيّ. وتجدر الإشارة إلى تكريس تحديد أعضاء المجالس البلديّة بالاقتراع. صحيح أنّ التمثيل السياسيّ للبنانيّين جمع ما بين التعيين والانتخاب (أحيانًا)، إلاّ أنّه كان خطوة متقدّمة على الصيغة الإقطاعيّة العثمانيّة.

٢. من الخطأ العلميّ اعتبار المسيحيّين جبهة موحّدة ضدّ كلّ المسلمين. هناك تعدّد في المواقف السياسيّة حيال نشوء الدولة وهوّيتها، منذ بداية الانتداب وحتّى نهايته. إنّ كتابات ابراهيم اليازجي ونجيب العازوري وغيرهما تندرج في خانة الدفاع عن العروبة، كما أنّ مطلب الوحدة العربيّة أيّده فريق من المسيحيّين. في المقابل، يصعب اعتبار مواقف المسلمين على

اختلاف مذاهبهم موحّدة من مجمل القضايا المصيريّة المتعلّقة بنشوء الدولة اللبنانيّة. علينا ملاحظة التعدّد والتنوّع في المواقف والأفكار السياسيّة.

**٣.** ضعف فكرة المواطنة منذ الإعلان عن لبنان الكبير سنة ١٩٢٠ وحتّى اليوم. كلّما اقتربنا من هذه الفكرة التي تمهّد لنشوء دولة مدنيّة، أو دولة حديثة، تأتي رياح من الداخل والخارج على لبنان والمشرق العربيّ لتغرقنا في الطائفيّة والمذهبيّة والعشائريّة فضلاً عن بقايا الإقطاع السياسيّ والماليّ.

إنّ القوى السياسيّة اللبنانيّة، وإن كانت متعدّدة الأفكار والمواقف من فكرة المواطنة، لم تؤسّس لمجتمع مدنيّ، ولا لمواطن لبنانيّ، في حدود القانون والعدالة الاجتماعيّة والحياة الديمقراطيّة.

**٤.** كما ارتبطت تفاصيل نشوء الدولة اللبنانيّة (حدودها، وديمغرافيّة شعبها، والتمثيل السياسيّ...) بالمحيط العربيّ، فإنّ هذه الحال سوف تبقى لاعتبارات موضوعيّة. ناهيك عن كثافة التدخّل الدوليّ في منطقة شهدت إقامة إسرائيل، وتفجّر آبار النفط.

الموضوعيّة تقضي من القوى السياسيّة، على تعدّد أفكارها وسياساتها، أن تأخذ في الاعتبار الحقائق الجيوسياسيّة، والاعتبارات التاريخيّة واللغويّة والثقافيّة. بكلمة أخرى، إطار الوحدة الوطنيّة، والمواطنة مدخل لا بدّ منه للوصول إلى فكرة الدولة الحديثة. دولة القانون والمؤسّسات، دولة المواطنين الأحرار، لا دولة الخائفين من الطغيان العدديّ الطائفيّ. دولة الريادة العربيّة والانفتاح على العالم، لا دولة العصبيّات والفساد والتبعيّة.

وجاءت مداخلة **د. نبيل خليفه** بعنوان: «**قضايا الحدود، وإشكاليّات الترسيم**».

«إنّ رسم الحدود على خريطة معترف بها دوليًّا قد لا تكون مقبولة من بعض الدول، وهذا هو وضع سوريا التي ليس لها سفير في بيروت، ولا تعترف بحدودها مع لبنان، حتّى وإن كانت الخرائط مرسومة ومعيّنة ومعترف بها دوليًّا».(Michel FOUCHER: Fronts et Frontières,. p. 43)

## مقدّمة:

منذ القدم يحاول إنسان التاريخ أن يسيطر بقدر المستطاع على مدى الجغرافيا: فرديًّا أو قبليًّا أو ملكيًّا أو إمبراطوريًّا أو دولاتيًّا. هذا التوجّه أدّى إلى ما سمّي «بتقطيع العالم»[١] على يد القوى الكبرى، ولاسيّما بريطانيا وفرنسا في العصر الحديث، بحيث قامت دول ذات حدود سياسيّة. وبالرّغم من ذلك، ظلّت الحدود السياسيّة من أكثر العوامل إثارة للمشاكل في العلاقات الدوليّة، وهي لا تزال السبب الأوّل لاندلاع الحروب بين الدول بفعل التمثّلات التي تعبّر عن المطامع والمطامح الأيديولوجيّة في مصادرها الموحاة أو المجرّبة وفي أبعادها الإقليميّة والدوليّة. فالدولة بحسب التعريف الفلسفيّ لها: «هي سلطة سيّدة تمارس على شعب وإقليم معيّنين»[٢]. إن لكلّ إقليم، لكلّ حيّز جغرافيّ ومنه لبنان، حدوده المعيّنة التي تفصله عن أقاليم الدول الأخرى المحيطة به.[٣]

لكنّ الكيانات السياسيّة، وبالتالي حدودها لا تنزل وقد «لبست ثوبها الكامل». بل عادةً وغالبًا، ما تحمل جدلاً حول شرعيّة الكيان الدولاتيّ نفسه أم حول شرعيّة حدوده بما يتولّد عنه قضايا الحدود وإشكاليّات التحديد والترسيم لهذه الحدود؟ فماذا عن حدود الدولة اللبنانيّة في هذا المجال؟

أحاول أن أجيب على هذه القضايا والإشكاليّات في ستّ ملاحظات أساسيّة:

### الملاحظة الأولى: أهميّة الحدود

**١.** إنّ إقليم الدولة الجغرافيّ هو القاعدة الأكثر ثباتًا لبناء الدولة. إنّه العنصر الأكثر أهميّة لأنّه في الدولة كما البناء العاديّ، يشكّل أولويّة الأولويّات. هذا يجعل من الحدود السياسيّة للدولة غشاء يغلّف جسمها ويقيها من مخاطر الخارج.

(١) «Découpage du monde» والتعبير لميشال فوشيه

(٢) Nouvel Observateur: Les grandes questions de la Philosophie? Hors série N: 32 Mars 1998 p. 32.

(٣) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨.

**٢.** والحدود تعكس حضارة الشعوب وحيويّتها، وفي أحيان توازنها.

**٣.** وللحدود قديمًا وحديثًا بعد مقدّس إمّا دفاعًا عنها حتّى الشهادة، وإمّا توقًا للوصول إليها بالشهادة أيضًا. إنّها «الحدّ المقدّس للوطن المقدّس».

## الملاحظة الثانية: التعريف بالحدود

**١.** لعلّ أبلغ تعريف بالحدود السياسيّة هو أنّها «إسقاط الزمان على المكان»، أي ترجمة التمثّلات والإرادات البشريّة بخطوط جغرافيّة لإقليم معيّن هي خلاصة ميزان القوى بين الدول المتجاورة أو بين القوى الدوليّة، أو الاثنين معًا في تصوّرهما لهذا الإقليم.

**٢.** والحدّ، لغويًّا، فيه معنيان: المنع وطرف الشيء.
فهو حاجز بين شيئين لكي لا يختلط أحدهما بالآخر «تلك حدود الله فلا تعتدوها» (البقرة ٢٢٩)، لكي لا يختلط الحلال بالحرام. وحدّ السيف: طرفه.

**٣.** والحدود عمليًّا هي خطّ طولانيّ مرسوم ومرسّم على سطح الأرض، وهو يتخطّى اليوم مساحة الدولة ليطال اتّساعها أبعاد الفضاء والأعماق والمياه الإقليميّة جوًّا وبرًّا وبحرًا.

**٤.** ولعلّ أهمّ ما في مضمون الحدود، أنّه «عندها تبدأ سيادة الدولة صاحبة الإقليم وتنتهي سيادة غيرها. ووراءها تنتهي سيادتها وتبدأ سيادة غيرها»(٤). وعليه يصبح الاعتراف بالحدود المرسّمة هو الاعتراف الصحيح لسيادة الدولة.

## الملاحظة الثالثة: وظائف الحدود

حدود الدول هي في الواقع كما يصفها جان غوتمان، «جبهة تماسّ مع جيرانها والعالم. لذا، فهي ذات طابع جغرافيّ وعسكريّ وسياسيّ وقانونيّ واقتصاديّ»(٥).

**١. وظيفة الأمن والحماية:** للدولة من اعتداءات الخارج. من هنا الحديث عن القلاع والحصون والخطوط المعروفة (ماجينو وبارليف...). والجدران القديمة (الصين) والحديثة (إسرائيل). ذلك أنّ حروب الحدود تقع «إمّا للدفاع عنها أو مهاجمتها أو نقلها أو اجتيازها أو تعديلها أو رفضها أو احتلالها»(٦).
وهذه الحدود تكون: إمّا جغرافيّة «البعض يسمّيها طبيعيّة» أو هندسيّة أو أنتروبو-جغرافيّة أو مختلطة.
«.. والذين يتحدّثون عن حدود طبيعيّة هم إيديولوجيّون خطرون يحاولون أن يغطّوا رغبتهم في الاحتلال والسيطرة على أرض أخرى بفعل نزعات قوميّة. وفي الواقع لا توجد حدود طبيعيّة، بل حدود جغرافيّة مقرّرة لاعتبارات سياسيّة وإستراتيجيّة واقتصاديّة»(٧).

**٢. الوظيفة الإستراتيجيّة**
وذلك لارتباط الحدود بأرض الدولة وشعبها. فهي من وسائل قوّة الدولة أو ضعفها. فالحدود هي المصدر الأساسيّ لقوّة الدولة، كما يؤكّد راتزل. فإن لم تكن مرسّمة ونهائيّة، انتقلت وظيفة الحدود إلى عكسها تمامًا: **أي نقطة قوّة للدولة إلى نقطة ضعف لها**. وخاصّة إذا كانت دولة ذات مساحة ضيّقة بحيث تكون نسبة مساحتها على طول حدودها متدنّية جدًّا، ممّا يجعلها أكثر عطوبيّة. وهذا هو وضع لبنان (نسبة مساحة حدوده: ٦٧٩/١٠٤٥٢=١٥,٤).*

باختصار، الحدود تفصل بين دولتين، وتفصل بين سيادتين، وتفرّق بين انتماءين وهويّتين لشعبين، وتحدّد نوعيّة الجار الآخر: شقيق هو أم صديق، أم خصم، أم عدوّ!

(٤) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة، مرجع سبق ذكره.

(٥) Jean Gottmann: La politique des Etats et leur géographie. P. 152.

(٦) J.P CHAGNOLLAUD et S.A SONIAH: Les frontiers du Moyen-Orient. L'Harmattan 2004, p.7..

(٧) المرجع السابق.
❖ ملاحظة: للمقابلة فقط:
سوريا: ١٨٥١٨٠ ÷ ٢٤٤٦= ٧٥,٧
فرنسا: ٥٥٠٠٠٠ ÷ ٥٥٠٠=١٠٠
إسرائيل: قبل ١٩٦٧: ٢٠٧٠٠ ÷ ١٢٧٩= ١٦,٨
بعد ١٩٦٧: ٢٠٧٠٠ ÷ ٩٤٠= ٢٢

**الملاحظة الرابعة: مراحل الحدود وهي خمس:**

**١.** تعريف الحدود Définition: من ضمن معاهدة لتعريف الحدود بين دولتين أو أكثر. (المعاهدة البريطانيّة الفرنسيّة (١٩٢٠/١٢/٢٣) لتعريف الحدود بين فلسطين وكلّ من لبنان وسوريا (من الناقورة إلى الحمّة).

**٢.** التحديد أو التعيين Délimitation: تكليف اختصاصيّين برسم الحدود المقترحة على الخريطة.

**٣.** الترسيم Démarcation: المرحلة الأهمّ بتثبيت الحدود نهائيًّا وماديًّا على الأرض بعلاقات مرقّمة (الباطون المسلّح) وبحسب ميشال فوشيه: «كلّ حدود غير مذكورة في معاهدة وغير مثبّتة على الأرض لا يمكن قبولها كحدود نهائيّة»[٨]. ولذا فقد يحدث التغيير للتحديد خلال الترسيم كما سنرى.

**٤.** التثبيت Fixation: بواسطة لجان المساحة لتعيين حقوق الملكيّة على جانبي الحدود.

**٥.** الشرعنة Légalisation: بإبلاغها من جانب المعنيّين مع خريطتها الرسميّة إلى الجامعة العربيّة (المادّة ١٧ من الميثاق)، وإلى الأمم المتحدة (المادّة ١٠٢ من الميثاق).

**الملاحظة الخامسة: وضعيّة الحدود اللبنانيّة**

طول الحدود اللبنانيّة ٦٧٩ كلم، منها ٢٢٥ بحريّة و٤٥٤ كلم بريّة. الحدود المشتركة مع سوريا هي ٣٧٦ كلم، ومع إسرائيل ٧٨ كلم. وضعيّتها الحاليّة:

٧٨ كلم مع إسرائيل مرسّمة منذ العام ١٩٢٣ (بوليه- نيوكمب). نحو ٤٠ كلم على السلسلة الشرقيّة بين نقطتي عين القبو (مستوى عرسال) وبير جبيب (مستوى بعلبك) مرسّمة منذ العام ١٩٣٥ (قرار المفوّض السامي دميان دو مارتيل LR/٢٧ تاريخ ١٩٣٥/٢/٤).

نحو ما بين ٣٥- ٤٥ كلم مرسّمة طبيعيًّا على مجرى النهر الكبير الشماليّ. يبقى نحو ٣٠٠ كلم من حدودنا مع سوريا غير مرسّمة، بما في ذلك منطقة شبعا، أي ما نسبته نحو ٨٠ ٪ من الحدود التي هي بحاجة ماسّة إلى ترسيم. **وتلك هي المسألة.**

**الملاحظة السادسة: حدودنا مع سوريا وإشكاليّات الترسيم**

**١.** ترتبط نهائيّة الحدود، أي ترسيمها، بموافقة الدولتين المتجاورتين المعنيّتين بهذه الحدود ومن ثمّ شرعنتها.

**٢.** إذا تمنّعت إحدى الدولتين عن إجراء هذا الترسيم أو سعت إلى مبدأ إعادة التحديد، فهذا يعني أنّها لا تقرّ بسيادة الدولة الأخرى. وهذه المسألة لا تطال معنى الحدود فقط، بل تعني عدم اعترافها بشرعيّة الكيان الدولاتيّ لجارتها إنطلاقًا من تمثّلات إيديولوجيّة أو سواها.

**٣.** عمليًّا، تمتنع سوريا عن إجراء ترسيم حدود مع لبنان، وتعمل على قضم جزء كبير من الأراضي اللبنانيّة[٩]. وتصرّ على إعادة الكلام على «تحديد وترسيم الحدود» **بهدف إسقاط خطّ القمم الحدوديّ بين البلدين** والعودة إلى البادية وتصعيب الوصول إلى توافق حول الترسيم. وهذا واضح في الموقف من مسألة أراضي شبعا، التي هي نموذج صارخ للموقف السوريّ من لبنان الكيان والحدود.

**٤.** هناك مجال كبير لتعديل التحديد في أثناء الترسيم وفقًا للمعادلة التي تحكم إرساء الحدود، وهي تقوم على اثنين: الحقّ وميزان القوى (نموذجه في خريطة ١٩٢٠ منطقة الجولان/ طبريا وكيف تمّ تعديل الحدود هناك في أثناء الترسيم- شرح على الخريطة).

**٥.** في مناقشات لجنة الحوار اللبنانيّة العام ٢٠٠٦ رفض سماحة السيّد حسن نصرالله استعمال مفردة الترسيم، المطروحة للنقاش، مع أنّها مذكورة في مذكّرة التفاهم بين حزب الله والتيّار الوطنيّ الحرّ، «لأنّها قد تزعج

(٨) Michel Foucher. Op. Cit. p. 42.

(٩) – تقرير بعثة الأمم المتحدة جعلت نسبة القضم ٤.٥٪ من الأراضي اللبنانيّة، على الجهة الشرقيّة من منطقة العاصي حتّى منطقة راشيا، من دون حسبان منطقة شبعا، وهذا يرفع معدّل القضم إلى نحو خمسماية مليون متر مربّع. (نشرت التقرير مع خريطة له صحيفة **وول ستريت جورنال** ٢٠٠٧/٧/٢٤).

السوريّين». وتمّ استبدالها بلفظة التحديد وهما أمران مختلفان.

التحديد أمر موقّت قائم على خريطة أساسًا. الترسيم هو أمر نهائيّ وثابت ومركوز على واقع الطبيعة وعلى الأرض. إنّه الفاصل بين الموقّت والنهائيّ بمعنى آخر: يراد للبنان أن يظلّ كيانًا موقّتًا قابلاً للإلغاء أو للتغيير.

**٦.** بالنسبة لبعض الأماكن (مزارع شبعا) تتهرّب سوريا من تحديدها وترسيمها شكل رسميّ أي باعتراف يرسل بمذكّرة إلى الأمم المتحدة حول لبنانيّة هذه المزارع، وأنّها تدخل ضمن السيادة اللبنانيّة وليس بمجرّد تصريحات شفهيّة من مسؤولين سوريّين، وذلك لأسباب سياسيّة وإستراتيجيّة معروفة!

**٧.** هل يمكن إجبار سوريا على ترسيم حدودها مع لبنان؟ إذا استمرّت سوريا في رفضها لترسيم الحدود، أي رفضها للاعتراف بالسيادة اللبنانيّة، فهناك النموذج العراقيّ-الكويتيّ (بموجب قرار مجلس الأمن ٦٨٧ تاريخ ١٩٩١/٤/٣) الذي دعا إلى ترسيم الحدود بين العراق والكويت بواسطة لجنة حدوديّة مشتركة عراقيّة كويتيّة يرأسها ممثّل للأمين العامّ للأمم المتحدة لجنة قامت بترسيم الحدود وتثبيتها إنطلاقًا من وثيقة تاريخيّة يعترف العراق باستقلال الكويت، «**بحدودها الحاضرة**» (في ١٩٦٣/١٠/٤). وهو ما يقابل الوثيقة التاريخيّة للعام ١٩٤٤ بين بشارة الخوري ورياض الصلح وسليم تقلا. يومها وافقت سوريا على نصّ اللجنة التحضيريّة لمؤتمر الإسكندريّة، وفيها «تؤيّد الدول العربيّة الممثّلة في اللجنة التحضيريّة مجتمعة احترامها استقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة».(١٠)

**٨.** إذا كانت مزارع شبعا تأخذ مثل هذا الاهتمام في العلاقات اللبنانيّة- السوريّة-الإسرائيليّة- الدوليّة، نتساءل: ما الذي سيكون عليه الاهتمام غدًا عندما يفتح موضوع الحدود البحريّة في الشمال على خطّ النهر الكبير للفصل بين الآبار البتروليّة اللبنانيّة السوريّة على امتداد ١٨ كيلومترًا داخل مياه المتوسّط؟!

## الخلاصة

لبنان دولة- حاجز بين دولتين إقليميّتين لديهما مطامع (إسرائيل) ومطامح (سوريا) في وطن الأرز. هذا عائد لتمثّلات إيديولوجيّة (إسرائيل الكبرى) و(سوريا الكبرى) على حساب (لبنان الكبير). الحدود السياسيّة هي الأمر الظاهر في هذه التمثّلات التي تتجاوزها إلى حدود أخرى هي حدود المصالح وحدود النفوذ وحدود الإستراتيجيّة.

فغداة جلاء الجيوش الأجنبيّة عن سوريا ولبنان عام ١٩٤٦، كان أوّل عمل قامت به السلطات السوريّة هو تقديم احتجاج رسميّ لدى السفارة البريطانيّة في دمشق حول ما أسمته «رسم الحدود الاستعماريّة بين سوريا وكلّ من لبنان وفلسطين». وتبعها حزب البعث بنصّ يؤكّد على أنّ «لا شرعيّة لأيّ دولة على تراب بلاد الشّام باستثناء الدولة السوريّة. أمّا الدول الأخرى فصنعها الاستعمار ويجب ضمّها إلى سوريا، وهو يعتبر الأردن وفلسطين جنوب بلاد الشام ولبنان غرب بلاد الشام».(١١)

فكم هو مهمّ للبنانيّين والسوريّين على السواء أن تتحوّل النظرة السوريّة إلى «لبنان في ذاته» إلى أنّه «حقيقة جغرافيّة وتاريخيّة»، وليس مجرّد «صناعة استعماريّة».

وكم هو أكثر أهميّة أن تتولّد في نفوسنا جميعًا الروحيّة الجديدة للحدود (Le nouvel esprit des frontiers)، التي تكلّم عنها المفكّر والسياسيّ الفرنسيّ دومينيك دو فيلبان أي «روحيّة الخروج من سجن الحدود البربريّة للانسان لتحويلها إلى روحيّة تفتح ولا تقفل، روحيّة قائمة على ثقافة تعترف بكلّ الحدود وتتجاوزها في آن ضمن مشروع كبير هو مشروع السلام والتنمية والعلم والثقافة والتربية، إذ وحده التفاهم والإنصات للآخر والتفهّم يفضي إلى السلام والتقدّم».(١٢)

(١٠) بشارة الخوري. **حقائق لبنانيّة**، الجزء الثاني، ١٩٦٠، ص ١١٠.

(١١) د. عصام خليفة- **النهار** ٢٠٠٦/٤/٨.

(١٢) من محاضرة له في مكسيكو (٢٠٠٣/٧/١٨) نقلت مقاطع منها مجلّة Diplomatie Magazine Sept- Oct, 2003, p.p. 11-15.

## الندوة الثالثة، وعنوانها: الدولة المدنيّة، انعقدت في ٢٠٠٨/١١/٢٧.

أدار هذه الندوة وزير الداخليّة والبلديّات الأستاذ زياد بارود، وحاضر فيها على التوالي الأب فادي فاضل والدكتور عصام نعمان والوزير السابق د. ديانوس قطّار.

**الوزير زياد بارود** بادر إلى السؤال: هل هي محنة الدولة أم هي محنة مدنيّتها؟

ليضيف: لافتٌ فعلاً عنوان الحلقات الدراسيّة: «بناء الدولة في لبنان». لافتٌ في سرّ البحث عن حقيقة، جزء منها معروف وجزء آخر وهمٌ وقصور، حقيقةِ دولةٍ أُعلن عنها يومًا في عشرينيّات القرن الماضي على أنّها «دولة لبنان الكبير»، فإذا بها لا تزال مشروع دولة، بعد حوالى تسعين سنة على إعلانها؛ كأنّ البناء بدأ بحفريّات، وربّما بأساسات أعمدة، ثمّ توقّف البنّاؤون عن التشييد. لافتٌ فعلاً أن نستمرّ نبحث في الدولة وبنائها، وكأنّ النشوء لم يرتق إلى حدّ تدعيم المبنى، على الرّغم من عمق المعنى وروعته، فعلاً ومضمونًا وخيارَ حياة.

لعلّ ما عصف بمحيط البناء والانهيارات حوله، جعل مشروع البناء يتوقّف حينًا ويتراجع أو يستمرّ خجولاً حينًا آخر. فمنذ سنوات الاستقلال الأولى، ضرب محيط البناء هزّة أرضيّة مدويّة، فنشأ كيان غاصب على المقربة عام ١٩٤٨، وانتقل من مساحته جيران أحبّاء، شاركونا سكن بنائنا ولو غير مكتمل. وما هي سنوات حتّى اهتزّ البناء بين الإخوة عام ١٩٥٨، على وقع ارتدادات المنطقة وموازين قواها.

سنوات الدولة وبناؤها، شهدتها جمهوريّة فؤاد شهاب (والتعبير لنقولا ناصيف)، فكانت مجموعة المراسيم الاشتراعيّة عام ١٩٥٩، التي شكّلت مدماك المؤسّسات (تفتيش مركزيّ، مجلس خدمة مدنيّة، ديوان محاسبة...)، ثمّ كان قانون انتخاب حكم الصراع على السلطة على مدى ٤ دورات متعاقبة، فأدخل الصراع إلى داخل المجلس، حيث المكان الصحيح للنقاش؛ رحم الله ميشال شيحا!

لكنّ النكسة بعد النكبة لم تشأ أن تمرّ عام ١٩٦٧ إلاّ مع ارتدادات على مشروع دولتنا، فأنتجت اتّفاق القاهرة؛ والبقيّة تعرفونها: سقطت فكرة الدولة الحامية، وبات البناء هيكلاً تدخله الرياح من كلّ حدب وصوب. أمّا أمُّ الرياح وأكبرُها، فكانت حربًا عندنا، في بيتنا، لا فرق إذا ما كانت حربَنا أو حربًا من أجل الآخرين (غسّان تويني)، فالحرب حربٌ والضحيّة الأولى: الدولة ولبنانيّوها.

ومنذ انتهاء تلك المَنازع على تسميتها، أُجهضت تجارب ومحاولات إعادة بناء الدولة؛ والأصحّ، محاولات إعادة البدء ببناء الدولة. قرأت يومًا كتابًا عنوانه «اغتيال الدولة»، فذكّرني بجدل فلسفيّ حول الوجود، منسحبًا إلى التساؤل عمّا إذا كان يُغتال إلاّ من نشأ...

أمّا اليوم، فالتحدّي مستمرّ، نقاربه بأمل المنتظر وبخوف الملدوع. نسعى إليه بلهفة العاشق ونخشى عليه كما المعشوق.

لديّ حلمٌ بأن أعيش في زمن أشهد فيه على قيام دولة، يُخدم فيها ابن عرسال والناقورة والنهر الكبير خدمة ابن بيروت وزحله ودير القمر...

لديّ حلمٌ بأن يعيش أولادي بمفهوم للمسيحيّة يعانق الإسلامَ واليهوديّة ومعتقداتِ السلام والانسان، وبأن يعيش أولاد الضاحية وعكّار والكورة وبرج حمّود بالمفهوم ذاته...

لديّ حلمٌ بأن تعزّز المدرسة الرسميّة والجامعة اللبنانيّة والمستشفيات الحكوميّة لتكون مثالاً للجودة والتفوّق والانسان، في لبنان ومحيطه العربيّ...

لديّ حلمٌ بأن أرى خاسرًا في انتخابات ما يهنّئ فائزًا، والأخير يُشرك الخاسر ولا يلغيه أو هو يحاول...

لديّ حلمٌ بأن أرى العلم اللبنانيّ مرفرفًا فوق كلّ الهضاب وكلّ المباني وكلّ المرافق وكلّ الجباه، فخورًا عزيزًا مكرّمًا...

وانتهى الوزير بارود إلى القول: أمّا مدنيّة الدولة، فنعتٌ يتبع المنعوت، حالَ وجوده، يقول البعض. أمّا البعض الآخر، فيرى في مدنيّة الدولة مدخلاً إلى نشأتها، ولو متأخّرة.

حول هذا السؤال الصعب، يتشارك الفكرةَ أصحاب فكر وتجربة... معهم، يصبح السؤال في عهدة اليد الأمينة.

هم متنوّعون في فكرهم وعقلهم وأدبيّاتهم. هم على صورة البلد، أو لربّما وجب أن أقول: حبّذا لو كان البلد على صورتهم!!

**الأب فادي فاضل**، وتحت عنوان: **دور المصالحة في بناء الدولة المدنيّة**، دعا إلى إطلاق مصالحة حقيقيّة بعيدًا من العفويّة كشرط أساسيّ يخوّلنا تجاوزَ ماضٍ عنيف وإعادةَ بناء دولة مدنيّة لجميع أبنائها. ولهذا، علينا في البداية أن نقيم العدالة الانتقاليّة التي تؤدّي إلى المصالحة كمسارٍ، لا كخطابٍ للاستهلاك الإعلاميّ.

ورأى أنّ أوّل الأهداف وأجداها في المراحل الانتقاليّة هو ما يرتبط بالمصالحة الوطنيّة والسياسيّة كمسار ينحصر في دعم المؤسّسات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة، بما يخوّلها الانكبابَ على الأسباب العميقة للصراعات وإرساء الشروط الضروريّة لاستتباب السلام والاستقرار.

أمّا الديمقراطيّة، قال، فتدعّمها المصالحة، من خلال إقامة علاقات التعاون اللازمة لوضعها موضع التنفيذ بنجاح. ونوّه بالتالي، بضرورة أن تحظى المصالحة بدعم العدالة الاقتصاديّة والسياسيّة، وبتشارك اجتماعيّ للسلطة وسواها.

وإذ أكّد أنّ الصالحة تشكّل غايةً ومسيرةً في آنٍ معًا، بما يسمح بالانتقال من ماضٍ مشرذم إلى مستقبل مشترك، عيّن أوّلاً خمسَ قواعد لهذه المصالحة: مسيرة طويلة الأمد- مسيرة لها تداعيات عميقة- مسيرة واسعة للغاية- ليس من وصفة واحدة لتحقيق مصالحة ناجحة- استعداد الأطراف المانحة لتقديم عونها لعمليّات المصالحة. ثمّ رسم ثلاث مراحل لمسيرتها: استبدال الخوف بعيش مشترك بعيد عن العنف- إرساء الثقة- كشف الحقيقة الذي يسمح بالنظر إلى الماضي من منطلق العذاب المشترك والمسؤوليّة المشتركة.

وانتهى إلى خلاصة تقول بتدخّل مسؤول للمجتمع الدوليّ في عمليّة المصالحة، لا بطلب ما لا يمكن تحقيقه، وإنّما بدعم يستند إلى تقويم واقعيّ لما يمكن القيام به باتّباع ثلاثة مبادئ: الوعي للسياق الخاصّ بالحقبة الانتقاليّة بُعيد الصراع- القبول بمبدأ «المُلكيّة» المحليّة لمسيرة المصالحة- اعتماد إطار زمنيّ حذر، تُعطى فيه برامجُ المصالحة وقتَها ولا تعرقلها أولويّة الإصلاحات الضاغطة أو المتسرّعة.

الوزير السابق **د. عصام نعمان**، وتحت عنوان: **الانتقال من النظام الطائفيّ الفاسد إلى الدولة المدنيّة الديمقراطيّة**، سعى إلى البرهان على صحّة ثلاث فرضيّات: الأولى، أنّ النظام عندنا سابق للكيان في نشوئه. الثانية، أنّ تجاوز النظام الراهن بالانتقال إلى الدولة المدنيّة الديمقراطيّة شرط لازم لإنقاذ الكيان. الثالثة، أنّ الإنقاذ مشروط بإقامة جبهة عريضة بصيغة مؤتمر وطنيّ دائم للعمل الديمقراطيّ تكون عابرة للطوائف وأعلى مكوّناتها الأصليّة .

وقال الدكتور نعمان: إنّ أزمة لبنان المزمنة مردّها غياب الدولة، ووجود طبقة سياسيّة قابضة عجزت عن تحقيق حاجتين إستراتيجيّتين: الإصلاح السياسيّ، ومواجهة الخطر الإسرائيليّ. وشدّد على أن حلّ هذه الأزمة المزمنة يتطلّب تسوية تاريخيّة، وأنّ هذه التسوية تَوصّل إليها اللبنانيّون بإقرار اتفاق الطائف، وأنّ المطلوب الآن تفادي انهيار النظام والكيان معًا بتنفيذ ما تبقّى من بنود الطائف، ولاسيّما استحداث مجلس شيوخ لتمثيل الطوائف إلى جانب مجلس نيابيّ منتخب على أساس وطنيّ لا طائفيّ ووفق نظام التمثيل النسبيّ، على أن يكون لبنان كلّه دائرة انتخابيّة واحدة .

وختم نعمان بأنّ أحدًا لن يلوم قوى المقاومة الوطنيّة اللبنانيّة إن هي اضطلعت بدور قياديّ إصلاحيّ فاعل في حال واصل أهل النظام الطائفيّ الفاسد التصارع لتمييع المسألة الإصلاحيّة والتهرّب من واجب الدفاع عن لبنان ضدّ الخطر العدوانيّ الصهيونيّ.

اما الوزير السابق **د. ديمانوس قطّار** فقال وتحت عنوان: **اقتصاد الدولة المدنيّة وتأثيره على الطبقة الوسطى وثبات الديمقراطيّة**، أنّ الاقتصاد سابق للنظام، وأنّه لا يزدهر من دون انتظام، وفي هذا تكمن الإشكاليّةُ الكبرى، أشار إلى أنّ ٧٥ طالبًا من أصل ١٠٠ طالب في المدرسة الرسميّة، يصلون إلى الثانويّة العامّة من دون رسوب، ما يعني أنّنا نحضّر لشيء مختلف عن الدولة المدنيّة، وعن الطبقة الوسطى، وعن الاقتصاد المزدهر.

وأضاف: حين ننظر إلى الاقتصاديّات المزدهرة، فإنّ هذه النسبة تكون عادةً فوق الـ٩٠٪، فيما هي عندنا دون الـ٧٠٪.

وتابع: ٥٣٪ من الشعب اليوم يوصل ٤٪ من النوّاب، وهذا توكيل حصريّ، ربّما لا رجوع عنه. فلفت بالتالي إلى أنّ ٨٠٪ من هذا الشعب هو اليوم لا يكفي حاجاته بإرادته الذاتيّة، فيلجأ إلى بيع الأصول أو الاستدانة المباشرة وغير المباشرة.

ثمّ دعا إلى احترام الفوارق وعدم إلغاء الآخر بمفهوم الازدهار الاقتصاديّ، وإلى خلق المناخ الذي يسمح بتطوير الانتاج، بعيدًا من التراكم في المواقف الدينيّة الوطنيّة وهيمنة خطاب الفرديّة وسيطرة الأنا الشخصيّة والمؤسّساتيّة (٩٢٪ من المؤسّسات عائليّة، و٧٠ من الخدمات الصحيّة التربويّة في هيئات طائفيّة، و٦٦٪ من الاقتصاد الخاصّ محتكر..)

ونوّه قطّار بديناميكيّة الاقتصاد اللبنانيّ، والتي كانت قبل النظام وقبل الكيان، وترتكز على قدرة دائمة في الانتاج والاختراع والتفوّق، وقوامها عاملان: الحريّة والثقافة، بحيث إذا ضُربا تراجع!

واعتبر أنّ النظام الذي تلا الطائف لم يسمح لا بالاقتصاد الديمقراطيّ ولا بالرأسماليّة التسلّطيّة، بل وقع بين الاثنين، لأنّه اتّكل على اقتصاد ريعيّ فقط، هو ما سحق الطبقة الوسطى (بعد أن كانت ٤٢٪ في العام ١٩٧٥، أصبحت ٣٢٪ إبّان الحرب، وباتت اليوم ١٨٪). فكيف نستطيع إذًا التحدّث عن ديمقراطيّة في دولة مدنيّة، والنسيجُ الاجتماعيّ الحرُّ في السياسة، والمستقلُّ في المدخول، والمتطلّعُ إلى المستقبل بنظرة ازدهار، هو محدودٌ في ١٨٪؟!

وإذ أشار أخيرًا إلى أنّ القطاعات التي حقّقت أرباحًا منذ الطائف إلى اليوم، وبسببٍ من نظريّة ديناميكيّة العولمة، بما هي عليه من حدود مفتوحة وارتباط دوليّ، والدولةُ لم تكن جاهزةً لها، هي: الخدمة السريعة والخلويّ والعقارات والمصارف، أبدى أسفه أنّنا لا نستطيع أن نجتمع معًا لتكوين نظام سياسيّ يحمي المجتمع المدنيّ والطبقة المتوسّطة، قائلاً: أتمنّى أن يكون لنا في لبنان هدف محدّد له مقياس، بديلاً من الشعارات التي لن تؤدّي لا إلى المصالحة المستدامة ولا إلى الدولة.

# ما الذي يجري في الأسواق الماليّة؟

د. لويس حبيقة

الظاهر أنّ كلّ محاولات الحلول للأزمة الماليّة الدوليّة لم تنفع بعد. اجتماع الدول العشرين في واشنطن بالرّغم من أهميّته والتوصيات العديدة المهمّة التي أصدرها لم يعط نتائج إيجابيّة بعد. كلّ عمليّات ضخّ السيولة لم تجد نفعًا وآخرها من الصين، إذ ما زالت الأسواق غير مقتنعة بأنّ جذور الأزمة قد عولجت. كلّ عمليّات تخفيض الفوائد، بنسب كبيرة، لم يعرفها العالم من قبل، لم تجد نفعًا بعد. فقد المواطنون ثقتهم بالأسواق الماليّة الدوليّة ولم يستعيدوها، لأنّ محاولات الحلول الوطنيّة والدوليّة المعلنة تبقى توصيات وتمنيّات لم ينفّذ منها إلاّ القليل. فقدوا ثقتهم، لأنّهم يعلمون أنّ بعض رؤساء الشركات يحظون بالمكافآت المرتفعة فيما شركاتهم تفلس. تبيّن للكونغرس الأميركيّ مثلاً أنّ رئيس شركة «ليمان برازرز» Lehman brothers التي أفلست، وهو ريشارد فالد Fuld، حقّق دخلاً بلغ مجموعه ٤٨٠ مليون دولار خلال السنوات الثماني الماضية. كيف يمكن تبرير هذه الأجور والمكافآت لشركة متعثّرة تصرف العمّال وتضرّ بزبائنها نصحًا في بعض الأحيان؟ هنالك مخاطر إضافيّة تتلخّص اليوم في إمكانيّة إنتقال الأزمة العقاريّة إلى الوحدات التجاريّة، بعد أن كانت محصورة بالمنازل. تعطي هذه المخاطر إشارات سلبيّة بشأن مجمل أوضاع الأسواق، وبالتالي تعيق عمليّات الانقاذ. يقول المؤرّخ الأميركيّ «شارلز كيندلبرغر» Kindleberger أنّ الأسواق الماليّة تمرّ في دورات ومراحل لا بدّ وأن تنتقل معها طبيعيًّا من الفورة إلى السقوط كما حصل مرارًا في الماضي.

لا بدّ من الاستمرار في تأمين السيولة للأسواق، إذ إنّ موارد صندوق النقد الدوليّ التي أعلنها وتقارب الـ ٢٥٠ مليار دولار، لا تكفي لتلبية رغبات السيولة في العالم. هنالك موارد أخرى ستأتي من آسيا ودول النفط، لكنّ المعلن حتّى اليوم ليس كافيًا. نعلم جميعًا أنّ الولايات المتحدة وضعت مشروعًا إنقاذيًّا سيموّل عبر قروض تبلغ تدريجيًّا الـ ٧٠٠ مليار دولار. هنالك نقاش سياسيّ حادّ حول جدوى إقراض شركات السيّارات الثلاث الأميركيّة الكبرى مبلغ ٢٥ مليار دولار، وما إذا كان ضمن الـ ٧٠٠ مليار أو مضافًا إليه. شركات السيّارات مهمّة، ليس فقط بسبب حجمها المباشر، وإنّما لتأثيرها الكبير على كلّ جوانب الاقتصاد الأميركيّ. هنالك ١٠٪ من اليد العاملة الأميركيّة مرتبطة بشكل أو آخر بصناعة ديترويت الرائدة تقنيًّا والمتعثّرة ماليًّا. من أسباب تردّد الكونغرس في إقراض الشركات الثلاث عدم تجاوبها في السنوات الماضية مع التوصيات الرسميّة الأميركيّة في إنتاج سيّارات قليلة الاستهلاك للطاقة وقليلة التلوّث. لن يقبل الكونغرس إقراض الشركات إلاّ بعد أن تؤكّد له أنّها قابلة للحياة في أسواق تنافسيّة خطرة.

لا يمكن للاقتصاد الأميركيّ أن يتعافى إلاّ بعد أن يحقّق ادّخارًا يساهم في تمويل الاستثمارات بتكلفة منخفضة. يجب محاربة عقليّة الاستدانة المبالغ فيها، والتي تجعل المجتمع الأميركيّ يعيش فوق طاقاته. إذا أخذنا مثلاً نسبة الديون العقاريّة من الناتج، نجدها تصل إلى ٧٥٪ في الولايات المتحدة بعد الدانمارك (١٠٢٪) وبريطانيا (٨٧٪) ثمّ إسبانيا (٥٨٪) فألمانيا. يقول الاقتصاديّ الكبير «جوزف ستيغليتز» Stiglitz إذا استمرّت الأمور على ما هي عليه سيفوق عدد الذين يعملون في شركات الأمن في الولايات المتحدة عددَ العاملين في القطاع التربويّ. سنة واحدة في السجن تكلّف دافع الضرائب الأميركيّ أكثر من سنة دروس في أعرق الجامعات الأميركيّة، وهنالك أكثر من مليوني سجين في أميركا (الأعلى في العالم نسبة لعدد السكّان) يكلّفون الدولة الأموال الطائلة. اتّكل الأميركيّون منذ التسعينيّات على الآسيويين، وخاصّة

على الصين، التي تختزن ما يقارب ألفي مليار دولار من الاحتياطيّ النقديّ، لتأمين تمويل ميزان الحساب الجاري العاجز وبالتالي استهلاكها. استفاد الأميركيّون من انخفاض تكلفة الانتاج الصينيّ وتحسّن نوعيّته، فاستوردوه، ما سمح لهم بمحاربة التضخّم ورفع مستوى المعيشة.

لا بدّ هنا من العودة إلى الواقع، لأنّ الحلول لن تأتي قبل أن يفهم المجتمع الدوليّ ما حصل فعلاً. في سنة ٢٠٠٦ بلغ حجم الناتج الاقتصاديّ الدوليّ حوالى ٤٨,٦ ألف مليار دولار أميركيّ، والقيمة السوقيّة لأسواق الأسهم حوالى ٥٠,٦ ألف مليار، بالاضافة إلى أسواق السندات التي بلغت قيمتها ٦٧,٩ ألف مليار دولار. يتبيّن هنا الحجم غير الطبيعيّ للقطاع الماليّ نسبة للاقتصاد الحقيقيّ، وهذا ما لم يعرفه التاريخ من قبل أو على الأقلّ منذ وجدت الاحصائيّات. وظّفت الأسواق الماليّة في نيويورك مباشرة قبل الأزمة ما بين ٢ و ٣٪ من عمالة القطاع الخاصّ في المدينة، تمامًا كما كان الواقع في السبعينيّات. الفارق هو حجم الأجور التي كانت تشكّل ما بين ٢ و ٣٪ في السبعينيّات، وحجمها مع بداية الأزمة الذي وصل إلى ٢٠٪. هنالك ٢١٢ ألف موظّف في القطاع الماليّ في «وول ستريت» حقّقوا دخلاً بلغ ٨٠ مليار دولار في سنة ٢٠٠٧. بفضل نظام الضرائب التصاعديّة على الدخل، يساهمون بنسبة عالية في تأمين الموارد الماليّة لنيويورك. يشكّل القطاع الماليّ حوالى ١٤٪ من ناتج المدينة، ما يفسّر التعاطف الرسميّ مع القطاع وعدم تطبيق قوانين التنظيم والرقابة بحزم وجديّة. لن تعود «وول ستريت» بسهولة إلى لعب الدور الذي لعبته قبل الأزمة الحاليّة. فالضرر كبير وليس محبّذًا حتّى للقطاع الماليّ أن يعود إلى ما كان عليه من ورم وتضخّم غير مبرّرين علميًّا واقتصاديًّا.

الولايات المتحدة ليست الدولة الوحيدة التي مدّت مصارفها بالسيولة، بل هنالك (بمليارات الدولارات) دول أخرى كألمانيا (٦٤٥)، وبريطانيا (٥٩٠) وفرنسا (٤٥٠) وهولندا (٢٥٠) وروسيا (٢١٠) والسويد (١٩٠) وكوريا الجنوبيّة (١٣٠) والنمسا (١٢٥) وسنغافورة (١٠٠). جميعها أو المهمّة جدًّا منها غارقة في الركود. هنالك تمنٍّ دوليّ بأن تستعمل الدول النفطيّة ثرواتها لإنقاذ الدول الغربيّة، علمًا أنّ الأوضاع في الخليج لم تعد كما كانت عليه منذ أشهر. هنالك حوالى ٤ إلى ٥ من مشاريع بناء المصافي النفطيّة توقّف أو ألغي بسبب الأوضاع الماليّة المتفاقمة. يقدّر فائض ميزان الحساب الجاري نسبة للناتج المحليّ الإجماليّ بـ ٤٤.٦٪ في الكويت و ٤٢.٩٪ في قطر و ٣٢.٥٪ في السعوديّة و ٢٢.٦٪ في الامارات و ١٨٪ في البحرين و ١٠.١٪ في عمّان. لا شكّ أنّ على الدول النفطيّة لعب دور فاعل وتضامنيّ في الاقتصاد الدوليّ، ليس لحماية الاقتصاد الغربيّ المستهلك لسلعها والمصدر لحاجاتها، وإنّما لتأمين استمراريّة الأسواق.

ما هو المطلوب، بالاضافة إلى ما حصل، لزيادة فرص الإنقاذ والعودة إلى النموّ؟ حماية الحريّة الاقتصاديّة التنافسيّة، كما جاء في بيان الدول العشرين، ورفض الحمايات والحواجز أمام التجارة الدوليّة تأتي في الطليعة. الحلول السريعة لن تكفي، بل يجب التفكير في علاج طويل الأمد يؤثّر إيجابًا على محرّكات الاقتصاد ومعنويّات المواطنين بحيث يدفعهم إلى الاستهلاك والاستثمار.

- **أوّلاً:** بناء المؤسّسات القويّة في الدول الناشئة والنامية لجعلها تتنوّع استثماريًّا نسبة للاقتصادات الغربيّة. كان هنالك اعتقاد بأنّ الأسواق النامية والناشئة منفصلة أو مستقلّة عن الأسواق الناضجة، ما يخفّف من المخاطر ويشجّع على الاستثمار. تتبيّن اليوم العلاقة الايجابيّة القويّة بين المجموعتين، ما يؤكّد على ضعف المؤسّسات العامّة في الدول النامية والناشئة. لا يمكن للأسواق الماليّة الدوليّة أن تعمل بشفافية وفعاليّة بوجود أسواق نامية وناشئة غير متطوّرة بقوانينها وقواعد المنافسة داخلها.

- **ثانيًا:** تأمين تمويل التنمية ربّما عبر ضريبة «توبين» Tobin، التي يحتجّ عليها حقًّا قطاع الأعمال، بسبب الضرورة. تقع الضريبة على رؤوس الأموال المتنقّلة بين الدول، فتبلغ حوالى ٣٧٥ مليار دولار، إذا كانت النسبة ٠,٥٪. يمكن تمويلها عبر ضريبة على التلوّث الذي تحدثه الاقتصادات المتطوّرة ويتنشّقه أو يستهلكه مواطنو الدول الفقيرة فضلاً عن الغربيّة.

# العلاقات اللبنانيّة- السوريّة
## مسيرة.. ومصير(؟!)

د. عقل كيروز |

هناك جدل بين المؤرّخين والسياسيّين، لبنانيّين كانوا أم سوريّين، حول واقع العلاقات اللبنانيّة- السوريّة وجوهرها. فمنهم من يدّعي أنّ لبنان جزء من سوريا، وآخر أنّ لبنان كان منذ بدء التاريخ المكتوب مع الفينيقيّين وحتّى يومنا هذا، حرًّا ومستقلاً. فأمام هاتين النظريّتين لا بدّ من العودة إلى العلم والواقع بكلّ ما فيه من تجرّد.

- يعود اسم لبنان إلى بياض الثلوج التي تغطّي جباله؛ فالشعب ساميّ العرق، ملقّب بالفينيقيّ، ومعناه باليونانيّة «الأرجوان».
- لم يكن الفينيقيّون موحّدين ضمن حدود مملكة واحدة، إنّما كانت لهم ممالك مستقلّة، وأهمّها صور وصيدا وأرادوس وبيبلوس ومراتوس وطرابلس. تعرّضت هذه الممالك، عبر التاريخ، لاجتياحات قام بها الفراعنة والأشوريون والبابليّون والفرس والماسّودينون والرومان، وآخرهم العرب والمماليك والأتراك.
- منح الحكم الرومانيّ الفينيقيّين في لبنان الحاليّ لقب مواطنين رومانيّين أحرار، ما يعني أنّ هؤلاء تمتّعوا دائمًا بالحريّة بدل العبوديّة، لأنّهم كانوا أهل علم وثقافة وحضارة خاصّة بهم حتّى بعدما اعتنقوا المسيحيّة.
- في سنة (٤٠١- ٤٠٥)، أعلن الإمبراطور البيزنطيّ تيودوسيوس العظيم استقلال Phoenicia Prima, ritima (وهي لبنان الحاليّ) مقاطعة مستقلّة بذاتها عن Phoenicia Secunda (أي سوريا الحاليّة)، واستمرّ هذا الواقع حتّى حصول الفتوحات الإسلاميّة سنة ٦٣٦- ٦٤٠.
- احتلّ المسلمون العرب ما يعرف اليوم بلبنان وسوريا والعراق وفلسطين والأردن. وتواصلت الخلافة الإسلاميّة بسلاطين وشعوب مختلفة حتّى الحرب العالميّة الأولى وهزيمة الأتراك الذين حكموا الشرق لمدّة أربعمئة سنة، كان لبنان الجبل خلالها الوحيد الذي تمتّع ببعض الاستقلال الإداريّ والسياسيّ.
- خلال الفتوحات العربيّة- الإسلاميّة التي طالت ما يقارب ١٢ ألف سنة، حافظ جبل لبنان، بمسيحيّيه ودروزه، على استقلال إداريّ، بينما كانت سوريا دائمًا ولاية يحكمها الأتراك، وقبلهم العرب مباشرة.
- وبالرّغم من حروب الأمويّين والفاطميّين والعبّاسيّين والمماليك والمصريّين والأتراك، بقي جبل لبنان حرًّا تهرع إليه الدول الأوروبيّة، ما جعله يزدهر ثقافيًّا وأمنيًّا واقتصاديًّا في عهد المتصرّفيّة حتّى قيل «هنيئًا لمن له مرقد عنزة في لبنان».

قسّم اتفاق Sykes- Picot المستعمرات التركيّة- العربيّة إلى مناطق نفوذ لفرنسا وبريطانيا. ووضع لبنان وسوريا، كدولتين منفصلتين، تحت الانتداب الفرنسيّ؛ وفي سنة ١٩٢٠ أنشأت دولة لبنان الكبير.

- وخلال السنوات السابقة لنشوء الحرب العالميّة الأولى وبعدها، ظهرت مؤلّفات عديدة للكتّاب اللبنانيّين الذين كان لهم الفضل في تفعيل النهضة العربيّة. وظهرت الدعوات لإنشاء القوميّة اللبنانيّة Lebanese nationalism، جاعلةً من لبنان بلدًا سيّدًا حرًّا مستقلاً، ضاحدةً فكرة Ottomanism, Pan- Islamism. وفي ٦ أيّار ١٩١٦، استُشهد ١٤ لبنانيًّا مسيحيًّا ومسلمًا من أجل استقلال لبنان.
- أسفرت الحرب العالميّة الأولى عن تهجير ما يقارب مئة ألف لبنانيّ إلى أميركا الجنوبيّة والشماليّة وأوروبا، بينما استُشهد ما يقارب المئة ألف آخرين.
- عندما أعلن الأمير فيصل مملكته في الشام لتضمّ فلسطين وسوريا ولبنان والعراق، رفض المسيحيّون اللبنانيّون ذلك.
- خلال ١٩٢٠- ١٩٤٣ حدثت صراعات وانقسامات داخليّة بين اللبنانيّين. فالأقليّة طالبت بالانضمام إلى سوريا كدولة واحدة، أمّا الأكثريّة فتشبّثت باحترام وحدة واستقلال وسيادة لبنان الكبير ضمن النظام الدوليّ الشرعيّ.
- وتحوّلت الخلافات الداخليّة إلى دينيّة- طائفيّة على جبهتين: المسيحيّون من جهة، والسنّة والشيعة والدروز من جهة أخرى. وبالرّغم من ذلك، اجتمع المجلس النيابيّ سنة ١٩٢٥ لإعلان أوّل جمهوريّة في العالم العربيّ في ٢٤ أيّار ١٩٢٦.
- في هذه الأثناء باشر بعض السوريّين بمطالبة لبنان باسترجاع سوريا للمسلمين اللبنانيّين هم ومناطقهم.
- وفي سنة ١٩٤٣، وافق المسيحيّون والمسلمون على الميثاق الوطنيّ واستقلال لبنان النهائيّ. في تلك السنة استقلّ لبنان من فرنسا، لكنّ سوريا لم تعترف باستقلاله حتّى اليوم.

- وفي عام ١٩٤٦، أنشأت لجنة عليا للاقتصاد المشترك بين البلدين. وكان هناك تقارب سياسيّ نتج عنه: الاتحاد الجمركيّ- اتفاق المصالح المشتركة- مكتب القطع النقديّ والمجلس الأعلى للتموين- مجلس إدارة يحدّد أرباح لبنان وسوريا من جرّاء مرور أنابيب النفط السعوديّ. ولكن، سرعان ما تدهورت العلاقات بفعل إصرار السوريّين على خروج لبنان من كتلة «الفرنك».
- تأزّمت العلاقات بعد الانقلاب السوريّ الأوّل بقيادة حسني الزعيم سنة ١٩٤٩، فحدثت القطيعة الاقتصاديّة وانفضاض الوحدة الجمركيّة وتمّ الانفصال النقديّ.
- ومع تدهور العلاقات بين البلدين، وبالأخصّ بعد حرب قناة السويس سنة ١٩٥٦ وقبول لبنان بمبدأ أيزنهاور عام ١٩٥٧، تحرّكت سوريا، وكان لها تدخّلٌ معادٍ في لبنان، بدأ سنة ١٩٥٨ واستمرّ حتّى اليوم وبطرق مختلفة.
- ومع دخول أكثر من ٢٠٠ ألف لاجئ فلسطينيّ إلى لبنان، استغلّت سوريا الفرصة، وبالأخصّ بعد حرب ١٩٦٧، لضرب النظام اللبنانيّ والسيطرة عليه كليًّا من خلال الوجود الفلسطينيّ المسلّح والأحزاب اليساريّة المتطرّفة.
- في سنة ١٩٧٠، اعتلى الفريق حافظ الأسد موقع الرئاسة في سوريا، وكان طموحه ضمّ لبنان إلى سوريا. وقد طلب من صديقه الرئيس سليمان فرنجيه، آنذاك، توقيع معاهدة أمنيّة تضمن نفوذه العسكريّ في لبنان.
- وضع عبد الحليم خدّام، وزير الخارجيّة السوريّة، آنذاك، مشروعًا مع فرنجيه، عُرف «بالوثيقة الدستوريّة»، في ١٤ شباط ١٩٧٦، للقيام بإصلاحات سياسيّة، جاعلاً من سوريا وصيًّا على القرار اللبنانيّ. وقد انكشف لاحقًا مضمون الاتفاق، وهو من خمس موادّ موزّعة على ١٣ بندًا، أهمّها إرسال قوّات سوريّة لضبط الأمن في لبنان، وتدريب الجيش اللبنانيّ على أيدي السوريّين، ودعم إكمال ولاية الرئيس فرنجيه. وعندما فشلت هذه الاتفاقيّة اندلعت الحرب...
- وفي سنة ١٩٦٧، دخل الجيش السوريّ لبنان واحتلّه تحت غطاء منع تقسيمه وأمن المسيحيّين وتنظيم القوى الفلسطينيّة.
- عارضت إسرائيل والولايات المتحدة التدخّل السوريّ، فسارع الأسد متعهّدًا لهما بأنّه سوف يبقي جيشه على مسافة ٤٥ كلم من الحدود مع إسرائيل، ولا يقوم بأيّ عمل عسكريّ ضدّ إسرائيل، إنّما سيسيطر على سلاح منظّمة التحرير ويعيد للبنان وحدته. وحصل بعدها، في قمّتَي الرياض والقاهرة، على ضوء عربيّ أخضر للتدخّل. ويقول بعض السياسيّين إنّه أوحي له عربيًّا بضمّ أو دمج لبنان بسوريا.
- عارضت الكويت دخول القوّات السوريّة إلى لبنان بأيّ شكل من الأشكال. أمّا سوريا فأرسلت ١٢ ألف جنديّ إلى البقاع تحت غطاء «جيش التحرير الفلسطينيّ»، واحتلّت لبنان بأكمله.
- وبعد أن أحكمت سوريا قبضتها على المناطق المسيحيّة، أعادت صياغة تحالفاتها السياسيّة ومارست سياسة القمع. ففي سنة ١٩٧٨ دكّ الجيش السوريّ المناطق المسيحيّة بآلاف أطنان القذائف والصواريخ.
- طلبت الكويت اجتماعًا لجامعة الدول العربيّة، وطالبت بإرسال قوّات عربيّة لحفظ السلام في لبنان، فعارضت سوريا ورفضت الاشتراك. ثمّ أوعز الرئيس الأسد لصديقه الرئيس فرنجيه طالبًا منه معارضة هذا الحلّ. وبالفعل، أرسل فرنجيه رسالة يعارض فيها أيّ وجود عسكريّ غير السوريّ في لبنان.
- شدّدت الكويت موقفها الداعي إلى انسحاب الجيش السوريّ من لبنان. فوافقت سوريا على مشروع «قوّات ردع عربيّة» من ٣٠ ألف عنصر، بينهم ١٢ ألف سوريّ.
- من جديد، عارضت الولايات المتحدة وإسرائيل الوجود السوريّ في لبنان، فقدّم الأسد ضمانات دوليّة، كما فعل من قبل، بأنّ قوّاته لا تستخدم ضدّ إسرائيل. وهكذا سقط مفهوم الصراع مع الدولة العبريّة. ونال الأسد ما أراد في لبنان. ثمّ استُشهد كمال جنبلاط وغيره من رموز الاستقلال. وبوشرت التصفيات السياسيّة لقياديي لبنان والبعث العراقيّ وحركة فتح وغيرهم.
- ونتيجةً لتوقيع معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل، وجّه النظام السوريّ ضرباته القاسية ضدّ المناطق المسيحيّة، وخاصّة في معركة مع الجيش اللبنانيّ في الفيّاضيّة سنة ١٩٧٨، وبعدها مع القوّات اللبنانيّة في زحلة، ثمّ كانت حرب المئة يوم ضدّ الأشرفيّة.
- وعلى طاولة الحوار الوطنيّ في لوزان، سعى الأسد للحصول على اتفاقيّات تربط لبنان بسوريا إلى الأبد. فشل مشروعه، فازداد العنف في الداخل.
- حاولت سوريا بعد ذلك وضع دستور جديد للبنان من خلال الاتّفاق الثلاثيّ في دمشق، والذي تولّى إيلي حبيقه توقيعه عن المسيحيّين، ويضمن شقًّا أمنيًّا يعطي الجيش السوريّ ومخابراته حقّ البقاء في لبنان.
- بعد ذلك، سنة ١٩٨٩، انبثقت اللجنة العربيّة من السعوديّة والمغرب والجزائر، من دون إشراك لسوريا ومع تحميلها مسؤوليّة العنف والخراب في لبنان، فكان التصعيد العسكريّ السوريّ لإفشال مقرّرات اللجنة.
- وخلال الغزو الإسرائيليّ، انسحب الجيش السوريّ إلى البقاع، وبدأ مسلسل الاغتيالات للمعارضين.
- استلم أمين الجميّل الرئاسة، فعمد الأسد على تقويض حكمه من خلال حلفائه، وحلّ الإرهابُ على الأميركيّين والفرنسيّين

وغيرهم. وقد مارس الأسد ضغوطًا، بواسطة حليفه الرئيس فرنجيه والقوى اليساريّة، لإفشال اتّفاق ١٧ أيّار، فعمّت الفوضى، كما أثار خلافًا بين الرئيس الجميّل وحلفائه، وأشعل حربًا أهليّة في الجبل، وضغط على الزعماء الشيعة لإخراج الجيش اللبنانيّ من الجنوب، ودَفَقَ السلاحَ لحلفائه. وفي نهاية ولاية الرئيس الجميّل، أحدثت سوريا فراغًا دستوريًا، ملأه الجنرال ميشال عون والرئيس سليم الحصّ، ما أعاد القوى السوريّة إلى بيروت.

- رفضت سوريا ترئيس الجنرال عون، بعدما أوفد النائب ألبير منصور إلى سوريا للتفاوض بشأن ترئيسه، فكانت حرب التحرير، التي ذهب ضحيّتها ٢٠٠٠ مسيحيّ. ثمّ طالبت سوريا بترئيس فرنجيه بعد الجميّل.
- دُعي القادة اللبنانيّون للذهاب إلى الطائف وحلّ مشاكلهم على طاولة حوار من خلال السلطة التشريعيّة. فوضعت سوريا شروطها في اتّفاق الطائف بما يضمن وجودها العسكريّ في لبنان بقيادة اللواء غازي كنعان. وعمل النظام السوريّ، بجهد كبير، لإقناع إسرائيل وأوروبا والولايات المتحدة بأنّ لبنان يحتاج لها، ولا يستطيع أن يحكم ذاته. وكان الحلّ الوسطيّ مركّزًا على إعادة انتشار القوى السوريّة من دون تحديد موعد خروجها النهائيّ من لبنان.
- انتخب الرئيس رينيه معوّض، ثمّ اغتيل لأنّه لم يتجاوب مع الأوامر السوريّة. فسعت دمشق إلى انتخاب صديقها الياس الهراوي، الذي انتهى به الأمر إلى الموافقة على خوض معركة عسكريّة دامية لإخراج عون من بعبدا.
- في العام ١٩٩٠، فرضت سوريا ذاتها لحلّ الخلافات اللبنانيّة الداخليّة بسبب حرب الخليج في ظلّ صمت عربيّ ودوليّ، واستمرّت الوصاية السوريّة حتّى العام ٢٠٠٥.
- عمل النظام السوريّ بجهد كبير، في عهدَي الرئيسَين الياس الهراوي وإميل لحّود، للحصول على أكثر عدد من الاتّفاقيّات لخدمة مصالحها في لبنان وضمّه إليها من خلال شعارات مثل «شعب واحد في دولتين» «أمن لبنان من أمن سوريا». أمّا عدد هذه الاتّفاقيّات فيزيد على ١٢٤، يكاد الشعب لا يعرف عنها شيئًا. وتحرّكت المعارضة اللبنانيّة ضدّ الهيمنة السوريّة، فجوبهت بالترهيب والاغتيالات والتفجيرات. ثمّ منعت الجيش اللبنانيّ من الدخول إلى الجنوب، وتدخّلت في كلّ الإدارات اللبنانيّة.
- تدخّلت سوريا، كما فعلت في عهد الهراوي، للتمديد لولاية لحّود بالقوّة وتمرير قانون انتخاب يخدم مصالحها، ولتسليح ميليشيات وفئات لبنانيّة تحت غطاء محاربة العدوّ الصهيونيّ بدل حلّها كما ورد في اتّفاق الطائف. بعدها، فرضت إنشاء المجلس الأعلى اللبنانيّ- السوريّ.
- بعد إعلان «ثورة الأرز»، استخدمت سوريا كلّ إمكاناتها لتفكيك القوى اللبنانيّة الداعية للاستقلال، ما أدّى إلى تفكيك لبنان بين مناهض وموالٍ لها. فعمدت إلى إدخال اللاعب الإيرانيّ بشكل موسّع لبلوغ أهدافها.
- تحرّكت القوى اللبنانيّة الاستقلاليّة؛ فكانت الانتفاضة ضدّ الحكم السوريّ، بدءًا بالإعلان الأوّل للمطارنة الموارنة الذي نادى بانسحاب الجيش السوريّ من كلّ الأراضي اللبنانيّة، ثمّ بتشكيل قرنة شهوان، وقيام المصالحة في الجبل، وانضمام كلّ اللبنانيّين المعارضين من كلّ الطوائف والمذاهب إلى المسيرة، وأهمّهم وليد جنبلاط والمغفور له الشهيد رفيق الحريري.
- صدر قرار الأمم المتحدة رقم ١٥٥٩، بدعم فرنسيّ أميركيّ عربيّ، داعيًا إلى انسحاب الجيش السوريّ، وحلّ ما تبقّى من الميليشيات اللبنانيّة والفلسطينيّة بما فيها حزب الله، وعدم التمديد للرئيس لحّود، فتكاثفت سلسلة الاغتيالات المشؤومة، وفي مقدّمتها اغتيال الرئيس الحريري. وبالرّغم من الاغتيالات والتهديدات، طالب مجلس الأمن القوى السوريّة بالانسحاب من لبنان خلال ستّة أشهر، فتمّ ذلك في ربيع سنة ٢٠٠٥، وتكرّس استقلال لبنان دوليًّا.
- ضغط النظام السوريّ على حلفائه لإفشال حكومة السنيوره، من خلال اعتكاف الوزراء الشيعة، واحتلال وسط بيروت، وإقفال المجلس النيابيّ، ورفض إعطاء لبنان ورقة خطيّة تؤكّد لبنانيّة مزارع شبعا لتحريرها من إسرائيل، وترسيم الحدود الدوليّة بين البلدين.
- بعد حرب تمّوز ٢٠٠٦، هاجم الرئيس بشّار الأسد الحكومة اللبنانيّة على أنّها «منتج إسرائيليّ»؛ ثمّ كان اغتيال الوزير بيار الجميّل، وإرهاب «فتح الإسلام» في مخيّم نهر البارد. وتوالى التدهور الأمنيّ والاقتصاديّ والسياسيّ في لبنان بسبب هذا التدخّل السوريّ، إلى أن حصل مؤتمر الدوحة بمباركة أوروبيّة أميركيّة عربيّة.
- انتخب الرئيس ميشال سليمان، وتألّفت حكومة وحدة وطنيّة. وبعد زيارة الرئيس سليمان لدمشق تقرّر تبادل فتح سفارة في كلّ من البلدين. أمّا الأمور الأخرى كترسيم الحدود والسلاح الفلسطينيّ ومزارع شبعا والتدخّل السوريّ غير المباشر والعلاقات اللبنانيّة-السوريّة، ومنها تسليح «المقاومة»، فكلّها عالقة بحيث يبقى السلم الأهليّ معرّضًا للاهتزاز والانتكاسات إلى أن يقضي اللهُ أمرًا كان مفعولاً (؟!).

# مـاذا سيـجلب أوبـامـا للبنـان والشرق الأوسط؟

د. نعيم سالم
أستاذ العلاقات الدوليّة في الجامعة

انتخاب باراك أوباما الرئيس الرابع والأربعون للولايات المتحدة، يمثّل في حدّ ذاته دلالات تغيير جوهريّة على صعيد السياسة الداخليّة الأميركيّة وتحوّل المجتمع الأميركيّ ثقافيًّا وسوسيولوجيًّا.

فأوباما ذو الأصول الإفريقيّة حسَبًا، والإسلاميّة في اسمه نسَبًا- باراك حسين أوباما- أوصلته الديمقراطيّة الليبراليّة كنظام سياسيّ إلى أرفع منصب رئيسًا للولايات المتحدة، رغم أنّ السمر (أو السود) من أصل إفريقيّ يمثّلون حوالى ١٢٪ فقط من مجموع الأميركيّين. إنّها الديمقراطيّة الانتخابيّة بما توفّره من تواصل عابر للفوارق التعدّديّة بالمضمون السياسيّ التمثيليّ- وليس بالشكل (الفدراليّة وأخواتها)- والتي تتيح الفرص لكلّ المواطنين، الذين هم متساوون أمام القانون، لتحقيق طموحاتهم أو الوصول إلى القمّة كحال أوباما.

فالديمقراطيّة التي يتساوى فيها المواطنون بالحقوق والواجبات والفرص، توفّر هكذا إطارًا سياسيًّا واجتماعيًّا لكي يحقّق المرء تطلّعاته في المجتمع بمعزل عن أصله وفصله. ولا يسعنا هنا، في مستهلّ حديثنا عن أوباما، إلاّ أن نستذكر قولاً للمتنبّي:

لا تقل أصلي وفصلي أبدًا
إنّما أصل الفتى ما قد حصل

أمّا في ما يتعلّق بسياسة أوباما الشرق الأوسطيّة المنتظرة، فعلينا أن ننظر إليها من منطلق إطار السياسة الخارجيّة الأميركيّة بشكل عامّ، رغم أنّ سياسة إدارة الرئيس جورج دبليو بوش الآفلة جعلت من الشرق الأوسط مربض خيلها عقائديًّا ومكسر عصاها عسكريًّا ومختبرًا لنظريّات المحافظين الجدد عن الحروب الاستباقيّة التفتيتيّة أو التوسّعيّة. وبالفعل، نظريّات منظّري المحافظين الجدد، مثل ريتشارد بيرل وبول ولفوويتز ودونالد رامسفيلد وريتشارد بايبس ونجله دانيال بايبس، المنطلقة من مقولات الأحاديّة القطبيّة أو Unchallenged hegemony فجرّت حروبًا قُرِّرَت ساعاتُ صفرها أو بداياتُها من واشنطن، ولكن لم تستطع إدارة الرئيس بوش حتّى هذه الأيّام الأخيرة من عمرها من حسم أو إنهاء أيّ منها أو أيّ من الأزمات التي حرّكتها: من أفغانستان عام ٢٠٠١، إلى العراق عام ٢٠٠٣، إلى حرب إسرائيل على لبنان في ٢٠٠٦، إلى فصم فتح عن حماس وتسعير خلافاتهما من جهة، ودفع المجابهات الفلسطينيّة- الإسرائيليّة المستمرّة من جهة أخرى، إلى تفجير أزمة دارفور في السودان ٢٠٠٣ بالتزامن تحديدًا وليس صدفةً مع الحرب على العراق، وأخيرًا وليس آخرًا إلى تسليح أثيوبيا، الفقيرة والجائعة عامًا بعد عام، وتشجيعها على اجتياح الصومال، دولة أخرى في القرن الأفريقيّ فقيرة ومنهكة، في أواخر العام ٢٠٠٦. حروب وأزمات مستمرّة سيورّثها السلف بوش إلى الخلف أوباما مع تسليمه الرئاسة في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٩.

إرث سياسيّ ثقيل على أوباما، بل بالمحصّلة إرث كارثيّ، بشريًّا وماديًّا، على الدول والشعوب حيث أُرسلت جيوش الرئيس بوش أو حيث حطّت سياساته رحالها العسكريّة/ الأمنيّة أو بالحريّ اللاأمنيّة.

من هنا، سياسة الرئيس المنتخب أوباما الخارجيّة، حتّى قبل أن يرسمها أو يحدّدها بشكل واضح، ستتأثّر بثلاثة عوامل:

أوّلاً، عامل الاستمراريّة أو Continuity الذي لا يسمح بحريّة حركة واسعة لرئيس جديد، خاصّة رئيس دولة عظمى مهيمنة عالميًّا ولها وجودها ونفوذها وحيثيّتها القائمة في أغلب مناطق العالم، كي يغيّر بشكل جذريّ في سياستها الخارجيّة. ومبدأ الاستمراريّة في سياسات الدول الخارجيّة هو عامل يتخطّى غالبًا تعاقب الرؤساء والحكومات.

ثانيًا، عامل المصالح الحيويّة أو Vital interests، خاصّة في المناطق النفطيّة الرئيسيّة في العالم، أو المناطق ذات الأهميّة الإستراتيجيّة والعسكريّة كالشرق الأوسط.

د. نعيم سالم

هذا العامل أيضًا لا يتأثّر كثيرًا بتبديل الحكومات.

ثالثًا، عامل العلاقات المميّزة أو Special relationships مع دول معيّنة، كعلاقة الولايات المتحدة المتماهية تقليديًّا مع إسرائيل. رغم أنّ هذه الحميميّة تتأثّر بشكل أساسيّ باللوبي اليهوديّ في أميركا، إلاّ أنّها تتداخل مع عامل المصالح الحيويّة الأميركيّة أعلاه، ويؤثّر الواحد منهما في الآخر ويستفيد منه.

من هنا، لا نتوقّع تغيّرًا جذريًّا في سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط بشكل عامّ. ولكن، رغم ذلك، هناك معطيات أخرى في السياسة الأميركيّة، عقائديّة وطارئة، ستؤثّر بلا شكّ في تعديل أوباما لبعض مناحي سياسة أميركا الشرق الأوسطيّة. وهذا التعديل الذي يتأثّر بالخلفيّة الحزبيّة، (ديمقراطيّ مقابل جمهوريّ)، أو بشخصيّة الرئيس، قد ينتج عنه تأثيرات مهمّة. إفترض مثلاً لو أنّ المرشح الديمقراطيّ آل غور أصبح رئيسًا للولايات المتحدة في العام ٢٠٠١ بدل جورج بوش الابن. في هذه الحالة، من شبه المؤكّد أنّ اجتياحات العراق والصومال في الألفيّة الجديدة، وربّما حرب أفغانستان، ما كانت لتحصل. والأرجح أيضًا أنّ حربَي دارفور ولبنان ما كانتا لتندلعا في ٢٠٠٣ و٢٠٠٦. في هذه الصراعات المتّصلة أو الناتجة عن السياسة الخارجيّة الأميركيّة دُمِّر أكثر من مليونين ونصف المليون إنسان، وشُرِّد ضُعفا هذا العدد.

إذًا، الأشخاص مهمّون Personalities matter، وقد يكون وجودهم في السياسة أو عدمه كالفارق بين الحفاظ على حياة ملايين البشر من جهة، أو تدميرهم من جهة أخرى، لا بل تفتيت بلدانٍ بأكملها أيضًا كما حصل في العراق والصومال، وإلى حدّ ما في أفغانستان.

الديمقراطيّون الأميركيّون، بشكل عامّ، ليسوا من محبّذي سياسة استعمال القوّة العسكريّة في السياسة الخارجيّة،خاصّة منذ إدارة الرئيس جيمي كارتر ١٩٧٧-١٩٨١. وبالتالي، ومع وصول أوباما الديمقراطيّ إلى سدّة الحكم، ستتّخذ السياسة الخارجيّة الأميركيّة منحىً من الـ Gradual military disengagement أو تراجعًا تدريجيًّا في استعمال القوّة العسكريّة في غير منطقة من العالم، بما فيها الشرق الأوسط، وتحديدًا العراق وأفغانستان. وينسحب ذلك على تضاؤل احتمال التصادم مجدّدًا مع سوريا أو إيران، أو التورّط ثانيةً على نطاق واسع في الصومال.

وفيما يتعلّق بإيران تحديدًا، يمكننا القول إنّ إيران خرجت من دائرة خطر الاستهداف العسكريّ الأميركيّ لها، حتّى قبل وصول أوباما إلى البيت الأبيض. حرب تمّوز ٢٠٠٦ الفاشلة على حزب الله، حليف إيران الصغير نسبيًّا في لبنان، ساهمت في إخراج إيران من عنق زجاجة الاستهداف الأميركيّ أو الإسرائيليّ لها. وتهديدات إسرائيل الدوريّة لإيران، سببُها قلقٌ حقيقيّ لدى مسؤوليها من محدوديّة الخيارات المتوفّرة لديهم لزجر تنامي القوّة الإيرانيّة. والتهديدات المتقطّعة من قِبَل المسؤولين السياسيّين والعسكريّين ضدّ إيران، تصبّ في خانة عرض العضلات في المنطقة من جهة، والحرب النفسيّة التي تهدف إلى طمأنة الداخل الإسرائيليّ القلق من جهة أخرى.

وكان باراك أوباما قد اتّخذ مواقف علنيّة ضدّ الحرب على العراق قبل ترشّحه للرئاسة الأميركيّة، مع أنّه عاد أخيرًا وربط انسحابات القوّات الأميركيّة من العراق بتعزيزات لها في أفغانستان، من منطلق أنّ إرهاب القاعدة يتركّز في أفغانستان. وآخر تصريح له في هذا السياق جاء في بداية كانون الأوّل ٢٠٠٨، عندما أعلن أنّه لم يزل على وعده الانتخابيّ بسحب »القوّات القتاليّة« من العراق خلال ستّة عشر شهرًا.

أمّا العامل الأكثر أهميّة في التأثير على سياسة إدارة أوباما القادمة، فسيكون الأزمة الماليّة- الاقتصاديّة التي بدأت في الولايات المتحدة في أواخر العام ٢٠٠٧، ومن ثمّ توسّعت لتطال معظم الدول الرأسماليّة الغربيّة، والصين والهند والدول النفطيّة وسواهم. الأزمة الماليّة في

الولايات المتحدة كبّدت الاقتصاد الأميركيّ حوالى ترليوني دولار مع نهاية العام ٢٠٠٨. وهذه الأزمة المستمرّة ستسهم في إشغال الولايات المتحدة داخليًّا من دون التدخّل أو الالتزام بتورطّات عسكريّة خارجيّة جديدة. ومن المرجّح بالتالي أن تنحو السياسة الخارجيّة الأميركيّة في اتجاه الـ de-escalation أو تنفيس الأزمات وليس تصعيدها، بما فيها أزمة لبنان، وفي تشجيع أصدقائها في لبنان على عدم التصعيد أو رفع سقف التجاذبات السياسيّة القائمة.

أمّا في ما يتعلّق بقضيّة فلسطين والصراع العربيّ- الإسرائيليّ، فحريٌّ أوّلاً أن نستشهد بالسلف، الرئيس بوش، لنقارنه مع الخلف أوباما. فخلال زيارة أيهود أولمرت الأخيرة إلى واشنطن في تشرين الثاني ٢٠٠٨، عاتب بوش ضيفه قائلاً: «لماذا تريدون إعطاء الأسد الجولان مقابل لا شيء؟» فأجابه أولمرت مشدّدًا بأنّ التخلّي عن الجولان «ليس مقابل لا شيء... إنّه مقابل تغيير في معادلة المنطقة الإستراتيجيّة»، تغيير يراه أولمرت إيجابيًّا بالنسبة لإسرائيل. ولكنّ بوش أصرَّ: «ولماذا تصدّقونه»، أي الأسد (هآرتس، ٣٠ تشرين الثاني، ٢٠٠٨). مواقف بوش هذه تشكّل مثالاً على كيف أنّ بعض إدارات الجمهوريّين في الولايات المتحدة يمكن أن تكون مَلكيّة أكثر من الملك عندما يتعلّق الأمر بإسرائيل، ومتزمّتةً تجاه العرب أكثر من تزمّت إسرائيل نفسها. ولولا تناغم إدارة بوش مع إسرائيل في العام ٢٠٠٦ لما شنَّت إسرائيل حربها على لبنان، أو أقلّه لما استمرّت تلك الحرب لثلاث وثلاثين يومًا، مع التشجيع على إطالتها علَّ وعسى أن تُحدِثَ تغييرًا في المعادلة العسكريّة على الأرض.

مواقف أوباما من الصراع العربيّ- الإسرائيليّ تبدَّلت عمّا كان يُنقل عنه منذ بضع سنوات، قبل أن يُنتخب عضوًا في مجلس الشيوخ الأميركيّ في العام ٢٠٠٤، حين كان يؤيّد حقوق الشعب الفلسطينيّ. ومع وصوله إلى مجلس الشيوخ خَفَتَ ذاك التأييد واُستُبدلَ بمواقف مؤيّدة لإسرائيل، وزيارات للدولة العبريّة، ووقفات عند حائط المبكى. والتعيينات التي باشر بها بُعيدَ انتخابه في ٤ تشرين الثاني الماضي لملء المواقع الرئيسيّة في إدارته، تعكس ميلاً واضحًا لاختيار أشخاص مؤيّدين لإسرائيل كمدير شؤون البيت الأبيض: اليهوديّ رام إيمّانويل المتطوّع السابق في صفوف الجيش الإسرائيليّ خلال حرب العراق الثانية ١٩٩١- ١٩٩٥ وقبلها خلال حرب إسرائيل في جنوب لبنان، أو هيلاري كلينتون وزيرة الخارجيّة الجديدة المعروفة بقربها من الساسة الإسرائيليّين وتأييدها للسياسة الإسرائيليّة. وعلى ما يتضّح، يبتغي أوباما تحصين نفسه باكرًا تجاه انتقادات محتملة من اللوبي اليهوديّ الأميركيّ لسياساته، خاصّة بسبب ما أشيعَ سابقًا عن مواقف له مؤيّدة للحقوق العربيّة، والتي عيّرته بها المرشّحة الجمهوريّة ساره بالين، وقنّص عليه من خلالها جمهوريّون آخرون أقلّ مرتبةً منها، مشيرين أيضًا إلى خلفيّته المسلمة خلال الحملة الانتخابيّة الرئاسيّة.

بقدر ما يشعر رئيسٌ أميركيّ بأنّه ليس لديه مجموعات ضغط قويّة ينكفئ إليها لشحذ التأييد لمواقفه عند الحاجة أو في أوقات الشدّة، بالقَدْر نفسه يستشعر ضعفه أمام اللوبي اليهوديّ في الولايات المتحدة. وهذا ما ينطبق على أوباما المتحدّر من أقليّة عرقيّة من أصل إفريقيّ، أكثر ممّا ينطبق على رؤساء آخرين أسلافه من ذوي الأصول الأنغلوساكسونيّة، والذين طالما استأثروا بمنصب الرئاسة الأميركيّة، في ما خلا الرئيس جون كنيدي المتحدّر من أصول أيرلنديّة- كاثوليكيّة.

من المستبعد تاليًا أن يعمل الرئيس أوباما على التحرّك قريبًا لإيجاد حلٍّ للصراع العربيّ- الإسرائيليّ أو الضغط على إسرائيل، خاصّة في السنوات الأربع القادمة، أي المدّة الرئاسيّة الأولى، لأنّ أيّ حلٍّ دائم أو شبه دائم لن يتمّ إلاّ بامتثال إسرائيل، ولو بالحدّ الأدنى، للقرارات الدوليّة ذات الصلة. أمّا إذا استطاع أوباما التجديد في ٢٠١٢، وكلّ الرؤساء يطمحون لذلك، فقد يكون عندها كلام جديد ومواقف جديدة، قد تؤدّي إلى الضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات. هذا طبعًا إذا استطاع العرب، في المقابل وفي الوقت الفاصل، تحسين قدراتهم السياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة من أجل التأثير في ميزان القوى الإقليميّة والدوليّة لصالحهم؛ وعندها يصبح صوتهم مسموعًا.

إنّ واقع السياسة الدوليّة هو أنّ ما يُحدِّدُ مواقف الدول والهيئات الدوليّة تجاه دولة أو منظومة ما، هو أوّلاً وأخيرًا عوامل القوّة الماديّة الذاتيّة لتلك الدولة، وليس تشكّي مسؤوليها في المحافل العالميّة. والعرب، بشكل عامّ، ما زالوا يفتقدون إلى العوامل الأولى ويتّكئون على عطفٍ أو لفتة من غربيٍّ بعيد، في انتظار فرَجٍ لا يتبدّى في أفق السياسة الدوليّة، وفي وقت يبقى فيه الغرب الخصم والحكم.

# من عنترة العبسيّ إلى باراك أوباما

شربل ح. شربل

من قلب عامر بالصّدق، و صدر مفعم بالشّجاعة،
من عينٍ مأخوذة بما ترى، وأذن مشغوفة بما تسمع،
من يد نُذرت للسّيف والكرم فلم تحمل ورقة وقلمًا،
من نفس أيقظها حبّ عبلة المحرّم،
من وجدان ألهبه شعاع الحرّيّة المقدّس،
من صوتي المتهدّج. ..
إلى العزيز باراك، سلام وتحيّة.

وبعد،
بتوق وشوق واكبت مسيرتك النّضاليّة، وخامرني الشّكّ في إمكانيّة فوزك، وخفت- نعم، عنترة وأخاف- خفت أن تفشل في الحصول على ترشيح حزبك. وعندما أزحت من دربك الشّقراء هيلاري، فرحت، ولكن لم أسجّل لك انتصارًا في معركتك حتّى رأيتك تهزم فارسًا محاربًا متمرّسًا (لا ممعنٍ هربًا ولا مستسلم )، فقرّرت أن أخرج عن صمتي لأهنّئك.

عزيزي باراك.
بيني وبينك تشابه.
تجمعنا الفروسيّة، وهي
نبل أخلاق سطعت في مسيرتنا المجيدة،
وفصاحة لسان تجلّت في خطبك السّاحرة و معلّقتي المذهّبة،
وقوّة ظهّرت حقّي وظهّرها إيمانك بحقّك.
وتجمعنا الغربة،
فأنت ابن مهاجر كينيّ، و أنا ابن أمة حبشيّة.
ويجمعنا اللون، وإن كنت أشدّ سوادًا منك.
ولئن فرّقنا العصر،
فأنا جاهليّ خرجت في بوادي نجد ومفازات الحجاز واحتكمت إلى السّلاح،
وأنت حضريّ عصريّ تخرّجت في هارفرد واحتكمت إلى القانون.
ولئن فرّقنا المكان،
فأنا شرقيّ وأنت غربيّ،
فإنّ ذاكرة الألم والمعاناة تجمعنا.

عندكم، كانت لافتات تقول (ممنوع دخول السّود والكلاب)
وعندنا قال الشّاعر (وليس سواد العبد يجلى بغسله وكلّ مياه الأرض ما طهّرت كلبا)
ولكن، دعني أبدي إعجابي بخطابك الّذي حرّضت فيه السّود على ( احتواء أعباء ماضينا من غير أن نصبح ضحايا لماضينا).

عزيزي
أعرف أنّ التّاريخ عبء ثقيل، وأنّنا بحاجة إلى معجزة حتّى نستطيع تحويله إلى رافعة.
لقد ناضلت فحرّرني شدّاد، ولكنّني كنت فردًا، ولم يكن شدّاد أبراهام لنكولن.
تزوّجت عبلة، ولم أُنسل أبطالاً.
وثار الزّنوج في البصرة و (دخلوها كأنّهم قطع الليل إذا راح مدلهمّ الظّلام)
فلم يبق من ثورتهم إلاّ ذكر المجازر التي ارتكبوها.
وأثرى النّخّاسون على مدى التّاريخ، كما يثري اليوم نخّاسو هذا القرن المتاجرون بالأعضاء الحيّة. ..فهل يدور التّاريخ في حلقة مفرغة؟

عزيزي
أنا لا أنسى نضالاتكم، وأرسل تحيّاتي إلى الرّياضيّ جيسي أوينز الّذي فاز عام ١٩٣٦ بأربع ميداليّات ذهبيّة في الألعاب الأولمبيّة في برلين، ففقأ حصرمة في عيني هتلر ونظريّة تفوّق العرق الآريّ.
وإلى روزا باركس الّتي رفضت التّنازل عن مقعدها في الباصّ لشخص أبيض، فجرّت تمرّدًا كبيرًا ومشرّفًا.
وإلى الشّهيد مارتن لوثر كينغ الّذي أرسى «الحلم»
وإلى محمّد علي كلاي ، وإلى القسّ جسّي جاكسون الّذي صار الأولاد السّود بعد ترشّحه يحلمون بالرّئاسة... وبالدّخول إلى البيت الأبيض رؤساء، بعد أن كان يقال «إنّ أيّ إفريقيّ أميركيّ لم يكن يحلم بدخول البيت الأبيض إلاّ إذا كان مطلوبًا لإجراء بعض التّصليحات فيه»
وإلى أبناء العمّ سام الّذين صوّتوا لك بكثافة، متعالين على نرجسيّتهم، مزعزعين جدار الفصل العنصريّ في خطوة تطهّريّة ناصعة البياض...

عزيزي باراك
وأنت على عتبة الدّخول إلى البيت الأبيض سيّدًا، تذكّر أنّ أمامك «تصليحات» كثيرة دعيت إلى القيام بها. فإذا أعوزتك الشّجاعة فلا تتأخّر عن الاتّصال بي على عنواني الدّائم:

**ولي بيتٌ عَلا فُلْكَ الثّريا تخرُّ لعِظَمِ هيبتِهِ البيوتُ**

# الشباب اللبنانيّ
## بين سؤال المستقبل وخطأ الاستقالة من الثورة..!

أ. د. جورج كلاّس

يلاحظ الناظر في مقاسات النهج الفكريّ للشّباب اللبنانيّ، في راهنيّة وضعه أنّ هذه الشرحة الركيزيّة من المجتمع تشوب مسارها ثنائيّة مأخوية لافتة، تشدّها إلى اتباعيّة نمطيّة رتيبة، في الرّغبة اللافتة بالولاء والفنيّة القصديّة، على قاعدة الاختباء، والخوف من المبادرة والهروب من الدور والتهرّب من المسؤوليّة..!

والتمييز بين (الولائيّ) الذي ينقاد إليه الشباب بطوعيّة سلبيّة، و(الاختبائيّ) الذي يحاذرون مواجهته أو التصدّي له، ليس من ممكنات حاضرهم المجتمعيّ، لأنّ عناصر النماء عندهم، يخفّف من اندفاعيتّها، انشدادُها إلى الماضويّة والتكراريّة، حيث يقضي ترهين العناصر العقلانيّة، على التنويعات الإبداعيّة المتنامية، ويقلّل فرص الارتقائيّة التطوّريّة، التي هي في أصل مركزيّات البناء الفكريّ للمجتمعات المنفتحة والجماعات المنقبضة، بمختلف مستوياتها وأنواعها وتوجّهاتها وفلسفاتها الكيانيّة، الناظمة لجدليّة العلاقة بين المنقضيات ومتروكاتها، والآنيّات وتفاعلاتها، والمستقبليّات ومأمولاتها.

فالطبقة الشابّة- النامية، ترتاح بغالبها خطأ، إلى استنساخ غيرها، وإلى حياديّتها في رسم قواعد إبداعاتها الذاتيّة، قانعةً بالترسيمات التي تتّبعها، محاذرة جوانب التعدّد، وراضية بالتشامل الذي يحيلها رقمًا إضافيًّا يزيد من منسوب الولاءات الإصطفافيّة، ويعزّز رصيد روّاد التيّارات الماضويّة في التفكير والسلوك، من قادة وزعماء، الذين يصوّرون المستقبل لأتباعهم ومريديهم والمعجبين بأدائهم، بوصفه استعادة لأزمان ذهبيّة ماضية، وكأنّ (غَدَ الفكر)، في قاموسهم، لا يخرج عن إحياء أمسهم العتيق والمبنيّ على فهم دائريّ لحركيّة الزمن، الذي تقوم فلسفته على فرضيّة أنّ الزمن يتكرّر بمحوريّة بطيئة الدوران حول نفسها، وهذا ما يجعل بعض شبابنا النامي يرون مستقبلهم في انعكاسات ماضيهم الذي يرتاحون إليه، إمّا لأنّهم لم يتعرّفوا إلاّ عليه، أو لأنّهم اعتادوا ألاّ يروا غيره، أو أنّهم يقنعون بحاضرهم الوضيع، لأنّه لم يتيسّر لهم الإطلالة إلاّ عليه، لأنّهم إتّباعيّون بالممارسة وولائيّون طوعيًّا، ولأنّهم حزبيّون بلا ثقافة، تعوزهم قَوْلة الـ(لا) وتقنيّة الرفض البنيويّ لكلّ ما يشكّون بصوابيّته، بمثل ما تنقصهم حريّة الاعتراض ومسؤوليّة النقاش وجرأة طرح (السؤال)، أو أقلّه الإقدام على (التساؤل)، بما يمكّنهم من اكتشاف مواقعهم على جغرافيّة مصالح الغير، وتحديد أمكنتهم على خارطة نفوذ القابضين على آرائهم، بحيث أنّهم ينفّذونَ الأوامرَ غريزيًّا، من دون أن يفكّروا في كثير من الأحيان بمَن أعطى التعليمات ولماذا، الأمر الذي يجعلهم يكتشفون أنفسهم فجأة، أنّهم هامشيّون خارج دائرة الاهتمام، ومُبعَدون عن سلطة القرار، وليس مسموح لهم إلاّ أن يكونوا رقمًا في تراكميّة رصيد زعامة هذا الزعيم أو ذلك المتنفّذ.

* * * * *

هذا الواقع الصعب، الذي يعيشه بعض مجتمعنا الشبابيّ الفاقد لمستقبله، يطرح مشكلة بنيويّة في المسار التطوّريّ لبناء الفكر الانسانيّ الشابّ، إنطلاقًا من قضيّة (التصادميّ) بين أمس الشباب الذي يستمرّ فيهم وغَدِهم الذي يهرب منهم، ذلك أنّهم ليسوا أبناء حاضرهم كما يجب، أو أنّه على الأقلّ، ليس في حاضرهم اليوميّ المنسوب الكافي من الفعل الوجوديّ والزخم التغييريّ، الذي هو ركيزة التطوّر الطبيعيّ والنموّ التدّرجيّ للشعوب، وأسلَبَة التآلف اللحظويّ مع المتغيّرات الفكريّة والسلوكيّات العلائقيّة، التي تشكّل الانعكاس المباشر لتلاقي الفعل الإندماجيّ بالقصد التطوّيريّ والتدّرجيّ بعيدًا عن هَوَس الإنقلابيّة التبديليّة، الحاملة بذور التدمير والرافضة لإكمال مسيرة البناء الفكريّ والحضاريّ، من حيث وصل إليها الأسلاف.

* * * * *

إنّ توصيف المرحلة، لا يعني الحكم على الحالة، ولا يحتمل ذلك إطلاق الاتهامات والغوص في التنظيرات

من دون اتّباع التشخيص بمبادرة إسهاميّة مثلّثة المستويات، من شأنها إذا ما تكاملت عناصرها، بنمطٍ استداميّ دائريّ الاهتمام، أن تخفّف من وطأة الإنتقال الضروريّ من وضعيّة الجمود والوقوفيّة، إلى حركيّة الفعل التحرّريّ، والانخراط في مشروع البحث عن الذات، والاصرار على اكتشافها وإيجاد أرضيّة صالحة، لأن يوظّف القطاع الشبابيّ انتظاراته فيها، وفق مفهوم إصلاحيّ- ذاتيّ يوازن بين (ماهم عليه شباب اليوم) وبين (كيف يجب أن يحضروا من جديد؟).

وتتدرّج مستويات المبادرة الاسهاميّة للفعل التغييريّ في مراتب، تتكامل فيها الرغبة بالاتّعاظ من الماضي، وفنيّة عيش الحاضر العصريّ، وقرار التطوّر المستقبليّ. ويكون ذلك من إمتلاك القدرة على:

- أ. **معالجة القضيّة الوضعيّة**، عن طريق التوصيف الدقيق، وحُسن التشخيص وتقديم العلاجات الشفائيّة، التي تتدرّج من المداواة إلى الاستئصال. وهذا هو **المستوى العلاجيّ الوضعيّ**.

- ب. **الارتقاب الوقائيّ**، والتهيّؤ للانتقال إلى حالة متقدّمة، والاستعداد لتقبّل الملاحظات الإيعازيّة لتدارك الأخطاء قبل الوقوع فيها. وهذا هو **المستوى العلاجيّ- الوقائيّ**.

- ج. **الفرضيّات الإستباقيّة**، والقدرة على التخيّل وطرح الفرضيّات التي تؤسّس لإنطلاقات مستقبليّة مغايرة للتقليد وطارحة للتجدّد والتغيير، ارتكازًا إلى أنّه على الشباب أن يحلموا ويفترضوا ويوازنوا بين الممكن والمستحيل، ليبنوا انتظاراتهم، ويعيشوا رؤاهم، ويتّخذوا قرارهم الحرّ باستقلاليّة تامّة بعيدة من الضغوطات والأفكار الآسرة.

إنّ الحرص على حقّ الشباب بالتطوّر والاختلاف والتنوّع، لا يحرمهم فرص التمايز، وإيجاد مساحات للحضور الدائم المستجيب لطموحاتهم، بل إنّه إلى ذلك، يؤكّد على احترام عقل الشباب وكرامة الأجيال، ويحرّض على نزع «القدسيّة» عن كلّ فكرة ملبوسة، وإعادة النظر بالموروثات التي اعتادت بعض الفئات الشبابيّة التعايش معها، والتطبّع بأخلاق المورّثين، الذين يمتدّ حضورهم في الزمن من خلال وجود «السابق» في «اللاحق»، لأنّ الشابّ لا يعيش اليوم، (الحقيقة المطلقة) أو (الحقيقة المحترمة)، بل أنّه مقيّد (بحقيقة المتبوعيّة)، التي يغيب ويتماهى فيها وهو مشدود بكليّته إلى (الحريّة الممنوحة) والوجبة المسموح بها، ما يجعل جزءًا من خطاب الشباب موجّهًا إلى **السامع الواحد**، الذي هو السلطة المتمثّلة بالزعيم الفارض ولاءه على مريديه الإراديين، وأتباعه الانقياديين، الأمر الذي يجعل عمليّة التصادم المفترض والطبيعيّ بين الأجيال معدومًا، قياسًا على غياب حريّة الرفض وثقافة الاعتراض التي يستحيل معها حضور الشباب، إلى (صدى) وترجيعات، بدل أن يكونوا هم (الصوت) والفعل التغييريّ الطبيعيّ.

فالسمة الغالبة لشباب اليوم، أنّهم قانعون بالدور المعطى لهم، وأنّهم تمرّسوا على **فنّ الاستقالة من الثورة**، وهذا من أخطر المسالب، التي تظهر في السلوكيّات العامّة لهذه الشرحة من المجتمع، لأنّ الحراك الفعليّ في مسار الشعوب إنّما يكمن في الثورة على الذات الكبرى. وهذا ما يفسّر الهدف من الرغبة في تربية **الشباب على الثورة**، وفق قواعد **الحقّ بالثورة، وواجب الثورة**، وضروراتها البنائيّة في عمليّة التوازن الاجتماعيّ القائم على فنيّة الأخذ من السلف والتأثّر بالموروثات، وأصول التعاطي مع الحاضر والفعل فيه، ولزوميّة التأثير في المستقبل والاسهام في صنعه، إكمالاً لمبدأ النشوئيّة الارتقائيّة الراسخة بالمواضي والمتفاعلة مع الآنيّ والراسمة للمستقبليّات وآفاقها.

فالتربية **على الثورة**، تبدأ بعمليّة التشجيع على تحديث الفكر الشبابيّ، وتدريبه على أصول النقد البيئويّ، والتقويم الذاتيّ للأمور، بحيث يصبح الشباب أقدَر على فَهمْ مردوديّة أفعالهم، وقياسها بمقاسات التقدّم الطبيعيّ، وتدريبهم على اكتشاف (الأنا الحرّة)، و(الأنا الواعية) و(الأنا الشريكة) و(الأنا المسؤولة)، وحضّهم على الإقلاع عن التقليد الإنصياعيّ للمثال والمُحتذى الذي يحول دون تمكين الأجيال من إنتاج زعامات وقيادات ومُثل شابّة حاملة لبذور التطوّر بذاتها، من دون استيرادٍ عشوائيّ للأفكار، أو استيلاءٍ كسول للنهج الإتباعيّ، بإصرار مؤكّد على دور التربية على النقد الذاتيّ، في مشروعيّة حماية العبقريّة من الجموديّة، والحضّ على أن يأخذ الشباب دوره المستقل، وأن يقوم بواجبه في صناعة الغد والتفاعل مع ظروفه وحيثياته، بعد تدريبه على كيفيّة امتلاك الكثافة في التفكير، والبساطة في التعبير، وتعليمه أسس المواجهة، واستراتيجيّة النقاش المنهجيّ والتفاعليّ، وقواعد الاستفهام والفَهم والإفهام، استكمالاً للدور المأمول منه، في تقعيد المفاهيم الفكريّة والعمليّة الكافلة للانتقال النظاميّ في مأسوريّة الأمس إلى تحرّريّة الغد...!

# تنمية المواطنيّة في المدارس والجامعات

عبدو القاعي

## مقدّمة: السؤال

إذا كنّا نريد أن نعيد تثبيت الأمن الاجتماعيّ في لبنان وفي المنطقة العربيّة ككلّ، وأن نساعد شبابنا على الارتقاء إلى المتطلّبات المدنيّة للعيش معًا في مجتمعات حقوقيّة معاصرة، علينا أن نعلم أنّ هذه المجتمعات، إذا أوجدناها، هي في جوهرها مجتمعات، تبني وحدة كيانها على أساس تبادليّ بين مواطنين تجمعهم المساواة في الحقوق الواحدة أكثر من تعزيزها للوحدة الناتجة عن العلاقات المتماسكة عضويًّا على أساس انتمائيّ عبر الزمن. فهذه المجتمعات هي في حاجة:

- إلى الفرد كشخص حرّ مستقلّ ومسؤول، قادر على تحقيق ذاته والتفاعل مع محيطه لجهة كونه مواطنًا مشاركًا في نصّ القوانين الجماعيّة وتطبيقها.
- وإلى الجماعة كرابطة شراكة مبنيّة على الموافقة والاقتناع.
- وإلى الثقافة كطاقة استنباط لقيم لا تتغيّر في عمق جوهرها ومعانيها، لكنّها تنتهج وسائل تعبير عن أبعادها الانسانيّة متعدّدة ومتنوّعة.
- وإلى الدين كخيار روحانيّ يرتكز في الأساس على الهوادة والمسامحة وقبول الغير.
- وإلى التقليد كإعادة إحياء لأمثلة رائدة في ترجمتها لإنسانيّة الإنسان، عبر ارتباطها مع زمانها ومكانها.
- وإلى الخلق والإبداع والتحديث كوسائل أساسيّة تساعد على تحقيق الذات وتطوير المجتمع.
- وإلى الوطن كأرض وشعب وكيان يربط فيما بينها المشروع المشترك والحقوق الإنسانيّة والقوانين والأنظمة والمصالح المشتركة أكثر من الانتماء المشترك.
- وإلى المدى العام كترجمة للمصلحة المشتركة التي تبنى على أساسها الجاذبيّة نحو الداخل عبر المساواة في الحقوق المشتركة، كما يبني الانفتاح التواصليّ مع الخارج عبر شبكات التبادل التجاريّ والحضاريّ على جميع الأصعدة.

**فأيّة تربية في المدارس والجامعات من أجل تنمية الحسّ المواطنيّ وتحرير العمل السياسيّ الديمقراطيّ؟**

إستجابة للنداءات المتزايدة، الصادرة خاصّة عن الأمم المتّحدة وعن هيئات ومنظّمات المجتمع المدنيّ، على الصعيدين المحلّيّ والعالميّ، والتي تدعو إلى البحث عن السبل والمعايير والوسائل لإعادة بعث المواطنيّة والقيم المجتمعيّة وخلقيّات الحياة والغيريّة، تمهيدًا لبناء جيل جديد من الممأسسين لحياتهم المجتمعيّة والروحيّة بانفتاح إنسانيّ مطلق وكلّيّ في عالم كسر حدود المكان وأهله يبحثون أكثر عن الارتباط بمكانهم وتراثهم وثقافتهم، طرح المركز اللبنانيّ للأبحاث المجتمعيّة في جامعة سيّدة اللويزة رؤى للتربية على المواطنيّة في المدارس والجامعات، ألخّصها في ما يلي بالآتي:

### ١. في المنطلقات القيميّة

ما يمكنني قوله، نتيجة لأبحاث الشأن العامّ والأبحاث المجتمعيّة الأخرى التي قامت بها الجامعة بإشرافي، أنّه لا خوف اليوم على القيم والأخلاق في لبنان من التوجّهات الراهنة حاليًّا عند اللبنانيّين؛ بل يتوجّب علينا أن نخشى على اللبنانيّين بصورة عامّة، وعلى الشباب بصورة خاصّة، من المفاهيم الأخلاقيّة التي تدفع إلى قيم الطاعة والقطعانيّة أكثر ممّا إلى

القيم التي تركّز على استقلاليّة الشخصيّة والمسؤوليّة والانفتاح على الغير.نحن اليوم في عصر العولمة. وأصبح لزامًا علينا أن نعي أنّ الصراع القائم على أساس الخيارات القيميّة المختلفة للتوجّهات الحضاريّة والثقافيّة هو فعلاً صراع بين دول تنتهج التمييز بين الناس بشكل مسبق على أساس انتماءاتهم، قبل أن يحدّدوا هم ذاتَهم في خياراتهم الحضاريّة. فنحن اليوم أمام مفصل أو مفترق خطير:

فإمّا أن نعيد تركيز المجتمع الانتمائي العشائريّ على قاعدة الانصياع للسلطة والطاعة والقطعانيّة والعائليّة (أي الرجوع إلى العائلة كمرجع حماية)، إنطلاقًا من رغبتنا الصادقة في إعادة اعتبار القيم التي بدأت تتزعزع عند الناس،

وإمّا أن نصغي أكثر إلى ما كان يحاول الشباب أن يتّجهوا نحوه فرديًّا ومجتمعيًّا، ونركّز بصورة أوفر على قيم التحرّر، عبر تنمية استقلاليّة الشخصيّة والمسؤوليّة والخلق والإبداع والانفتاح على الغير، كما وعبر التشديد على المحظورات التي تمسّ بنزاهة الفرد وصدقيّته وعلاقته المسؤولة مع الغير ومع الجماعة أكثر من تلك التي تركّز على العادات والتقاليد في إطار انتمائيّ ضيّق.

ما أدعو إليه اليوم هو أن نولي جهدًا أوفر إلى إعادة النظر في القواعد الأخلاقيّة الراهنة التي تحدّد ما هو مقبول وما هو مرفوض، ليس لتبرير ما هو ممنوع وتهميش ما هو مطلوب قيميًّا، إنّما للدخول في عمق المفارقة التي تربط القيم الراهنة بالتطلّعات القيميّة الجديدة في عالمنا العربيّ وبالمشروع القيميّ الانسانيّ في إطار مجتمعيّ حديث؛ مع العلم أنّ الحداثة تتحدّد على محور الاستقلاليّة والمسؤوليّة في إطار تبادليّ أكثر ممّا على محور الطاعة والتهذيب في إطار علائقيّ عائليّ.

من هنا، لزوم انتهاج وسائل التطبيع في عالمنا التربويّ. ولا أعني بالتطبيع هذا تطبيع المتمايزين عمّا هو قائم من قواعد ونظم، إنّما تطبيع هذه القواعد والنظم نفسها، أي إعادة النظر دومًا في طبيعتها وتقييمها من موقع حاجات تطوير إنسانيّة الإنسان وفقًا لمتطلّبات الحياة العصريّة التي تنتهج الحريّة والمسؤوليّة في إطار التكنولوجيا الحديثة والحراك المجتمعيّ المستمرّ الذي تفرضه هذه التكنولوجيا.

### ٢. في البرنامج

بناءً على ما سبق، يمكن القول إنّ التنشئة على المواطنيّة هي تنشئة مجتمعيّة ومدنيّة ووطنيّة وإنسانيّة تتكامل جوانبها لتهيّىء الانسان والمجتمع معًا على الممارسة المدنيّة. تطمح هذه التنشئة إلى تنمية المدنيّة في المدينة والريف، وفي المجتمع والوطن، من خلال مظاهر تعبير متنوّعة عن الارتقاء الإنسانيّ. وتتحدّد معالم هذه التنشئة في أوجه ثقافيّة متعدّدة ومترابطة عضويًّا. من أهمّ هذه الأوجه الثقافيّة، نذكر:

- الثقافة الشخصيّة ومساواة الآخر بالذات، وبخاصّة المرأة بالرجل.
- ثقافة البيت كمكان للتواصل الإنسانيّ الحميم والحرّ، وكمنطلق للانفتاح على الآخرين والمجتمع.
- ثقافة الأسرة والعائلة كمحيط طبيعيّ أساسيّ لبناء الصلة الاجتماعيّة ذات الطابع الخاصّ، وكمنطلق لبناء الصلة الاجتماعيّة المجتمعيّة العامّة.
- ثقافة الحيّ حيث تبنى أولى الروابط بالمكان الاجتماعيّ والمساحة العامّة.
- ثقافة المدينة والريف معًا، (ترتيب العمران وتنظيم المدن: إنسان، أرض، مجتمع، بيئة).
- ثقافة المجتمع والمؤسّسات: الرموز، القواعد الحياتيّة، الجماعات المتنوّعة... الصلة الاجتماعيّة.
- ثقافة الوطن (الشأن العامّ والهويّة العامّة): بناء الهويّة إنطلاقًا من وحدة القوانين ووحدة الشعب، فالمواطن الذي ينطلق من خصوصيّته الساخنة، ومن دون أن يتخلّى عنها، يبني هويّته العامّة المرتكزة على الرموز المشتركة والتطلّعات المجتمعيّة المشتركة والذاكرة المشتركة والمصالح المشتركة والتطلّعات

المجتمعيّة المشتركة والقوانين والأنظمة والاتّفاقات والمواثيق والدساتير والعهود.
- ثقافة المشاركة السياسيّة ديموقراطيًّا.
- ثقافة الجمعيّات وحقّ الشراكة.
- ثقافة النقابات والدفاع عن حقوق العمّال والمهنيّين.
- ثقافة الإعلام والإعلان.
- ثقافة المدرسة والمؤسّسات التربويّة؟
- ثقافة التنمية البشريّة المستدامة والمساواة (تحقيق الإستقلاليّة وتمتين الصلة الاجتماعيّة المجتمعيّة).
- ثقافة البيئة الجامعة الشاملة للحياة.
- الثقافة الصحيّة.
- ثقافة العمل.
- الثقافة السكنيّة والإسكانيّة.
- ثقافة النقل والانتقال والتواصل.
- ثقافة المؤسّسات الاقتصاديّة.

### ٣. في المنهجيّة

**أ. هي تنشئة تستند على استكشاف مقوّمات المجتمع والوطن والانسانيّة من منظورات ثلاثة:**
- منظور حقوقيّ وقانونيّ في إطار مواطنيّ.
- منظور قيميّ خلقيّ أخلاقيّ لتحقيق الاستقلاليّة، وتمتين الصلة الاجتماعيّة المجتمعيّة والمدنيّة والإنسانيّة معًا.
- منظور علميّ ونقديّ لمواجهة الأفكار المسبقة بالبرهان والتحليل والفكر المعلّل.

**ب. وهي تنشئة تستند على البحث والمشاركة**
- في الأسرة وحياة الأسرة.
- في المدينة وحياة المدينة.
- في الجماعة وحياة الجماعة.
- في القوانين والأنظمة وفي المؤسّسات العامّة والمشاركة في تطويرها.
- في الشأن العامّ كأساس في بناء المواطنيّة.
- في البيئة والمشاركة في حمايتها وتثميرها للحفاظ على نوعيّة الحياة.
- في البلدية والمشاركة الوطنيّة في الشأن العامّ.
- في الديموقراطيّة وسبل تحقيقها في مسارات اتّخاذ القرار.
- في القيم وسبل إبرازها في الحياة الخاصّة والعامّة كالتزام خلقيّ مرتبط بتطوير إنسانيّة الإنسان.
- في القضايا الإنسانيّة وسبل مقاربتها.
- في القانون الدوليّ والحقوق الدوليّة وحقوق الإنسان (حقوق الطفل وحقوق المرأة وحقوق العمّال)... وسبل إبرازها والنضال من أجلها.
- في العمل وسبل توفيره للجميع في العالم المعاصر.

### ٤. في التكوينات الطلاّبيّة الملائمة للتربية على المواطنيّة في المجتمعات المعاصرة

بالاستناد إلى عناصر برنامج التربية على المواطنيّة المقترح أعلاه،

إذا نظرنا إلى أنواع المواجهات الطلاّبيّة في العالم المعاصر، يتبيّن لنا أنّ هناك أربعة أنواع بارزة في المواجهات مرتبطة بالمواجهات الحزبيّة، هي:
- المواجهة بين الديمقراطيّين والجمهوريّين (أميركا الشماليّة USA)
- المواجهة بين العمّال والمحافظين (إنكلترا مثلاً)
- المواجهة بين اليمين واليسار (فرنسا، ألمانيا...)
- المواجهة بين الوطنيّين القوميّين والوطنيّين الديمقراطيّين، إيدولوجيًّا، دينيًّا أو عرقيًّا (لبنان والمنطقة العربيّة).

وإذا حاولنا أن نربط بين هذه المواجهات والمشكلات الحادّة الراهنة، يتبيّن لنا أنّ هناك حلقات أساسيّة ضائعة بينها إلى درجة عدم الارتباط والغربة الكاملة.
- فليس من حزب فعليّ يحمل مشروعًا سياسيًّا كليًّا للتنمية المستدامة ونوعيّة الحياة، ويسعى إلى إعادة التكوين الاقتصاديّ إنطلاقًا من مستلزمات نوعيّة الحياة، وليس العكس.
- وليس من حزب فعليّ يسعى لتطوير العلم والعمل معًا، وللبحث عن وسائل جديدة للاستقرار المهنيّ، ويعمل على إعادة بناء التكوين الاقتصاديّ انطلاقًا من

مستلزمات العلم والعمل، وليس العكس.

- وليس من حزب فعليّ يطرح اليسار كنقد بنّاء في إطار البحث عن سبل جديدة لتحقيق المساواة من خلال تنشيط المواطنيّة الفاعلة والمسؤولة. فالمساواة اليوم، لا يمكن تأمينها عبر إعادة توزيع رأس المال المنتج، إنّما في إخضاع رأس المال غير المنتج لعمليّة العمل والانتاج، ولترتيبات العدالة الاجتماعيّة والضمانات التابعة لها.
- وليس من حزب فعليّ يطرح مبادىء مجتمعيّة حقوقيّة ومدنيّة إنسانيّة تتخطّى حدود الأوطان لتطول حركة الاقتصاد والعمل الحقيقيّة، ولتواكبها بترتيبات حقوقيّة ومجتمعيّة ومدنيّة تجمع بين الأوطان.

فلو وُجدت هكذا تكوينات حزبيّة اليوم، لكانت تمكّنت من تكوين مساحات فعليّة للمواجهة مع قوى المحافظة على امتيازات الماضي الراهنة، ولكانت أفسحت في المجال أمام تحرّكات مستقبليّة إيجابيّة تحقّق انفتاحات داخل حالات الضباب الراهنة.

بناءً عليه، يُطلب من التنظيمات الطلّابيّة المطالبة بتربية ملائمة على المواطنيّة من أجل إعادة تنظيم الحياة السياسيّة، إنطلاقًا من تحرّكات مناسبة في الجامعات والمدارس.

## خلاصة

في خاتمة الجزء الأوّل من كتابي الذي صدر منذ أربع سنوات في منشورات جامعة سيّدة اللويزة، تحت عنوان: «على درب المدينة هموم وأحلام»، توجّهت إلى الشباب داعيًا إيّاهم إلى المساهمة من خلال تنظيماتهم الطلّابيّة في مشاريع خمسة هي:

- مشروع المعرفة للتحرّر من الأفكار المسبقة في عمليّة تحليل فكريّ ووجدانيّ، تساعد على الارتقاء إلى أقصى درجات السموّ الإنسانيّ، وعلى بلوغ الحريّة في الرأي والتعبير والخيار.
- مشروع بناء المثاليّة الجماعيّة، في أبعادها الإنسانيّة والمجتمعيّة، على طريق البحث عن غيريّة الذات والاعتراف بالآخر.
- مشروع تحقيق المساواة في المجتمع عبر الاصغاء إلى الضعفاء، وتمكينهم، وتقديرهم كقيمة مطلقة، وإعطائهم ما فينا ليقووا بما فيهم.
- مشروع تطوير نوعيّة الحياة على طريق حماية مواردها، وليس فقط على طريق الاحتماء من أضرارها ومن حاملي سمومها.
- مشروع بناء القيادة والسلطة في المجتمع على طريق خدمة القويّ للضعيف والتخلّي عن اقتداره، ليقوى الضعيف في سلطته الذاتيّة.

فيا شباب بلادي، هذه المشاريع تبقى صعبة التحقيق، إذا لم يتمّ التركيز عليها من خلال تنشئة إنسانيّة شاملة تتناول المدنيّة والمواطنيّة في أبعادها الحقوقيّة والقيميّة والفكريّة النقديّة، ومن خلال الممارسة اليوميّة في حياة المجتمع في إطار تنظيماتكم المدنيّة وبخاصّة الطلّابيّة منها.

LABISE

**Laboratory Instrument & Science Equipment**
LABISE s.a.r.l.

Str. 122, bldg. No.8
FANAR, Main Road
P.O.Box 90-1237-area code 1202 2100
Lebanon
Tel: 961 1 875556 - 961 1 875557
Fax : 961 1 875558
e-mail: labise@terra.net.lb
labise@wise.net.lb info@labise-lb.com
website: www.labise-lb.com

# بيروت القديمة: خاناتها وقيساريّتها ومسارحها

طمسَ وسطُ بيروت الحديث المعالمَ البارزةَ من بيروت القديمة. وفي ما يأتي صورةٌ عن خاناتها وقيساريّاتها ومسارحها

جان م. صدقه

## خاناتها

في القرن التاسع عشر، لم يكن في بيروت فنادق، بل خانات ينزل فيها المسافرون مع خيلهم ودوابّهم. وأشهر تلك الخانات: خان أنطون بك الذي بُني سنة ١٨٦١، وخان فخري بك في آخر سوق الطويلة؛ وهما متجاوران في المحلّتين المعروفتين باسميهما قرب نهاية شارع اللنبي. ويقال إنّ ابراهيم باشا جلب فخري بك معه من مصر، وعيّنه متسلّمًا على بيروت في العام ١٨٣١.

من الخانات القديمة خان الوحوش الذي أنشأه الأمير فخر الدين المعنيّ الثاني، وخان الملاّحة الذي بناه الأمير ملحم في محلّة المرفأ، وخان الحلواني قرب جبّانة المصلّى، وخان طاسو في آخر سوق باب يعقوب، وخان الصاغة في سوق البازركان، وبجانبه خان الأمير منصور، وخان الدبّاغة في محلّة الدبّاغة، وخان الأروام أو خان بني بسترس في محلّة الدبّاغة، وخان السادات بيهم أو خان الجرينة في سوق الطويلة، والخان الصغير في محلّة الباشورة، والخان الجديد أو خان البربير بالقرب من خان الشونة وخان الملاّحة، وخان الكنفاني في محلّة القيراط الذي بُنيت على أنقاضه سينما أمبير، وخان الشرتوني الذي بُنيت على أنقاضه سينما روكسي، وخان محمود أحمد الذي بُنيت على أنقاضه سينما دنيا، وخان النقّاش أو خان البرج لقربه من برج الكشّاف وعُرف لاحقًا بخان حمّانا أو خان المتن الذي بُنيت على أنقاضه سينما متروبول، وخان البارود في سوق الحدّادين، وخان قرنفل في سوق العطّارين، وخان الأمير منصور الشهابيّ، وخان الجديد، وخان الحلاّج، وخان الصيفي، وخان أسعد رعد، وخان بولس طراد عند بوابة الدبّاغة، وخان سعيد وعبدالله العلايلي قرب جامع الأمير منذر، وخان التيّان قرب برج الكشّاف، وخان الأصفر في محلّة الدحداح، وخان المزّيكة أي الموسيقى بالقرب من باب يعقوب، وخانات ثابت وسرسق والزهّار في محلّة الباشورة، وخان المير أمين في محلّة الغلغول، وخان فارس أفندي في محلّة الميناء، وخان فرج الله في ميناء الحصن، وخان سيور في محلّة الصيفي.

## قيساريّاتها

أقام الأمير يوسف قيساريّة الصاغة، والأمير سليمان أبو اللمع قيساريّة البارود، والأمير يونس القيساريّة المعروفة باسمه، والشيخ عبد السلام العماد قيساريّة في رأس سوق العطّارين، والشيخ شاهين تلحوق قيساريّة قرب القيساريّة العتيقة الخاصّة بأمّ دبّوس زوجة الأمير أحمد الشهابيّ، وهناك أيضًا قيساريّة رمضان داخل المدينة، وقيساريّة التوتة في سوق البازركان.

## مسارحها

**مسرح زهرة سوريا أو مسرح فاروق**، أسّسه سليم آغا كريديّة وسليم آغا بدر في وسط ساحة البرج، تجاه سوق الصاغة، سنة ١٨٩٦، على اسم أحد أسماء بيروت في القرن الثامن عشر. تحوّل المسرح إلى سينما سنة ١٩٠٩. اشتراه عفيف كريديّة في سنة ١٩٤٥ وأطلق عليه اسم مسرح فاروق، ثمّ بدّل اسمه إلى مسرح التحرير. صنّفه النقّاد بأنّه المسرح السياسيّ الأوّل في لبنان.

**مسرح الكريستال**، أسّسه الآغا سليم كريديّة في مطلع القرن الماضي سنة ١٩٠١، خلف ساحة البرج ما بين الموقع القديم لمسرح فاروق ومركز الشرطة العثمانيّ. استقبل هذا المسرح أشهر الفرق المسرحيّة العربيّة والعالميّة، وأُقيمت فيه مناسبات وطنيّة متعدّدة. تحوّل إلى سينما سنة ١٩٢٢، توقّفت فيها العروض مع بداية الحرب اللبنانيّة سنة ١٩٧٥.

**المسرح الجديد**، أسّسه الآغا سليم كريديّة سنة ١٩٠٩ في شرقيّ منطقة ساحة العسّور أي ساحة رياض الصلح لاحقًا. تحوّل إلى سينما سنة ١٩٢٤ باسم «المنظر الجميل». وفي سنة ١٩٣٧ تحوّل إلى مقهى «فلسطين».

وقد أسّس الآغا سليم كريديّة كذلك **مسرح وسينما الديك** جنوبيّ ساحة البرج سنة ١٩٠٩، والذي حوّله لاحقًا لطف الله الحكيم إلى ملهى الباريزيانا، و**مسرح وسينما «شيدوڤر»** «**chef d'oeuvre**» في طريق الشام سنة ١٩٢٠ وتبدّل اسمها لاحقًا إلى **سينما «رويال»** بعدما انتقلت إدارتها الاستثماريّة إلى نقولا قطّان وجورج حدّاد. ويقول زكريّا حفيد الآغا كريديّة إنّ جدّه كان يختار أسماء المسارح من أسماء خيوله التي كان يمتلكها؛ فالكريستال، مثلاً، هو اسم أفضل أحصنته، والديك هو اسم حصانه الخاصّ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى اسم «المنظر الجميل»، أمّا اسم «الشيدوڤر» فيعود لأوّل سيّارة بخاريّة دخلت العاصمة، وكانت ربّما للسفير الأميركيّ أو البريطانيّ.[١]

**كوكب الشرق**، أسّسه سبع شاهين على طريق الشام القديم يطلّ على ساحة البرج من الجهة الغربيّة، سنة ١٨٨٦، كفندق أو «خان»، وتحوّل إلى مقهى للحكواتي سنة ١٩٠٩، ثمّ إلى مسرح سنة ١٩٢٥.

**مسرح الأمبير**، أنشأه الحاجّ كنفاني في ساحة البرج سنة ١٩٠٤ كخان، وحوّله جورج حدّاد ونقولا قطّان سنة ١٩٠٢ إلى مسرح، ثمّ إلى سينما سنة ١٩٢٩. أُزيل سنة ١٩٩٥.

**التياترو الكبير**، وهو مبنى يمتاز بهندسته الإسلاميّة. ويمثّل كلُّ رأس من رؤوس الأعمدة في المبنى نوعًا من الفاكهة. أنشأه جورج ثابت سنة ١٩٢٧ في ساحة البرج بإشراف وتصميم المهندس يوسف أفتيموس، ومساعدة المندوب السامي الفرنسيّ، وقد غنّى فيه محمّد عبد الوهّاب، وأمّ كلثوم، ومثّل على خشبته يوسف وهبي. تحوّل سنة ١٩٤٥ إلى دار سينمائيّة. انتقلت ملكيّته لاحقًا إلى غبريال المرّ.

**المسرح الوطنيّ**، أسّسه نزار ميقاتي ووجيه رضوان وحسن علاء الدين جوني المعروف باسم شوشو، سنة ١٩٦٥، بعدما استأجروا سينما شهرزاد من صاحبها أنطوان شويري وحوّلوها إلى مسرح يوميّ باسم المسرح الوطنيّ؛ واستمرّت العروض إلى سنة ١٩٧٥.

**مسرح وسينما البيكاديللي**، أسّسه الأخوان خالد وهاشم عيتاني والسيّد محمود ماميش سنة ١٩٦٧. شهد عروضًا فنّية عديدة، من أبرزها أعمال الأخوين رحباني...

(١) **مسارح بيروت وتواريخها**، ص ١٠١.

# الصين: من القوّة الاقتصاديّة إلى القوّة الرياضيّة

د. لويس حبيقة

من شاهد الألعاب الأولومبيّة، كبر قلبه بهؤلاء الشباب والشابّات الذين ركضوا وسبحوا وقفزوا... بروح تنافسيّة كبرى وفعاليّة لا مثيل لها، ما أشار إلى وعي كبير ورغبة في الفوز، تحقيقًا لانتصارين شخصيّ ووطنيّ. من شاهد الفائز في الميداليّة الذهبيّة يتسلّمها ودموعه تنهمر مع عزف نشيد بلاده، يكبر عقله أيضًا. فالفوز يتطلّب ليس فقط الجسم السليم، وإنّما أيضًا العقل السليم؛ أي لا يمكن الفوز إذا لم يكن العقل جاهزًا له وراغبًا فيه. فالجسم وحده لا يكفي، بل المطلوب الرغبة الداخليّة والنفسيّة في الفوز. عندما نرى كلّ هؤلاء الأبطال، نتساءل ما الذي يمنع الدول العربيّة من إيصال العشرات إلى صفوف أصحاب الميداليّات؟ هل تنقصنا الأموال أم الأجسام أم العقول؟ لا شكّ أنّ ما ينقصنا فقط هو الرغبة في الفوز، التي تتطلّب استثمارًا كبيرًا وطويلاً في النفس والجسم والعقل.

لقد اعتدنا، في منطقتنا العربيّة، على الحصول على الأموال السهلة، ليس فقط من الأرض والسماء، وإنّما أيضًا من تحقيق عمليّات تجاريّة مربحة وسريعة. ما ينقصنا هو التحضير والاستثمار في الأبطال، والنفَس الطويل والتمرين. هنالك معلومات تشير إلى أنّ الموازنة التي وضعتها الولايات المتحدة منذ ٤ سنوات للسبّاح «مايكل فيلبس» للفوز بـ ٨ ميداليّات ذهبيّة، تفوق كامل موازنات لجان أولومبيّة عربيّة وطنيّة. ها هو الاستثمار الأميركيّ في «فيلبس» ينجح، فحصل البطل على الميداليّات الثماني التي تشرّفه وتشرّف بلاده. من الضروريّ أن نجد مشاريع أبطال وبطلات في العالم العربيّ قبل أن ننفق عليهم. هنالك دور كبير للمدارس والجامعات في إنتاج مشاريع ميداليّات ذهبيّة، نحن بحاجة إليها ليس فقط لإرضاء النفس والجسد، وإنّما وخاصّة لإرضاء العقل في هذا العالم التنافسيّ الكبير.

الصين، الدولة الاقتصاديّة الناجحة في نموّها، تفوز اليوم في الرياضة بفضل الاستثمار الماديّ والعقليّ الذكيّ في اللاعبين واللاعبات. ها هو النجاح الاقتصاديّ يتحوّل إلى تفوّق في الرياضة، ممّا يدلّ على الاستثمار الهائل الذي وظّفته الصين في رياضييها خلال الأعوام الأربعة الماضية، أي منذ أولمبياد أثينا. تنجح الصين في خرق ألعاب كانت حكرًا على الغرب لعقود مضت، وتنجح بها ككرة المضرب والسباحة. لم تعد هنالك لعبة واحدة أو رياضة بعيدة عن اليد الصينيّة التي أظهرت تفوّقها في ألعاب هذه السنة. في ألعاب ١٩٨٤، كانت الولايات المتحدة الأولى في الذهبيّات بما يفوق الـ ٨٠، ولم تحصل الصين إلاّ على ١٨. في أثينا، سنة ٢٠٠٤، حصلت أميركا الأولى على حوالى ٣٨ ذهبيّة، والصين على ٣٠. فالمسيرة الصينيّة واضحة، ممّا يدلّ على الإعداد التدريجيّ الرسميّ للفوز الكبير الذي تحقّق هذه السنة. دخلت الصين إلى سجل الرياضة العالميّة الذهبيّ، وما يحصل ليس إلاّ البداية.

للالتزام الرياضيّ فوائد كبرى على الجسم والعقل. من أهمّ فوائده التخلّص من البدانة obesity، التي تعتبر مسبّبًا رئيسيًّا للأمراض، وخاصّة أمراض القلب، كما أنّها العائق الأوّل في المجتمعات الغربيّة أمام تطوّر الانتاجيّة. في القرن التاسع عشر كانت البدانة مؤشّرًا للبحبوحة والصحّة الجيّدة والجمال، أمّا اليوم فأصبحت العكس تمامًا. تؤثّر البدانة سلبًا على العقل والأعصاب، كما على تصرّفات الانسان في البيت والمجتمع. مصادر البدانة متعدّدة، وتعود إلى نوعيّة الطعام وسرعة الأكل وطبيعة العمل في المكتب وسوء الحركة وغيرها. تعتبر البدانة المتزايدة مشكلة صحّة عامّة في كلّ المجتمعات، ونرى تأثيرها السلبيّ بوضوح على «العمر المتوقّع» في الدول العربيّة وغيرها من المناطق النامية والناشئة. تعتبر البدانة المسبّب الثاني للموت بعد

التدخين بالنسبة للأمراض التي يمكن للانسان السيطرة عليها عبر تعديل تصرّفاته. هنالك معدّل فارق ١٢ سنة في العمر المرتقب بين الشخص السمين والآخر النحيف، وبالتالي هنالك مصلحة شخصيّة ووطنيّة في خسارة الوزن. لا ننس موضوع التكلفة فيما يخصّ التطبيب والاستشفاء، والتي تختلف كليًّا تبعًا لوزن الانسان. الموضوع ليس فقط موضوع شكل وقامة، وإنّما وخاصّة صحّة وقدرة على التحرّك والتفكير والانتاج. البدانة هي خيار، وليست مفروضة على الانسان، وبالتالي يمكنه التخلّص منها عبر أنظمة طعام وعلاجات مناسبة وخاصّة عبر رياضة منتظّمة ومدروسة تناسب العمر.

لم تعد الرياضة هواية فقط، بل أصبحت مصدرًا ماليًّا كبيرًا للأبطال، أي لأصحاب الميداليّات وللأندية التي يلعبون لها. الميداليّة هي الخطوة الأولى نحو الغنى الماديّ الآتي، ليس فقط من الرياضة نفسها، وإنّما من الأعمال الدعائيّة والأنشطة الاقتصاديّة التي تترافق معها. فإيرادات أندية كرة القدم البريطانيّة ضخمة وتصل إلى حوالى ٣,٥ مليار دولار في السنة، تتبعها الأندية الألمانيّة (٢ مليار دولار) والأسبانيّة والإيطاليّة والفرنسيّة. هذا يسمح للأندية بتوظيف أفضل اللاعبين الدوليّين (تصدّر أفريقيا أفضل رياضيّيها إلى الغرب ليلعبوا في معظم الألعاب وخاصّة كرة القدم) بأجور ضخمة تفوق أجور وول ستريت ومعظم أسواق المال. تبلغ إيرادات بعض الرياضيّين من مصادر متنوّعة مبالغ مدهشة كـ«تايغر وودز» في الغولف (١٢٨ مليون دولار في السنة الماضية) وديفيد بيكهام في كرة القدم (٤٨ مليون دولار) ورونالدينهو (٣٧,٥ مليون) وروجر فيديرير في كرة المضرب (٣٥ مليون) وغيرهم. هذا يجعل الرياضة جاذبة، ليس فقط لجوانبها المعنويّة والصحيّة والوطنيّة، وإنّما وخاصّة للجانب الماليّ الذي يأخذ أبعادًا أكبر فأكبر.

لأنّ الرغبة في الحصول على المال أصبحت عاملاً مهمًّا في الرياضة ودافعًا للرياضيّين، زادت نسبة تناول المنشّطات غير الشرعيّة للفوز، مهما كان الثمن. هذا غير عادل وغير شرعيّ وغير أخلاقيّ، لأنّ أساس المنافسة الحرّة هو توافر القواعد نفسها للاّعبين، ولا يمكن غضّ النظر عن الغشّ المضرّ صحيًّا باللاعب وباستمراريّة الألعاب نفسها. من هنا ضرورة معاقبة المخالفين تمامًا كما يجب معاقبة المحتكرين والمزوّرين في كلّ أسواق السلع والخدمات الحرّة. معاقبة المخالفين ضروريّة لمنع انتشار المنشّطات في كلّ الألعاب ممّا يسبّب قتل روحيّة الألعاب الأولمبيّة المبنيّة على المنافسة الحرّة. هنا لا بدّ من التنويه بالدول التي تكشف المخادعين حتّى بعد سنوات من انتهاء المسابقات، كما حصل مع سباق التواصل ٤٠٠ متر في أثينا. فقد اكتشفت أميركا أخيرًا أنّ أحد العدّائين الأربعة تناول منشّطات، وبالتالي فرضت على فريقها إعادة الميداليّة الذهبيّة إلى اللجنة الأولمبيّة الدوليّة ممّا سمح للفريق النيجيريّ الذي حلّ ثانيًا بالفوز بها. لا بدّ من التنويه بشجاعة اللجنة الأولمبيّة الأميركيّة التي فضحت رياضيّيها وخسّرت نفسها ميداليّات ذهبيّة ثمينة، في وقت كان يمكنها فيه كغيرها من اللجان الوطنيّة غضّ النظر والاحتفاظ بالميداليّات.

من الضروريّ أن نضع في موازنات الدول العربيّة جميعها حصّة كبرى للشّباب والرياضة. فهذه الوزارة ليست ثانويّة، كما يعتقد العديد من السياسيّين والمواطنين، وإنّما أساسيّة لأنّها تحضّر للمستقبل. من المدهش اعتبار وزارة الشباب والرياضة ثانويّة في دولة كلبنان، ترتكز على الشباب والروح التنافسيّة، في كلّ الميادين، وخاصّة الرياضيّة. من المحزن أن نرى ما حلّ بالرياضة اللبنانيّة، بالرّغم من بعض الجهود المبذولة في بعض الألعاب ككرة السلّة. ما زال ينقصنا الكثير للفوز بميداليّات ذهبيّة، وما ينقصنا ليس الشباب والشابّات، وإنّما موازنات التحضير كما الرغبة في التنافس والفوز. فلنقرّر مثلاً منذ اليوم الحصول على ٥ ميداليّات في الأولمبياد المقبل، ونبدأ بالتحضير لهذا الهدف الذي نأمل أن يتحقّق في سنة ٢٠١٢ في لندن. لا ندّعي أنّه يمكننا تحقيق ما أنجزته الصين هذه السنة، إنّما يمكننا على الأقلّ محاولة الفوز في بعض المسابقات، رفعًا لمعنويّات شبابنا، وانتصارًا لوطننا، بعد سنوات من الانكفاء والخسارات والتضحيّات. لا يمكننا تحقيق ما فعلته الصين، لأنّ الإمكانيّات مختلفة والعقليّة الاستهلاكيّة متباينة، كما الأنظمة والمجتمع والواقع.

# ثقافة اللغة اللاتينيّة.. أو العودة إلى الينابيع

أ. أنطوان يوسف صفير

## توطئة

اللغة اللاتينيّة هي اليوم لغة ميّتة. لا تَندرج بين اللغات المتداولة شفهيًّا، ولا في الإبداع الأدبيّ. ومع ذلك، فهي في الغرب مدرجة أو هي إلزاميّة في العديد من مناهج التدريس، العلميّة منها والأدبيّة، كما في تعلّم اللغات الحيّة.

مثل هذه المفارقة نجد الجواب عليها إذا ما عرفنا منزلة هذه اللغة في تاريخ اللغات: إنّها اللغة- الأمّ لجنوب أوروبا. تركت آثارها في اللغات السلتيّة Celtiques والسلافيّة في شمال أوروبا. إنّ الأدب اللاتينيّ، كما الحضارة اللاتينيّة، كانا في أساس تكوين طريقة تفكيرنا منذ الاقتباسات المحليّة لملحمة الإينييد L'Enéide في القرن الثاني عشر حتّى روائع الهندسة النيوكلاسيكيّة في القرن التاسع عشر. هؤلاء الناطقون بالفرنسيّة والاسبانيّة والايطاليّة والبرتغاليّة والرومانيّة (في رومانيا) هم أبناءُ اللغة اللاتينيّة؛ **والذين ينكبّون على دراسة اللغات ولا يعيرون اللاتينيّةَ اهتمامَهم، وجب أن يشعروا كلّهم من دون استثناء بأنّهم يتامى.**

الملاحظ اليوم في الغرب أنّ أكثريّة الطلاّب هم أتباع للاتينيّة.. موقّتون لبضع سنوات؛ هدفهم من دراسة هذه اللغة إثراءُ وإغناءُ مجال اختصاصهم، أكانوا ناطقين بالفرنسيّة أو الايطاليّة أو الألمانيّة، أو هم انصرفوا إلى دراسة الفلسفة أو التاريخ أو تاريخ الفنّ؛ فاكتشافهم للّغة اللاتينيّة يبقى اكتشافًا ثقافيًا أكثر منه ممارسةً ونطقًا. المقصود عندهم معرفة كيف تدور هذه اللغة، وليس قراءة فرجيل أو تاسيت أو سينيك أو شيشرون.

## ١. المنشأ، الأصول والمسار التاريخيّ

اللغة اللاتينيّة أصلاً واحدة من اللغات المحكيّة في شبه الجزيرة الايطاليّة في روما وضواحيها، بين القرنين الثالث والثاني قبل المسيح من مثل لغات L'asque، L'ombrien و Le sicule التي تنتمي إلى مجموعة لغات شقيقة متحدّرةٍ أصلاً من لغة أمّ واحدة، هي بمثابة الجدّة الأولى للّغات العصريّة؛ وهي الهندو- أوروبيّة L'indo- européen التي لا نعرف عنها شيئًا بعكس بعض تفرّعاتها التي وصل إلينا منها بعض الكتابات الخطيّة كاللغة الحثيّة Le Hittite والغاليّة Le gaulois، لغة فرنسا القديمة؛ وفي أفضل الحالات تركت لنا أدبًا ثريًّا كاللغة السَنسكريتيّة Le Sanskrit، واليونانيّة واللاتينيّة.

اللغة الهندو- أوروبيّة هي لغة أعيد تركيبها إنطلاقًا من دراسات تحليليّة للمفردات والتركيبات النحويّة لمجموعة من اللغات امتدّت مساحة التكلّم بها من إيران والهند حتّى شواطئ البلطيك. كلّ هذه اللغات، وبدرجات متفاوتة، تجمع بينها صلات قربى ونسب وتشابه، ليست نتيجة توالدٍ مباشر من لغة إلى أخرى ، بل هي تعود إلى بنوّة جَماعيّة لكلّ هذه اللغات تجاه لغة أصليّة أخرى أكثر قدمًا تكلّم بها في الأصل شعب مفردٍ واحد ما عتّم أن هاجر وانتشر وتوزّع فوق شاسع الأراضي الهندو- أوروبيّة.

هذه اللغات المتّصلة جميعها، بعضها ببعض، تغطّي مساحات أرض واسعة: الهند مع السنسكريتيّة، لغة الهند القديمة، وفيها كبريات الملاحم مثل المهابهرتا Le Mahabhrata، آسيا الغربيّة وشبكة اللغات المحكيّة في إيران وأفغانستان واللغة الأرمنيّة؛ أوروبا الجنوبيّة مع اللغات اليونانيّة واللاتينيّة والألبانيّة؛ أوروبا الوسطى مع اللغات السلافيّة كالروسيّة والبلغاريّة والصربيّة والسلوفاكيّة والكرواسيّة والتشيكيّة والبولونيّة؛ وأخيرًا أوروبا الشماليّة والغربيّة مع اللغات السلتيّة والجرمانيّة كالألمانيّة والإنكليزيّة واللغات السكنديناڤيّة... بين لغات أوروبا الحديثة ثلاث لغات فقط لا تعود في أصلها إلى الهندو- أوروبيّة: هي اللغات التركيّة والهنغاريّة والفلنديّة. إنّها لغات مسمّاة «Finno-ougriennes»، تختلف تراكيبها وبنيتها عن اللغات الهندو- أوروبيّة، خصوصًا في استعمال الملحقات اللغويّة «Les suffixes

syntaxiques» المتعدّدة والمتداخلة فيما بينها.

## ٢. مراحل التطوّر

اللغة اللاتينيّة كما اليونانيّة وُلدت إذًا من تشتّت قسم من الشعوب الهندو- أوروبيّة في شبه الجزيرة الإيطاليّة، وتوسّعها وانتشارها على مجمل شبه الجزيرة (بين القرن الثامن والقرن الثالث قبل المسيح)، ثمّ إلى كامل حوض المتوسّط (بين القرن الثالث والقرن الأوّل قبل المسيح)، وأخيرًا إلى أوروبا بكاملها حتّى القرن الخامس بعد المسيح.. كلّ ذلك بالتزامن مع التوسّع السياسيّ والجغرافيّ لروما في كلّ هذه المناطق. وهنا، في ذروة عظمة الإمبراطوريّة الرومانيّة، أي في القرن الثاني بعد المسيح حيث كان النفوذ الرومانيّ يُغطّي أوروبا من إيرلندا إلى جبل طارق ومن (Finistère) في فرنسا إلى البلقان وأفريقيا الشماليّة وآسيا الصغرى، لا يتخيلنّ أحد أنّ جميع سكّان هذه البلدان الشاسعة كانوا يتكلّمون فقط وبسهولة اللغة اللاتينيّة في كلّ طبقات المجتمع. فاللغة اللاتينيّة لغة التجّار والمحتلّ والمستعمرين، ولم تكن اللغة الجامعة إلاّ في إيطاليا وفي غاليا La Gaule (فرنسا) الجنوبيّة. في ما عدا هذين البلدين بقيت اللاتينيّة لغة التجارة والإدارة، وغالبًا ما كان التداول بها يعكس إرادةَ لتننةِ ورؤمَنةِ الطبقات الاجتماعيّة الأكثر يسرًا ورفاهيّة، وكان ذلك باديًا في نشوء مركزيّات مناطقيّة على غرار مدينة روما مع ساحاتها (Forums) ومسارحها وهياكل العبادة فيها. أمّا في الأمكنة الخاصّة والأحياء فقد استمرّ المواطنون، بمن فيهم النخبة، يتكلّمون لغتهم الوضيعة أو المرموقة. هكذا ظلّ الناس تحت الاحتلال الرومانيّ يتكلّمون اليونانيّة في بلاد اليونان وآسيا الصغرى ومصر. أمّا في قرطاجة بأفريقيا وبلاد الغال وبعض ألمانيا وإنكلترا، فكانت تسود الحياةَ اليوميّةَ لغاتٌ أخرى غيرُ اللاتينيّة. وفي المناطق حيث الاستعمارُ الرومانيّ أقلُّ تأثيرًا، كالمناطق الجرمانيّة، لم تترك اللغة اللاتينيّة إلاّ بعض آثارها في تاريخ اللغات المحليّة، على عكس المناطق التي استحكم فيها الاستعمار الرومانيّ وطال أمده كرومانيا وشبه الجزيرة الأيبيريّة (إسبانيا) وبلاد الغال الجنوبيّة، حيث استولدت اللغةُ اللاتينيّة لغاتٍ موروثة تراكيبها وبنيتها وقواعدها وألفاظيّتها مباشرة من لغة الرومان الأمّ: اللاتينيّة.

وبالفعل، فقد وُلدت هذه اللغات من تلاقي عناصر زمنيّة ومكانيّة. وتواصل النطق بهذه اللغة الحيّة المولّدة تراثًا أدبيًّا خلاّقًا من القرن الثالث قبل المسيح وحتّى القرن الخامس بعد المسيح على فم وتحت أقلام رجال ثنائيّي اللغة وأصحاب لهجات مختلفة بعض الأحيان. من جرّاء ذلك لم تبق هذه اللغة كما هي، بل تبدّلت وتطوّرت. ثمّة في الأدب اللاتينيّ تقليديًّا مرحلة أولى هي مرحلة النشوء، وتمتدّ بين عامَي ٢٥٠ و١٥٠ ق.م. تتوجّها كتابات بلوت Plaute، ثمّ المرحلة الكلاسيكيّة وتمتدّ بين منتصف القرن الثاني ق.م. وبداية القرن الثاني بعد المسيح: من كتابات Térence الكوميديّة إلى مؤلّفات Tacite. خلال هذه المرحلة جعل الكتّاب اللاتين من Cicéron رائد النثر اللاتينيّ. وأخيرًا لا بدّ من الإشارة إلى المرحلة المتأخّرة المعروفة بالمرحلة المسيحيّة، فإنّها جزء كامل من التاريخ اللاتينيّ ويكوّن الحلقة الأخيرة في الحيويّة والصدقيّة من سلسلة التاريخ اللاتينيّ المشرق، رغم تسفيهها واحتقارها من قبل غلاة العنصريّة الرومانيّة: فاستمرار ديمومة اللغة اللاتينيّة كتابةً ونطقًا في القرون الوسطى، وإحياء رميمها مشعًّا في الجيل التاسع بدفعٍ من شارلمان، ثمّ بتحفيز من الكتّاب والشعراء الانسانويّين Humanistes في الجيل الخامس عشر، كلّها تباشير تحوّل وتغيير نحو لغة أخرى، لغة الفقهاء والمثقّفين، وليست آخر أشعّة لشمسٍ أشرفت على المغيب.

ومع كلّ هذا وذاك، فاللغة اللاتينيّة أضحت لغة ميّتة، رغم بعض القصائد الشعريّة عند Du Bellay في القرن السادس عشر، وAndré Chénier في القرن الثامن عشر، وLéopardi في القرن التاسع عشر. اللغة اللاتينيّة اليوم لغة ميّتة، ولكنّها اللغة الأمّ. حقوق الأمومة والحضانة محفوظة لها على الدهر.

# نعيمة بين الحضارة والانسان

د. منصور عيد

يظهر تاريخ الحضارة الانسانيّة أنّ لكلّ عصر من عصورها روحًا، تُستشفّ خصائصها من تفاعل العناصر الماديّة العلميّة والروحيّة الثقافيّة، التي كوّنت خلاصاتها في المكان والزمان. هذه الروح شموليّة تلازميّة، تنسحب غالبًا على التوجّهات العالميّة لكي تطبع بسِماتها وخصائصِها عصرًا كاملاً من عصور البشريّة.

والحضارة الانسانيّة، منذ بدء النهضة في الغرب، عند نهايات عصور الانحطاط، أفرزت مجموعةً من الأحداث والتحوّلات العسكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة والفكريّة والثقافيّة، تضافرت كلّها لتطبع التاريخ الانسانيّ بخصائصها. فكانت حركات توحيد أوروبا، وكان انبعاث القوميّات ونشأة الدول الكبرى، وكان عصر الصناعة والاستعمار وما نتج عن ذلك من الحروب حتىّ بلوغ حالة التفاهم الدوليّ التي تمثّلت بتأسيس الأمم المتحدة، وانتشار الروح الكونيّة. ونحن اليوم، نعيش في نموذج متطوّر لها، يعرف باسم النظام العالميّ الجديد، أو العولمة.

غير أنّ المؤسف في كلّ ذلك أنّ السعي إلى السلام لم يحقّق رغبة الانسانيّة المنشودة، واستمرّت الحروب تتأرجح في أهدافها بين المصالح المتناقضة للدول والأنظمة، ورغبة الشعوب في السلام. وليس بعيدًا عن هذه المعادلة ما أعلنه الرئيس الاميركيّ، إثر حادثة ١١ أيلول التي أصابت أميركا والعالم بصدمة متعدّدة النتائج والدلالات... قال: إنّنا أمام قرن من الحروب في مواجهة الإرهاب.

أمّا ميخايل نعيمة الذي عاش عصر التحوّلات الكبرى، في الحربين العالميّتين الأولى والثانية، في القرن الماضي، وتفاعلت في ثقافته نزعتان: واحدة شرقيّة روحيّة، وأخرى غربيّة علميّة ماديّة، فقد تحدّث عن هذه الروحيّة الحضاريّة، وأطلق عليها اسم: الصوت.

ففي كتابه **صوت العالم**، الصادر عام ١٩٤٨، يأتي على ذكر أصوات الكائنات التي لا تحصى، ويخلص إلى طرح السؤال: وهل للانسانيّة صوت؟ وهل لها هدف؟

وفي تأمّلاته، يغوص نعيمة في أعماق خصائص الحضارة المعاصرة، فينطلق إلى تحديدٍ أكثرَ موضوعيّة، عندما يرى أصوات الانسانيّة تتكوّن من خلال التواصل الكونيّ بين شعوب الأرض، فإذا بالانسانيّة كما يسمع: «تشكو أوجاعًا مشتركة، وبصوت واحد تطلب العافية والسلام والطمأنينة». ويخلص إلى القول: «وإذن، كان للانسانيّة صوت في جوقة الكون، منذ أن كانت الانسانيّة، وكان لصوتها هدف... فلا فرق في هذا القبيل بين غرب وشرق أو بين بلد كبير وبلد صغير، فالتيّار واحد في كلّ مكان».

هذه الروحيّة الشرقيّة تميّز بها أدباؤنا اللبنانيّون المهجريّون، وقد شكّلوا الصلة الروحيّة بين عالمين. هم تشبّعوا بروحيّة الشرق المتديّنة، وأعجبوا في الوقت نفسه بالعلم وإنجازاته. غير أنّهم، في عمليّة انصهار ذاتيّة، أدركوا منذ أوائل القرن الماضي، أنّ التفاعل الحضاريّ قد يحمل وجهًا صراعيًّا لدى البعض، عوض أن يعترف هذا البعض بحتميّة التثاقف، ويقرّ بأنّ الانسانيّة لا تتوقّف عند خصوصيّة أصوليّة متزمّتة. هي إنسانيّة أشبه بالنهر المتدفّق، الجارف لكلّ ما يقف في وجهه، تختلط في مياهه عناصر التربة كلّها، على تنوّعها وتمايزها، لتتحوّل إلى طمي خصب واحد، تبذَر فيه الحبوب المتأهّبة دومًا للتفجّر والعطاء والزهر والثمر. لقد أدرك نعيمة أنّ مصير البشريّة واحد ولا سبيل فيه إلى التقوقع والانغلاق. يقول: «كنّا إلى عهد قريب لا نحمل من همومِ الأرض إلاّ همومَنا، ولا نبثُّ في آذان الفضاء غير شكوانا ونجوانا. أمّا اليوم فما ندري همومَ من نحمل فوق همومِنا، وشكوى أيٍّ الناس، ونجوى أيّ الشعوب نبثّ إلى جانب شكوانا ونجوانا». ونحن، اليوم في تجربتنا اليوميّة ومتابعتنا الأحداث العالميّة،

وانغماسنا في التواصل الكونيّ السريع وما نتحمّله من ضغط وإرهاق نؤكّد رأي نعيمة ورؤيته الحضاريّة في هذا المعنى.
قلت إنّ أدباءنا المهجريّين قد اختُصّوا بهذه الجدليّة التفاعليّة الحضاريّة؛ وبالطبع لا بدّ من الاشارة في هذا السياق إلى إصدارات أدبيّة كبيرة: كتاب **النبيّ** لجبران الذي صدر بالإنكليزيّة ١٩٢٥/١٩٢٦، وكتاب خالد لأمين الريحاني الذي صدر بالإنكليزيّة عام ١٩١٠، إضافة إلى كتاب **مرداد** لمخايل نعيمة نفسه. إنّ روح الشرق المفعمة بالوجدان السماويّ ألهبت النزعة الانسانيّة في فكر هؤلاء، فراحوا يصهرون التناقضات محاولين التوفيق بين القلب والجسد، وهم يدركون أنّ أزمات الانسان هي أزمات قلوب وأفكار قبل أن تكون أزمات جيوب وبطون وحسابات مصرفيّة. فليت كلامهم يتردّد صلوات في المعابد والمساجد، بل في مطابخ القرارات السياسيّة والعسكريّة التي تطالعنا في صبيحة كلّ يوم، وترينا الويلات في كلّ مساء.

ولعلّ نعيمة الذي يتحدّث عن تحالف ثلاثيّ ثابت وحتميّ وأبديّ بين السياسة والاقتصاد والسيف، يؤكّد أنّ المعادلة التفاعليّة الانسانيّة هي فوق هذا الحلف الجهنميّ، الذي يسعى إلى أن يمتلك الأرض والكون، فإذا هندس أرباب هذه المعادلة الثلاثيّة السدود والحدود، فإنّهم يعملون في فضاء: «لا سدود فيه ولا حدود... بل فيه كائن عجيب اسمه الانسان، ما فتىء منذ أن كان، يناضل بكلّ قواه ضدّ الحدود والسدود... ذلك لأنّ الحزن والفرح والموت والحياة لا تعرف السدود والحدود، ولا موطنُ لها إلاّ قلبُ الانسان... حقًّا إنّه لأيسر أن تقيموا الحدود بين أشعّة الشمس، والسدود بين نسمات الجوّ وأمواج البحر، من أن تقيموها بين فصيلة وفصيلة من الناس أو بين قطر وقطر من أقطار الأرض».

ولكنّ نعيمة الذي يذهب بعيدًا في إيمانه بالانسان والانسانيّة، يؤكّد لنا في توجّهه هذا عقيدته الشرقيّة النابعة من الايمان العميق بالله وبالرسالات، فهو لا يعترف للحلف الثلاثيّ الماديّ الأبديّ بالقدرة على خلاص البشريّة، لأنّ من يحاولون بناء العالم على براكين النفط وعلى الفِلس وشفرات السيف، لا يقيمون قيمة للانسان. فالايمان بالانسان يعني أن نؤمن بالله، والايمان بالله هو إيمان بالانسان، ذلك لأنّ الانسان هو صورة عن الله، وكلّ بنيان لا يقوم على هذه المعادلة فإنّ مصيره إلى الانهيار.

وأعود إلى ما قاله نعيمة نفسِه: «ما بنت السياسة، حتىّ اليوم، بيتًا إلاّ قوّضته السياسة. ولا شاد الاقتصاد صرحًا إلاّ دكّه الاقتصاد. ولا قامت مملكة على حدّ السيف إلاّ هوَت بحدّ السيف. ذلك لأنّ الانسانيّة كانت و ما برحت ذرّيّة إلهيّة في طريقها إلى مصدرها الإلهيّ».

ثمّ يذهب نعيمة في إيمانه بالشرق إلى حدود التفاؤل بقيامته على الرّغم من الفساد الذي نخر عظامه، فتربة الشرق لن يمضي عليها زمن طويل حتىّ تُنبت وتزهر وتورق وتثمر، لأنّ المأثرة التي

يتوخّاها من الشرق هي أن يبقى هذا الشرق «حصنًا للدين الذي يبتدىء بالله وينتهي بالله... إنّه دين الأخوّة الصادقة والأبوّة المتفانية، دين المحبّة الشاملة».

وإذ أذكر هذه المعادلة: الدين والشرق، لا بدّ من توسّع بسيط حول فهم نعيمة للدين. لقد آمن نعيمة بالله، غير أنّه كان حذرًا جدًّا أمام دعاة الدين الذين يفهمونه على شاكلتهم، ويقيسون الألوهيّة بمقياس مصالحهم. الله هو واحد عند الشعوب كلّها، ولا حقّ لأحد بادّعاء احتكاره لنفسه. إنّه في طُور سينا وفي الأبانيشاد الهنديّة وفي كرّازة بوذا والنرفانا الهندوسيّة وفي بشارة يسوع وفي شهادة محمّد وفي آثار أشور وبابل وفي كتاب الموتى الفرعونيّ. حتىّ أنّنا نجده في كلّ مدينة و شارع وحيّ ومنزل من منازل الشرق، وكم نسمع باسمه ألف مرّة ومرّة، ولكن كما يقول نعيمة: «إلاّ أنّك لو فتّشت عن الله في الذين يتلفّظون باسمه لوجدته إمّا كلمة على شفاههم أو فلسًا في جيوبهم أو لُقمة في بطونهم».
فليس هذا هو إله نعيمة! إنّ إلهه هو الأبوّة المتفانية التي تنشر الدين محبّةً شاملةً البشريّةَ كلَّها.

أمّا الانسان الذي يتشكّل من حصيلة هذه الألوهيّة، فهو إنسان متفوّق، يصفه نعيمة هكذا: «نبيٌّ، عزيمة الأرض في رجليه، وقوّة السماء في ساعديه، وبهاء الحقّ في ناظريه، ووداعة المعرفة في لسانه، وحلاوة المحبّ في قلبه».
وبعد، أليس هذا الكائن هو نبيّ جبران الذي أفصح للمترا بكلّ مكنونات قلبه، أو هو الانسان السوبرمان الذي تحدّث عنه أمين الريحاني في كتاب **خالد** قائلاً: «إنّه الانسان الأسمى، الانسان السوبرمان، هو الكائن الأشدّ تطوّرًا على نحو رفيع ليس أوروبيًّا ولا شرقيًّا. بل هو بالأحرى من يشارك في الصفات والمزايا الممتازة لكلّ من العبقريّ الأوروبيّ والنبيّ الآسيويّ».

الكلام يطول في هذا المجال، ولكنّ الوقت يبقى ضيّقًا على استيعاب عناصر الفكر الواسع. مع ذلك، يبقى لي أن أذكر نبوءة أطلقها نعيمة في الأربعينات من القرن الماضي، ونراها اليوم تتفاعل في مجريات حياتنا اليوميّة، وفي نطاق اهتماماتنا المصيريّة بأنفسنا وبالعالم.
وهي تتناول العرب والغرب، يقول نعيمة: «لا أنكر أنّ للنفط قيمة كبيرة في تسيير عجلات المدنية، ولكنّني أنكر على النفط قيمة جديرة بأن تُهدر في سبيله الدماء البشريّة الزكيّة، فتُزهقُ الأرواح، وتتفتّت الأكباد وتمُزّق الأجساد...». ويقول أيضًا: «إنّ على الشرق أن يحمل اللقاح إلى الغرب، وإنّي لأرجو أن يكون لقاحًا طاهرًا من الضغينة والجشع وحبّ الأخذ بالثأر، حاملاً رسالة الانسان التوّاق إلى الانعتاق».

# «قصائد من عصور الحبّ» لجميل الدويهي
# تحاكي فلسفةَ الحبّ وتغوصُ في أعماقِ النفس

○ | د. عصام الحوراني

هي أشعارٌ من معدن الحبّ النقيّ، لها مذاق هذا الحبّ، ولونه، ورائحته، وغرابته، وسحره... وقد كوتها ناره الملتهبة، فأكسبت حروفَها وقوافيَها حياةً، ورقّةً، وبهاء. هذه القصائد هي مثال الحبّ الذي يصعب فيه، وعنه الكلام، وتتعطّل معه اللغة كما لدى شوقي الذي قال أيضًا: وعندي الهوى موصوفه لا صفاته/ إذا سألوني ما الهوى قلتُ: ما بيا... ويقول شاعرنا الدويهي: عن أيّ حبٍّ في حياتي أكتبُ؟/ صعبٌ كلامي، والكتابة أصعبُ. وأيضًا: الحبّ شيء لا يفسِّره الكلام/ فلستُ أملكُ، حين يملكني فما... هكذا حال القارئ صاحب الذوق الأدبيّ، والحسّ الفنيّ، مع هذه الأشعار التي صدرت مؤخّرًا. إنّها تحكي الحبّ بمتاعبه، ولهيبه، وضياعه... تحكي الحبّ المرتبك، التائه، الولهان، الجريح: «أتركيهِ حديقة في ضلوعي/ واتركيني أسير خلف جراحي». والحبُّ الدويهيُّ، على الرّغم من مراراته، نتذوّقه شهْدَ القفير المُستطاب في آب اللهّاب، لأنّه ينساب في الأبيات بإيقاعات محبّبة، وأوزان طريّة ، وقوافٍ ليِّنة مؤاتية، وصور معبّرة يداعبها خيال المبدع الفنّان، الذي يمنحها من العذوبة، والمرونة، والبراعة الأخّاذة، ما يشدّك إليها بسهولة، ورفق، وبلا عناء، مثلها كمثل ماء النبع الذي يترقرق في الصيف، ويتهادى بعفويّة ورشاقة فوق الحصى المتلألئة تحت شمس لبنان.

«قصائد من عصور الحبّ» تحاكي فلسفة الحبّ وكيانه وحقيقته، وتغوص في أعماق النفس التائهة في عالم الأسرار، ذاك العالم النورانيّ الذي لا يدركه إلاّ أهل الوجد، والعرفان، والحبّ الصافي. هذه الأشعار تصوّر المشاعر والأحاسيس المتماهية في الرغبات الروحيّة والجسديّة، ومداها الفاعل في النفس وفي الأعماق، وما يتولّد عنها من ألم وشقاء وأشواق، بيد أنّ فيها سعادة ولذة قصوى وانشراح:

◁ يشكو جميعُ العاشقين من الهوى
وأنا سعيدٌ بالذي عانيتُهُ

فالحبّ الذي يسكن خيال الشاعر، أطيبه ما كان بعيدًا عن العين، قريبًا من الأعماق:

◁ غيبي، فلستُ أريد أن نبقى معًا
إنّ الغيابَ هو الحضورُ الأقربُ

والحبّ بالنسبة إلى شاعرنا هو مشاعر راقية مهذّبة، تستمدّ حياتها من الآخر الذي يساويها، ويمازجها، ويتّحد بها، ويقترب وإيّاها من تلك الفضائل السامية، فنسمعه يقول:

◁ من عشب عينيكِ عندي ثروةٌ، فلمنْ
لولاه تشرق شمسٌ، أو يكون غدُ؟

ويقول أيضًا:

◁ شربتُ من عطرها كأسًا، وقلتُ لها:
الماء روحي، وأنتِ الروح في الماء

هذا الحبّ الغريب، هو طاقة تدفع بمن يمتلكها نحو حالة من الإرباك والقلق وعدم الإستقرار، ولا يتوقّف صاحبه عند قرار، بل تراه تائهًا في عالم من التغيّر والتبدّل والهروب، و«لا يعرف غير ضياع الفكر» وكما يتراءى إلى الشاعر:

◁ أحببتُ يومًا واحدًا، فإذا به
منّي يضيعُ، لأنّني متقلّبُ

وأيضًا:

◁ غيّرني حبُّكِ مثلَ السِّحر
يا ساحرةً تسكُنُ في الشعر

وقال أيضًا:

◁ لن تعرفيني، لأنّ الوقتَ غيّرني/
وصرتُ أهربُ من عمري الذي هربا

هذا الضياع القاهر، والذي لا مأوى له يركن إليه ولو لدقائق، هو أبدًا في حال من التشرّد النفسيّ في عالم المجهول، يبحث عن ذاك الحبّ، عن أمّ تنقذه وتدفئه تحت جناحيها:

أنـا الـغـريبُ الـذي ضـاعت مـديـنـتـه
فـمـن سـواك مـن الـمـجـهـول يـحـمـيـني؟

وقال:

يـبست عـروقُ يـدي، وخـانـتـني دواتـي
ودخـلـتُ فـي زمـن الـعـواصـفِ والشـتـاتِ

والحبّ في هذه القصائد صراع أشواق، ومخاض صور وأحاسيس غريبة، فيها منتهى السعادة التي تتوالد كلّ لحظة في الخيال طفلاً يتجدّد وينمو: «فمن يعاقب أطفالاً إذا عبدوا؟»، هذه الصور تحمل في كيانها العذابات الممتعة، والهمّ، والقلق، والتوتر، والإكتواء حتىّ اليأس... وإن لم يحمل الحبّ مثال هذه المواصفات فهو متعة جسديّة تتبدّل وتتلاشى، كما قطر الندى على أكمام الورد تلامسه أنوار الصباح. هو الحبّ النقيّ عينه الذي يلفّ أشعار الدويهي، وتلك القصائد التي تؤاتيه من عصور الحبّ القديمة، من عصر قيس وليلى، وجميل وبثينة، وكثيرٌ وعزّة، هي نفسها تلك التي تحاكينا في لياليا وفي أحلامنا، هي ذاتها في كلّ عصر وزمان ...

ومـا الـحـبُّ إلاّ رعشـةٌ فـي قـلـوبـنـا
وبـرقٌ إلـى أفـكـارنـا يـتـسـلّـلُ

ويقول:

إنّـي سـأشـعـلُ بـالـكـبـريتِ قِـصّـتـنـا
لـولا الـحـرائـقُ أهـلُ الـحبِّ مـا وُجـدوا

وأيضًا:

أيـن الشـعـورُ الـذي بـالـنـار حـاصـرنـا؟
أيـن الـحـريـقُ الـذي كـنّـا لـه حـطـبـا؟

والحبّ في أقصاه عند الدويهي اليأس المرير، ومعه الصمت والجمود الحائر الخامد كالجمر تحت الرماد، في ليالي الغربة الصعبة التي عاشها الشاعر زمانًا طويلاً:

يـا قصّـةً عـنـونـتُـهـا بـدمـي
وخـتـمـتُـهـا بـرمـاد أسـفـاري

ويقول:

لا تـتـركـي الـيـأسَ يـمـحـونـا ويـكـتـبُـنـا
فـنـحـن مـن يـمـلكُ الـدنـيـا ويـخـتـارُ
كـان الـهـوى قـبـلـنـا حـبـرًا عـلـى ورق
وبـعـدنـا الـحـبُّ لا جـمـرٌ، ولا نـارُ

ومدينة الحبّ لدى الدويهي تضيع في عالم الخيال المنسي، كما كلّ مدن الشعراء من أهل المعاناة، وتنطبع فيها مجدّدًا بصمات الغربة القاسية:

ومـديـنـتـي صـارت خـيـالَ مـديـنـةٍ
مـنـسـيّـةٍ، أبـوابُـهـا صـمّـاءُ

ويقول:

فـإذا انـتـهـى الـحبُّ الـذي غـنـيّـتـهُ
حـطّـمتُ قـلـبـي، وافـتـرشتُ ركـامـي

أشعار الدويهي في «قصائد من عصور الحبّ» وحدة متآلفة متماسكة، يمتزج فيها المعنى بصوره المتنوّعة الجذّابة، مع المبنى بإيقاعاته، وأوزانه، وقوافيه، ومرونته، وبراعة السبك، فيتشكّل منها سمفونيّة الحبّ التي تعبّ من فيض الوجدان لمحًا متألّقة، ولمعًا محبّبة، يحترق الوجد في حناياها، فيتيه القارئ معها في لحظة من الإنخطاف الوجدانيّ، تشدّه نحوها بعطف وحنان، فيتمتّع بشميم الحبّ الصافي، كما عرار نجد عند العشايا.

# «خربة مسعود» وصراع الحضارات

د. عصام الحوراني

هي رواية الدكتور منصور عيد التي صدرت أخيرًا عن منشورات جامعة سيّدة اللويزة. بطل الرواية خوسيه مَسّود المكسيكيّ الآتي إلى وطن الأجداد تلبية لتحقيق أمنية جدّه يوسف مسعود اللبنانيّ الذي ترك ضيعته (خلة المنزلة) في جبل الريحان عام ١٩١٢، والحرب العالميّة الأولى كانت على أبواب منطقة تحكمها تركيا منذ أربعمئة سنة، ويلفّها الفقر، والعوز، والضيق، والقهر، والخوف، والذلّ. يوسف مسعود هذا، واحد من ألوف اللبنانيّات واللبنانيّين الذين تركوا قراهم ومدنهم، ومطارح الطفولة، وأرضهم الغالية، وركبوا البحر لترميَهم سفنه على شواطئ المكسيك وغيرها من بلاد الله الجديدة في الأميركيتين.

الرواية تصوِّر بدقّة ذاك اللبنانيَّ الذي لم تستطع الغربة، وما أحاط بها من صعوبات، ومغامرات، وضياع نفسيّ، ومشكلات، أن تنتزع من أعماقه، ومن وجدانه صور تلك الأرض التي أحبّ، والتي اقتلع منها مرغمًا لأسباب وأسباب. هذا اللبنانيّ التائه أبدًا منذ أقدم العصور في مشارق الأرض القصيّة ومغاربها، لم يستطع محوَ ما زال عالقًا في أعماقه من صور تؤاتيه في لياليه، وفي سويعات التأمّل والركون إلى الذات، فتؤرقه وتحمله على أجنحة الخيال صوب تلك التلول والأودية، لتعبث به هذه الخيالات، وتحطّمه في أعماقه، وتنثره أدمعًا، وحسراتٍ، وآهات، ما تلبث أن تتجسّد لدى الأحفاد مغامرات تسعى من أجل تحقيق هذه الآمال الواهية، في بلاد الصراعات، وتنازع الحضارات.

رواية الدكتور عيد حكاية المغترب اللبنانيّ بعامّة، والذي ما فتئ يدور في حلقة مفرغة من الدُّوار منذ منتصف القرن التاسع عشر وما زال. هي حكاية معاناة، وألم، ودموع، ترافق المغترب الذي ترحّل عن وطنه، وهو في بدايات عهد الفتوّة والشباب، كما ترافق المقيم أيضًا، والمتمثّل بالمعّاز لطّوف الذي بقي وحيدًا مع زوجته تلفّه الوحدة القاسية والذكريات المتلاشية خلف جسد محطّم، يعاني الهوان، كما غيره من المقيمين الذين شتّتت الغربة فلذات قلوبهم، وتركتهم طول العمر ينتظرون رسالة تحملها الأمواج لتصل إلى الأمّهات والآباء عند العشايا في قراهم المنهوكة، وقد أضناهم الفراق، وأرهقهم طول الانتظار، وتيبّست الدموع في المآقي، ولم يعد لها من آثار على تجاعيد السنين.

أبطال الرواية هم أجدادنا بالذات، هم أهلنا الموزّعون في بقاع الأرض الشاسعة. والمكسيك التي احتضنت مهاجرين لبنانيّين كثيرين، كما غيرها، فتحت لهم صدرها بكرم وإباء ومحبّة، لينطلقوا في العالم مؤثّرين، وفاعلين، وأصحاب مجد في دنيا الثقافة والعلم والاقتصاد. ولكنّ الغربة، على الرّغم من حسناتها الجمّة، لم تستطع نزع ذاك الشوق الذي استمرّ يشدُّ المغترب نحو أرضه وأهله، ولم تستطع اقتلاع صور الوطن الأمّ التي تبقى ملتصقة بالأعماق، وفي حنايا الذات والوجدان، والتي صوّرها الروائيّ الدكتور عيد بتفاصيلها، مقتحمًا النفس الإنسانيّة في أعماقها، ناقلاً إلى القارئ وإلى كلّ مغترب ومقيم، حكاية شائقة، مثيرة، تضجّ بالمعاناة المتلاحقة عبر الأجيال، من خلال فنيّة روائيّة، وبراعة أخّاذة التوليف بين النسج السرديّ والحوارات، والحبكة، واستخدام السحر اللغويّ الذي يحاكي الواقع المتمثّل بشخصيّات متنوّعة الأذواق والتوجّهات والأحلام، عدا الصور المتنوّعة من الطبيعة، والتي رسم بها المشاهد، فجاءت تؤاخي ما يدور في السرد، باعثة في العمل الروائيّ رشاقة وحيويّة.

في الرواية التي تدور أحداثها بين لبنان والمكسيك، ثمّة مقاربة لتلاقي الحضارات، كما لتناقضاتها. فخوسيه المكسيكيّ، الذي يمثّل الحريّة والديمقراطيّة والانفتاح على الثقافات جميعها، يتعرّض وهو في جوار خربة أجداده لعمليّة خطف قام بها جماعة من المشاركين في تناقضات الشرق وصراع الحضارات، ويتمّ إطلاقه بعد أشهر فيقترن بالمرأة الأرملة التي أسهمت في اختطافه، تحقيقًا لمبدأ حوار الحضارات. وتكون ثمرة هذا الزواج الذي تمّ على الرّغم من تناقضاته الدينيّة والحضاريّة والاجتماعيّة، الطفلة (مريانا) التي تمثّل هذا الحوار المتجسّد. ولكنّ القدر الذي استحضره الروائيّ منصور عيد، أبى أن يتركهم على سجيّتهم، ويبارك هذه المصالحة بين القديم والحديث، بين الماضي بعفنه ويباسه، والحاضر بحيويّته وتطوّره وانفتاحه... رفض أن يتمّ التلاقي، وتصبح الحضارات جسدًا واحدًا، فكانت المأساة الكبرى، وكان الانفصال الأبديّ بالإكراه، كما يكون دائمًا في هذا الشرق المقهور. وتنتهي الرواية في حرب تمّوز ٢٠٠٦، مع مقتل مريم وابنها من زوجها السابق المقاتل. ويغادر خوسيه مع ابنته مريانا شواطئ المتوسّط عائدًا، كما جدّه يوسف منذ قرن، مرّة جديدة، إلى أرض السلام والحريّة، إلى المكسيك.

وكما ابتلعت الأمواج كوفيّة الجدّ يوسف مسعود، ولبّادته، وسط البحر، في مستهلّ القرن الماضي، رمى خوسيه، في البحر عينه، الأوراق التي حوت حصيلة أيّامه في وطن الأجداد، ليعود خفيف الحمل إلى المكسيك وطنه النهائيّ، هاربًا من الشرق ومآسيه وتناقضاته، وصراعاته. عاد مع ابنته مريانا، طاهر اليدين، وقد حقّق رغبة الجدّ الراحل، ولكنّه ترك خلفه (خربة) تبقى مع الأيّام، ربيبة العلّيقة، والسنديانة العتيقة، والرياح العاتية، تضرب كيانها مع كلّ شتاء. ولقد شاء القدر أن تزداد الخِرب في هذه البلاد مع توالي السنين والأزمات، بينما تعمّر البيوت وتشمخ في المكسيك، وفي بلاد الله الواسعة.

# شخصيّة «خْليل» لجورج مغامس
## نموذج لقرويّ مبالغٍ في رواياته يختلقُ القصصَ تعويضًا عن عجز

د. جميل الدويهي

انتقد بعضُ العرب، في العصر العبّاسيّ، الشّاعرَ أبا تمّام، لاستخدامه لفظةَ «العنب»، في قصيدته الشّهيرة: «فتح عمّوريّة»، على اعتبار أنّ هذه اللفظةَ كثيرةُ التّداول، وتقتربُ من العاميّة. فكيف لو كان أولئك النّقّادُ أحياءَ اليوم، وقرأوا: «دبّ خْليل»، و«فحل خْليل»، و«بطاطا خْليل»، وعلبة سردينه، وبندورته؟

إنّنا نبدأ بهذا التّساؤل، لا لنُعيبَ استخدامَ هذه الألفاظ، بل لنأخذَ على بعض النقّاد استغلالَهم للمعاييرِ النقديّة، من أجل إثبات التّعالي والكبرياء الثقافيّ. فلفظة «العنب» لا تشكو من عيب، كما أنّ استخدامَ أيِّ لفظةٍ يبرّرُه الموقفُ النّفسيّ، والنّوعُ الأدبيّ، وكذلك الذّوق الشّخصيّ للكاتب أو الشّاعر.

ما لنا وللّفظة؟ فالحديثُ في كتاب «خْليل» للأستاذ جورج مغامس، ذو نكهة خاصّة. ولا يسعُنا، إنطلاقًا من هوّيّة الكتاب المحدّدة بطابَع التّفكّه والمبالغة، أن نستعيرَ له مفاهيمَ نقديّةً فخمة، لا تتماشى مع خصائص الأدب الشّعبيّ، التي اختُصّ بها كتّابٌ دون غيرهم. فمن العبث- مثلاً- الاعتمادُ على قواعدَ نقديّةٍ خاصّة بالأدب الواقعيّ عند مناقشة الأدب اللامعقول.

### النّموذج الشّعبيّ

لذلك، من الممكن أن نتناولَ كتاب «خْليل» من زاوية الأدب الشّعبيّ، في إطاره المحلّيّ، تمامًا كما نتناولُ كتبَ سلام الرّاسي، وبعضَ ما كتبه مارون عبّود. فجورج مغامس كان حريصًا على تسكين الفاء في لفظة «خْليل»، كتأكيد على انتماء النّموذج إلى ثقافة ما، أو إلى وجدان شعبيّ في بقعة معيّنة. لكنْ، هل استطاع «خْليل» أن يتقوقعَ في الرّقعةِ الكسروانيّة دون سوها؟

الجواب، في نظرنا، هو: لا. فظاهرة «خْليل» شائعة جدًّا، في جميع القرى والمدن اللبنانيّة، حيث توجدُ طائفةٌ من المبالِغين في الأخبار والرّوايات، خصوصًا عندما يتحدّثون عن مغامراتهم الشّخصيّة في الحروب، والصّيد، والكرَم، والوفاء، والقوّة الجسديّة... ولنا في قصّة «راجح» مثلاً، التي اختلقها المختار في مسرحيّة «بيّاع الخواتم» للرّحابنة، خيرُ دليلٍ على وجود المبالغين المسرفين في كلّ مجتمع، خصوصًا في المجتمع الشّرقيّ، حيث يَطيبُ السّهرُ والسّمر، وينشطُ الحكواتيّون، وتطقطقُ فناجينُ القهوة على وقع «الخبريّات». وفي التّراث القديم لنا من بطولات عنترة، ومغامرات السّندباد، وقصص ألف ليلة وليلة، ما يُثبتُ أنّ الحكاية المتخيَّلة لا تقفُ في مواضيعها عند حدود، ولا تقيّدُها قيود.

وتَحتشدُ الرّوافدُ المحلّيّة في «خْليل»، من أسماءِ أعلامٍ ضيعويّةٍ شديدةِ المحلّيّة: خْليل، جليل، الياس، روكز، حبيب، يوسف عرنوس، جميلة، حنّة، سليمان، أيّوب ومنصور... إلى الأمثال الدّارجة: «أَصلك عوجا يا عوجا» (ص ١٥)، «الكحل أحلى من العمى» (ص ٥١)، «يا أرض انشقّي وابلعيني» (ص ٦٥) و«لا بدّ للرّطل من رطل وأوقيّة» (ص ٨٢)... والكلمات العاميّة على طريقة مارون عبّود: كَلبو، ما حدا إلو يمين يحلّفني، اقشعرّيت، ما بدنا نعذّبك، قشّة لفّة، كالشتي على ورق القلقاس، الشلاّحة، انكتب، مش معقول اللي عملتو... وأسماء الأدوات المستعملة في القرى: جفت الدّكّ، الخردق، البارود، الخوابي، المحدلة، طاولة الزّهر... والأطعمة: حمّص، فلافل، فول، فستق، قضامي، بطحة عرق، بطاطا مسلوقة، بصلة، زيتون، تبّولة، كبّة نيّة... والممارسات الخرافيّة، كالرّصَد والجنّ (ص ٤٤-٧٢-٧٣). هذه الرّوافد المحلّيّة التي ذكرناها هي جزء لا يتجزّأ من الحضارة اللبنانيّة، «ففي حكايات العامّة من اللبنانيّين، وفي حكمهم، وأمثالهم، واصطلاحات أقوالهم، تكمنُ مقوّماتُ حضارةٍ لبنانيّةٍ متكاملةٍ بعفويّتها وعراقتها وجمال مفاهيمها»[1]. غير أنّ هذه الرّوافدَ العاميّة تتقاطعُ مع أمثالٍ فصيحة: «عِشْ كثيرًا ترَ كثيرًا» (ص ٦٨)، «الرّأي قبل شجاعة الشجعان» (ص ٨٠) و«اليومَ خمر وغدًا أمر» (ص ٨٩)... وتضافُ إليها مواقفُ بليغةٌ في كلام خْليل، فيبدو أنّ الرّجل- النّموذجَ الذي كان لوهلةٍ رجلاً سطحيًّا يختلقُ الأكاذيبَ عن البطاطا، واللوبياء، والقثّاء... هو رجلٌ

(١) سلام الرّاسي، **حكي قرايا وحكي سرايا**، نوفل، بيروت، ١٩٩٩، ص ٧.مقالة لغبّاس محمود العقّاد في مجلّة الهلال، القاهرة، ١٩٥٦، صما. بيّن.

(٢) رياض قزيحة: **الفكاهة والضّحك في التّراث العربيّ المشرقيّ**، المكتبة العصريّة، صيدا، ١٩٩٨، ص٨٧- ٨٨.

(٣) ابراهيم عبد القادر المازنيّ: **حصاد الهشيم**، المطبعة العصريّة، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢٦٠.

(٤) م.ن: ص ٢٦٢-٢٦٣.

فيلسوف، والفلسفةُ من فضلِ ربّه ومن إصغائه لحديث الأيّام (ص ٨٤).

## اختلاق الروايات كحالة نفسيّة

ويمكن القول: إنّ اختلاقَ الرّوايات، ما هو إلاّ تعبيرٌ عن حالة نفسيّة، تسيطرُ على فئة من النّاس ممَّن لم يحقّقوا إنجازاتٍ كبيرةً في حياتهم، فيكونُ اختراعُهم لأخبار، ومغامرات، ومفارقات غريبة، بمثابة تعويض عن خَسارتهم في الواقع. فهم يشبهون- في وضعهم السّيكولوجيّ المتواصل- شاعرًا عجوزًا لم يعد محبوبًا من النّساء، فيعمدُ إلى كتابة ديوان غزليّ، يعود فيه إلى «مغامراته العاطفيّة»، وأسماء «نسائه وعشيقاته»، كتعويض عن وسامته المفقودة.

ومن الواضح أنّ خَليل، لم يكن شجاعًا كما يدّعي، مكرّرًا القسَم: «وحياة من جمعنا وهذه الصّدفة المجيدة» أو «ما حدا إلو يمين يحلّفني»، «لا لكم يمين عليّ»، فهو لم يقتل أفعى لها نابٌ كمنجل ولسانٌ كشهاب النّار، تملأُ الجلَّ طولاً وعرضًا (ص ١٨)، ولا هو اعتلى ظهرَ دبٍّ كان يروّعُ السّكّان، فأخضعَه وساقه إلى ساحة القرية (ص ٥٠)، ولا هو أنقذَ حصانًا كان يخبطُ في الماء، وحولَه جَمهرةٌ ينوؤون حتّى بمحاولة إنقاذه (ص ٦٤). إنّ تلك البطولات التي ما انفكّ يَرويها للقرويّين ليست إلاّ تعبيرًا عن عجزه المزمن في ميادين البطولات والأبطال.

## العبث والإضحاك

أمّا لماذا تَنبتُ بذرةُ قثّاء في جيب خَليل، ثمّ ينقلُها إلى جلّ، فتكبرُ وتبلغُ فَقشَ الموج، وتُثمرُ قثّاءةً ضخمة قُطّعت بالمناشير؟ (ص ٣١) ولماذا يقفزُ فرخُ سردين من علبة خَليل إلى الماء فيصيرُ فروخًا؟ (ص ٣٥) ولماذا صارت بطاطا خَليل شتولاً تناطحُ الشّجرَ بارتفاعها؟ (ص ٥٧) ولماذا كانت على شجرة عالية جدًّا، رآها خَليل مطحنةً، والبغالُ والحميرُ طالعةً ونازلةً إليها؟ (ص ٩٧)... كلّ تلك التّساؤلاتِ تبقى في ضمير الكاتب، الذي يبدو أنّه أراد أحيانًا أن يمزجَ بين رغباتِ خَليل الدّفينة، وبين المحافظة، قَدْرَ الإمكان، على شخصيّته الكوميديّة المضحكة بطابَعها المحلّيّ، أو أن يعتمدَ على ظاهرة العبث التي «تصبح ضرورةً ملحّة حين تصبحُ الحياةُ ذاتُها عبئًا ثقيلاً، يحتاج الفردُ فيها إلى كثير من المتطلّبات، ويعاني النّاس من ثقل الحضارة».(٢)

لقد نجحَ الكاتبُ في إبراز التّحليل النّفسيّ لشخصيّة خَليل، لكنّه- في بعض المواقف- لم يُرد أن يوظّفَ الشّخصيّةَ توظيفًا إنسانيًّا أو اجتماعيًّا، كما يطمحُ العديدُ من المشتغلين بالأدب الفكِه، ومنهم المازنيّ، الذي يرى أنّ الفكاهة بشكل عامّ لها هدف، وهو مقارنةُ الواقع باعتبار ما فيه من نقص، بصورةِ الكمال، باعتبارها أسمى الحالاتِ التي ينبغي أن يكونَ عليهاَ الواقع(٣). ويمتدحُ المازنيّ فولتير «الذي لم يشهد العالم ساخرًا مثلَه، وكان سُخْرُه عاملاً كبيرًا في إحداثِ انقلابٍ ضخم لا يزالُ أثرُه محسوسًا حتّى الساعة»(٤). أمّا خَليل فلم يمثّل- في مجمل الكتاب- الشّجاعةَ الحقيقيّة لمجتمع، ولا الثّورةَ فيه، ولا الانقلابَ عليه، ولا قيمَه المرجوّة. وإنْ كان ألمحَ إلى شيء من العناصر السّالفة، فقد فعلَ ذلك في نصوص مُتَخيّلة، يعرفُ المتلقّي أنّها ملفّقة. وما ليس حقيقيًّا لا تُبنى عليه حقائق.

وإذا كان لنا رأيٌ متواضعٌ آخرُ في الكتاب، فهو أنّه في نصوصه الأولى كان أكثرَ إضحاكًا وعبثًا، واتّسمت لغتُه بالسّهولة المحبّبة، التي تتناسبُ مع الأدب الشعبيّ، ولكنّه في نصوصه الأخيرة اعتمدَ على الإطالة، وعلى لغةٍ أكثرَ صعوبة. فقد وقع الكاتبُ في ازدواجيّة بين لغته العالية ولغةِ خَليل البسيطة، فكان جورج مغامس يَشدُّ بخَليل إلى فوق وخَليل يَشدُّ به إلى اتّجاهٍ آخر. كما أنّ إسدالَ السّتارة على اختفاء خَليل لا يقدّمُ وظيفة، ما عدا إبقاءَ السّرّ مكتومًا عن المتلقّي، الذي سيكتفي برسم علامة تعجّب لا أكثر.

د. ديزيره سَقّال

## الشاعر

-١-

هَلَّ مِنْ فَوْقُ، فاستراحَ الضِياءُ ... وانتَحى دونَهُ هدوءٌ عَراءُ
واصطفى الضوءَ، رائيًا من بعيدٍ ... فاتلاه، وضجَّ فيهِ البَهاءُ...
ينظُرُ الخَلْقَ من عُلاهُ فيُلفي ... عالمَ الخَلْقِ يَرتَعيهِ الهَباءُ؟
كيفَ يرتاحُ والوجودُ مَشوبٌ ... بعُرى النقْصِ، والحروفُ عَياءُ؟
والدَياجيرُ تُوحشُ الضوءَ فيهِمْ ... وفراغُ الرؤى عيونٌ عَماءُ:
كلّما تاهَ فوقَ عرشٍ ملوكٌ ... زانَهمْ نَقصُهمْ، وعضَّ خَواءُ
أحرقَ الليلُ مِنْ سَناهُ التجلّي ... فخَوَتْ أرضُهمْ، وضاعَ السناءُ...
كيفَ يرتاحُ حينَ لاتَ شعاعٌ ... يثقُبُ الليلَ فيهِ أو يُستَضاءُ؟
كيفَ يرتاحُ والقباحةُ غِلٌّ ... تسحبُ الأرضَ نحوَها والفَناءُ؟

هَمُّهُ النورُ... هَمُّهُ أبديٌّ- ... فَهوَ من عالَمِ الزوالِ بَراءُ.
هَمُّهُ النورُ كيفَ يدفقُ فيهِ ... وتُروّى صحراؤُهُ والخلاءُ...
يُنبتُ النورُ في الصحارى نخيلاً ... تَمرُهُ الحُسْنُ مزهِرًا والغناءُ...
يُنبتُ النورُ في القلوبِ نشيدًا ... سرمديًّا شالتْ بهِ العَلْياءُ...

-٢-

فَكَّ عنْ روحِهِ الإسارَ، فطارتْ ... بأثيرٍ يشعُّ فيهِ الصفاءُ...
نُزِّلَتْ عبرَ مقلتيهِ رؤاهُ ... وتجلَّتْ في يسارِه الأشياءُ
غَمَّسَ الحرفَ في دِماهُ، فقالتْ ... روحُهُ في حروفِها ما تشاءُ...

## Christian Education Series